ميسي

القصة الحقيقية للفتى الذي أصبح أسطورة

لوكا كيولي

نقله إلى العربية

شادي الرواشدة

ميسي

القصة الحقيقية للفتى الذي أصبح أسطورة

لوكا كيولي

نقله إلى العربية

شادي الرواشدة

العبيكان
Obeikan

Original Title

MESSI

The Inside Story of the Boy

Who Become a Legend

:Author

Luca Caioli

Copyright © Luca Caioli, 2008, 2010, 2012

ISBN-13: 978-1906850395

All rights reserved. Authorized translation from the English language edition

Published by Corinthian Books, an imprint of Icon Books Ltd, Omnibus Business

,Centre 39–41

North Road, London N7 9DP (U.K.)

حقوق الطبعة العربية محفوظة للعبيكان بالتعاقد مع كورينتين بوكس، آي كون بوكس ليميتد، لندن، المملكة المتحدة.

© العبيكان 2012 - 1433

ح مكتبة العبيكان، 1434هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كيولي، لوكا

ميسي: القصة الحقيقية للفتى الذي أصبح أسطورة ./ لوكا كيولي؛ شادي الرواشدة.- الرياض 1434هـ

376 ص؛ 16,5× 24 سم

ردمك: 7 - 505 - 503 - 603 - 978

1 - الرياضيون 2 - كرة القدم أ. العنوان

ديوي: 927,9633 رقم الإيداع: 3228 / 1434

الطبعة العربية الأولى 1434هـ - 2013م

الناشر العبيكان للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: 4808654 فاكس: 4808095 ص.ب: 67622 الرياض 11517

موقعنا على الإنترنت

www.obeikanpublishing.com

متجر العبيكان على أبل

http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store

امتياز التوزيع شركة مكتبة العبيكان

المملكة العربية السعودية - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العروبة

هاتف: 4160018 /4654424 - فاكس: 4650129 ص. ب: 62807 الرياض 11595

جميع الحقوق محفوظة للناشر. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكيـة، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

قائمة المحتويات

الفصل الأول: مسقط الرأس

حوار مع الأم والخالة 7

الفصل الثاني:مستشفى الولادة

الميلاد في الرابع والعشرين من حزيران عام 1987م 15

الفصل الثالث: أصغر اللاعبين

ظهيرة يوم صيفي من عام 1992م 25

الفصل الرابع: كما هو الحال دائمًا

حوار مع صديقة الطفولة..33

الفصل الخامس: عاشق نادي نيولز

الالتحاق بنادي نيولز في الحادي والعشرون من آذار عام 1994م..........49

الفصل السادس: أسطورة

حوار مع لاعب ومدرب 51

الفصل السابع: لقاء مع ذي الحجم الصغير

الحادي والثلاثون من كانون الثاني عام 1997م 55

الفصل الثامن: نجم عالمي في بلدة صغيرة

حوار مع ماريانو بيريزنيكي؛ الصحفي في صحيفة لا كابيتال 63

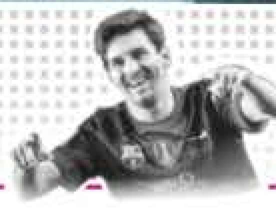

الفصل التاسع: في اتجاه برشلونة
السابع عشر من أيلول عام 2000م 67

الفصل العاشر: مُغيِّر مجريات المباريات
حوار مع فيرناندو نيمبرو المُلقَّب بشيشيه، والمُعلِّق في قناة فوكس 77

الفصل الحادي عشر: رخصة مشروطة
السادس من آذار عام 2001م 81

الفصل الثاني عشر: قناع بويول
حوار مع أليكس غارسيا أحد مدربي ميسي 89

الفصل الثالث عشر: الظهور الأول
السادس عشر من تشرين الثاني عام 2003م 95

الفصل الرابع عشر: إنتاج محلي
حوار مع كريستينا كوبيرو؛ الصحفية في صحيفة إل موندو ديبورتيفو (عالم الرياضة) 105

الفصل الخامس عشر: شريط فيديو لصبي
التاسع والعشرون من حزيران عام 2004م 109

الفصل السادس عشر: كرة القدم لعبته من دون منازع
حوار مع فرانشيسكو فيرارو «بانشو» 121

الفصل السابع عشر: صديق ميسي
حوار مع بابلو زاباليتا 125

الفصل الثامن عشر: مسلسل طويل
الثالث من تشرين الأول عام 2005م 129

الفصل التاسع عشر: أجواء جديدة
حوار مع فيرناندو سولاناس، مدير التسويق الرياضي لشركة أديداس، فرع شبه الجزيرة الأيبيرية 139

الفصل العشرون: نجم المباراة
الثاني والعشرون من شباط عام 2006م 145

الفصل الحادي والعشرين: جمال أخّاذ
حوار مع سانتياغو سيغورولا، الصحفي في صحيفة ماركا 153

الفصل الثاني والعشرون: صعب جدًّا
حوار مع أسير ديل أورنو 157

الفصل الثالث والعشرون: ولا دقيقة واحدة
الثلاثون من حزيران عام 2006م 161

الفصل الرابع والعشرون: تفرقة إيجابية
حوار مع خورجي فالدانو 177

الفصل الخامس والعشرون: الشيطان
العاشر من آذار عام 2007م 181

الفصل السادس والعشرون: هدف مذهل
حوار مع جانلوكا زامبروتا 189

الفصل السابع والعشرون: ميسي ومارادونا
الثامن عشر من نيسان عام 2007م 193

الفصل الثامن والعشرون: أمامه كثير من الوقت
حوار مع فرانك ريكارد 213

الفصل التاسع والعشرون: عليك إثبات ذلك
حوار مع كارلوس سلفادور بيلاردو 219

الفصل الثلاثون: خيبة أمل
الخامس عشر من تموز عام 2007م 223

الفصل الحادي والثلاثون: فتى كهربائي
حوار مع آلفيو بازيلي الملقَّب بِـ كوكو........................ 231

الفصل الثاني والثلاثون: برونز وفضة

السابع عشر من كانون الأول عام 2007م 235

الفصل الثالث والثلاثون: يلعب بجسمه وعقله

حوار مع روبرتو بيرفومو الملقَّب بـ الماريسكال 245

الفصل الرابع والثلاثون: رحلة طويلة للظفر بالذهب

الثاني والعشرون من أيار عام 2008م 249

الفصل الخامس والثلاثون: سعادة

السابع والعشرون من أيار عام 2009م 271

الفصل السادس والثلاثون: الثالثة ثابتة

الأول، والتاسع عشر، والحادي والعشرون من كانون الأول عام 2009م .. 295

الفصل السابع والثلاثون: دموع تنهمر

الثالث من تموز عام 2010م 311

الفصل الثامن والثلاثون: مفاجأة

العاشر من كانون الثاني عام 2011م 327

الفصل التاسع والثلاثون: إنّه الأفضل

الثامن والعشرون من أيار عام 2011م 339

الفصل الأربعون: مع ميسي

حوار مع ليونيل ميسي 355

السيرة الذاتية 367

قائمة المراجع 371

الفصل الأول

مسقط الرأس

حوار مع الأم والخالة

«أشتـري ردف الذبيحـة أو قطعـة من عجزها. إنّها قطـع من لحم العجل سبـق أن رأيتها في برشلونـة أيضًا، لكنّي لا أعرف مـاذا يسمّونها هناك. أرشّ قليلًا من الملح على كلّ قطعة، ثمّ أغمسها بالبيض، وأكسوها بالخبز المطحون. أقـوم بقليها حتـى تحمر، وحينئذٍ، أضعهـا في صينية الفرن. بعـد ذلك، أُقطّع البصل بشكل ناعم، ثمّ أقليه حتى يصبح لونه أقرب إلى الأبيض، فأُضيف قطع الطماطـم المفرومة، والقليل من الماء، والملـح والزعتر، ورشّة من السكّر. ثمّ أتركهـا على النار مـدّة عشرين دقيقة تقريبًا. وحين تجهـز الصلصة، أسكبها على قطع اللحم بعناية، بحيث تغمرها كلّها بصورة جيدة. ولا أنسى إخراج بعض الجبـن السائل أو الجامـد من الثلاجة، ثمّ وضع طبقة رقيقـة منه على اللحم. وبعد أن أترك اللحم في الفرن حتى يذوب الجبن، لا يتبقّى عليّ عمل شيء سوى قلـي البطاطا لتكون طبقًا جانبيًا، وبذلـك يكون طبق الشنتزل نابوليتانا جاهزًا للتقديم».

تصف سيليا بحماسة الطاهية الماهرة وخبرتها الممتدة الوجبة المفضّلة لابنهـا ليونيل ميسي، قائلة: «عندما أذهب إلى برشلونة، أقوم بإعدادها مرّتين

أو ثلاث مرّات في الأسبوع، وأضع فيها - على الأقلّ- ثلاث قطع متوسطة الحجم من اللحم». ثمّ تضيف وهي تداعب شعره: «إنّ الشنتزل نابوليتانا والمتّة (الشاي التقليدي في الأرجنتين) هما سبب تسجيلك عددًا كبيرًا من الأهداف». إنّ ذوق ليونيل في الأكل بسيط جدًّا؛ الشنتزل. ولكن، ليست تلك المصنوعة من لحم الحصان، أو الدجاج، مع مرق الفلفل الأسود، والبصل، والبنادورة، والزعتر.

إنّه لا يهتم بالوجبات المنمّقة مثل تلك التي يُعِدّها شقيقه رودريغو. وكما هو معروف، فإنّ رودريغو طاهٍ محترف، وهو يحلم بأن يكون له مطعم خاص به يومًا ما. لذا، فمن الطبيعي - بالنسبة إليه- أن يُجرِّب وصفات طعام جديدة؛ حتى لو كان شقيقه الأصغر لا يُقدِّر ذلك دائمًا. هل يحبّ الحلويات؟ «نعم، ليو يحبّ الشوكولاتة والفاخور (بسكويت تقليدي محشو بالكراميل، وهو من الأكلات الشعبية)؛ فعندما نذهب إلى إسبانيا نأخذ منهما ما يكفي حاجتنا مدّة بقائنا هناك».

وفي هذه الأثناء، أخذت سيليا تروي إحدى قصصه حينما كان صغيرًا؛ إذ وعده المدرِّب بقطعة فاخور لقاء كلّ هدف يسجِّله، فأحرز حينها ثمانية أهداف في المباراة. لقد كانت وليمة بحقّ.

وفي أثناء تناولها فنجانًا من القهوة في مقهى لا تيندا الكائن على جادة سان مارتن دي روزاريو، تتحدّث والدة لاعب نادي برشلونة صاحب الرقم 10 بمتعة كبيرة عن ابنها الذي وصلت شهرته أصقاع الأرض؛ وهي تعبث بشعرها الأسود، وابتسامة عذبة فقط بابتسامتها العذبة، وملامح تُذكِّر المرء بليو (مع أنّها تضحك حين تسمع ذلك، قائلة: إنّه يشبه أباه تمامًا).

تملك سيليا ماريا كوشيتيني أوليفيرا دي ميسي صوتاً رقيقاً وهادئاً. تنظر مراراً في أثناء تحدثها إلى أختها مارسيلا الجالسة قبالتها. ولمارسيلا

هـذه، البنت الصغـرى في عائلة كوشيتينـي، أبناء يلعبون الكـرة أيضًا؛ فابنها ماكسيمليانـو يلعـب لنـادي أولمبيـا فـي البار اغـواي، فـي حين يلعـب شقيقه إيمانويل في إسبانيا لنـادي جيرونا. أمّا برونو فيرتاد مدرسة ريناتو شيزاريني لكـرة القدم، التي يُدرِّب فيهـا لاعبون سابقون كبار، أمثـال: فيرناندو رودندو، وسانتياغو سولاري. ومارسيلا كوشيتيني دي بيانكوتشي هي إشبينته (عرّابته) فـي المعمودية، وخالته المفضّلة. وهو يحبّ قضاء بعض الوقت في بيتها عندما يذهـب إلـى روزاريو. تقول سيليـا: «علينا الذهـاب إلى هنـاك، أو الاتصال به للاطمئنان عليه، لكنّ أختي تُفسدِه طبعًا بدلالها. ثمّ هناك إيمانويل أيضًا؛ فمن الصعـب التفريـق بينهما، وقد كانا يلعبان كرة القدم معًـا منذ الصغر». تتذكّر سيليـا ذلك قائلـة: «كان هناك خمسة فتيـة؛ أبنائي الثلاثـة ماتياس ورودريغو وليـو، وابنا أختي ماكسيمليانـو وإيمانويل. كنّا حين نذهب إلى منزل والدتي كلّ يـوم أحد، ينزل الفتية إلـى الشارع للعب قبل وقت الغـداء. لقد كانوا يخوضون مباريات صاخبة؛ سواء بكرة القدم أو التنس، وعادة ما كان ليو يعود إلى البيت باكيًا؛ إمّا لخسارته، وإمّا لتعرّضه للغشّ من الفتيان الذين يكبرونه سنًّا».

تضيـف مارسيلا: «ذكَّرني ماكسـي بتلك المباريات منـذ أيام معدودات، وقـال لي: إنّه يرغب في تنظيـم مباراة بين عائلة ميسي وعائلة بيانكوتشي حين يلتقي الجميع في روزاريو، تمامًا كما في الأيام الخوالي».

إنّ هذه الذكريـات توصِلنا إلى الجدّة سيليا، وطعامها الشهي، وحلوياتها، واجتمـاع العائلة كلّ يوم أحد، والشغف بكرة القدم. تقول سيليا: «كانت هي مَنْ يصطحب الفتيان إلى التدريبات والتمارين الخاصة بكرة القدم. وكانت هي مَنْ يُصِرّ على إشراك ميسي في اللعب، مع أنّه لم يكن كبيرًا كفاية؛ فقد كان أصغر الفتيـة سنًّا وحجمًا. فهو لطالما كان صغيرًا؛ حتـى إنّهم كانوا يخشون عليه من أن يضيـع بيـن الأرجل، أو يُصاب بأذى. أمّا الجـدّة سيليا فلم تكن كذلك؛ فقد

كانت شديدة الحماس، وتصرخ قائلة: «مَرِّروا الكرة إلى ليونيل، مَرِّروها إلى الفتى الصغير، إنّه الوحيد القادر على تسجيل الأهداف». لقد كانت هي مَنْ أقنعنا بشراء حذاء اللعب له. ومن المؤسف أنّها لن تتمكّن اليوم من رؤية ما آلت إليه حاله؛ فقد أدركها الموت حين كان (ليو) في العاشرة من عمره. ولكن، مَنْ يدري، فقد يُتاح لها الآن أن تشاهد من علٍ الحالَ التي آل إليها حفيدها، ويساورها شعور بالفرح والسعادة من أجله أيضًا».

ولكن، كيف بدأ مشوار ليو مع كرة القدم؟ مَن الذي علَّمه؟ من أين اكتسب المهارات الكثيرة التي يتمتّع بها الآن؟ هل للأمر علاقة بموضوع الوراثة؟ «لا أعرف، فربّما أنّه ورث هذا الأمر من أبيه، أو إخوته، أو أقاربه. لطالما كانت كرة القدم تجري في دماء عائلتنا. فأنا من محبّي كرة القدم أيضًا. أمّا مثلي الأعلى فهو مارادونا. وقد تابعت سيرة حياته المهنية وأهدافه جميعها بشغف كبير. لقد كان أسدًا هصورًا في الملعب».

قلْتُ له ذات يوم حين قابلته: «أتمنّى أن يصبح ابني لاعبَ كرة قدم عظيمًا، وأن تُدرِّبه أنت. انظر ماذا حدث... انظر إلى ما أنجزه ابني حتى الآن».

وفي هذه الأثناء، رنّ جرس الهاتف النقّال المُلقى على الطاولة. فتستأذن سيليا، وتتنحّى جانبًا؛ لتردّ على المكالمة.

وفي أثناء ذلك، تستكمل مارسيلا حديثها عن ليو الصغير قائلة: «إنّه فتى خارق، لقد استطاع التحكّم في الكرة على نحوٍ أفضل من أيّ شخص آخر؛ حتى قبل أن يبلغ الخامسة من عمره. فقد كان مولعًا بها، ولا يتوقّف عن اللعب بها. وأظهر مهارة وبراعة في التصويب على بوابّة المنزل الأمامية، لدرجة أنّ الجيران كانوا يطلبون منه التريّث والهدوء».

أنهت سيليا حديثها بالهاتف، فجلست، ثمّ هزّت رأسها بالموافقة. «لقد كانت أشدّ عقوبة يمكننا تهديده بها، هي حرمانه من التدرُّب طوال اليوم». وفي المقابل، فقد أخذ ليو يتوسَّل قائلًا بإصرار: «لا، يا أمي، أرجوك، أعدك... دعيني ألعب»؛ حتى أعدل عن قراري في النهاية. لم يكن ليو طفلًا مزاجيًّا أو كسولًا، ولطالما كان فتًى مطيعًا، هادئًا، خجولًا، تمامًا كما هي حاله اليوم.

حقًّا! نعم. إنّه لا يأبه بالشهرة؛ فهو يودّ أن يأتي إلى جادة سان مارتن، ويتجوّل فيها برفقة ابن خالته إيمانويل عندما يزور روزاريو. لكنّه كان يُظهِر استياءً شديدًا، حين نقول له: إنّ تلك الفكرة غير صائبة، وإنّ الناس هنا - في مسقط رأسه- سيصابون بحالة هستيرية إذا رأوه، وسيحدّون كثيرًا من حركته. إنّه لا يفهم كيف تسير مثل هذه الأمور، وينزعج في نهاية المطاف.

اعتاد ليو -حين يكون في برشلونة- الذهاب إلى متجر كورته إنغلس مرتديًا لباسًا رياضيًّا. واعتاد رونالدينيو على مداعبة شعره وسؤاله: كيف يمكن لعاقل أن يخرج من البيت بمثل تلك الملابس؟ إنّه لم يُبالِ يومًا بالمكانة التي وصل إليها. لذا، فهو لا يتضايق من الشهرة، أو من التقاط الصور التذكارية مع المشجّعين، ومنح توقيعه لهم. وفي بعض الأمسيات، وحين يقفل عائدًا إلى المنزل بعد غياب طويل وأذهب لرؤيته، أستلقي إلى جانبه في السرير، ثمّ نبدأ ندردش، وأنا أداعب شعره، ثمّ أُسِرّ له بأحاديث عدّة على سبيل المزاح، مثل قولي: «إنّ المشجعين جميعًا على استعداد لبذل الغالي والنفيس ليكونوا بجانبك في هذه اللحظة». حينئذٍ، ترتسم على مُحَيّاه تعبيرات ساذجة، ثمّ يقول: «دعي عنك المزاح يا أمي».

تتدلّى على جدران مقهى لا تيندا قمصان لاعبينَ من الأرجنتين. وكذا قميص ليو، الذي ينسدل تحت إحدى النوافذ، وهو موسوم بالرقم 30 الذي يُمثِّله في نادي برشلونة.

«إنّهم لا يعرفون أنّي والدته، مع أنّنا نعيش معًا في هذه البلدة». تُعلِّق سيليا، وهي امـرأة تُسبِّب لها الشهرة شعورًا بالخجل. إنّهـا تُدرِك تمامًا الأخطار التي تُفضي إليها الشهرة، وإن لديها أهدافًا وأولويات واضحة في هذه الحياة؛ سواء أكانت تخصّها أم تخصّ أبناءها. كلّ ذلك جيد. ولكن، ما الشعور الذي يراوِدها حيـن تتذكّر أنّهـا والدة نجـم؟ «إنّني فخورة جـدًّا. فعندما أُطالِـع الصحيفة؛ سـواء هنا أو في إسبانيا، وأجد مقالًا عنه، أو عندما أرى قميصًا برقمه يرتديه الأطفال... أشعر بفخر شديد. لذلك، يؤذيني أن أسمع أحدًا ينتقد طريقة لعبه، أو يُطلِـق أخبارًا كاذبة عن حياته الشخصية. إنّـه من المؤلِم والمؤثِّر أن يتصل بـك شخص قائلًا: هل رأيت هذا؟ هـل رأيت ذاك؟ ليو؟ إنّه نادرًا ما يقرأ الذي يُكتَـب عنـه، ولا يتأثّـر كثيرًا في حال قرأ. لكـنّ هذا لا يعني أنّه لـم يعانِ أوقاتًا عصيبـة؛ فقـد تعرّض لكثير مـن المواقف المؤلمـة، مثل: إصابتـه وغيابه عن اللعب أشهرًا عدّة، وسير الأمور -أحيانًا- خلافًا لما يريد. لا يراودني أدنى شكّ فـي تعرّضه لمثل هذه المواقف، وحينئذٍ، أحزم أمتعتـي، وأسافر إلى برشلونة؛ لأتحقّـق ممّا يحدث، وأكون قريبة منه، وأعتني به قـدر المستطاع. لطالما كان ليـو فتًى كتومًـا حيال الصعوبات التـي تواجهه، لكنّه – في الوقـت نفسه- كان ناضجًـا جدًّا مقارنة بأقرانه وأبناء جيله. ومـا زلْتُ أذكر قوله حين ألمحنا إلى احتمال عودتنا إلى الأرجنتين: «لا تقلقي يا أمي، اذهبوا أنتم، وأنا سأمكث هنا، وحتمًا إنّ الله سيساعدنا»؛ إنّه حقًّا يملك إرادة حديدية».

ومـرّة أُخـرى تعـود للحديث عـن نجاحاته، وعـن الناس الذيـن يعشقون «البرغوث» على طرفي المحيط.

تقـول سيليـا: «إنّ أكثـر شيء يعجبنـي هو محبّـة الناس له. أعتقـد أنّهم يحبّونـه لبساطتـه وتواضعه وطيبته. فهـو دائمًا يُفكِّر فـي الآخرين، وينظر في

أحـوال المحيطين بـه؛ ليتأكّد أنّهم على ما يرام: والديـه، وشقيقيه، وشقيقته، وأبنائهم، وأقاربه. إنّه دائم التفكير في عائلته».

أنـا والدته، ومثـل أيّ أمّ؛ فإنّني أقول دائمًا أمورًا جيدة عن أبنائي، فلذات أكبادي، ولكنّني أصدقك القول حين أخبرك أنّ ليو يمتلك قلبًا كبيرًا».

كيـف ترى أمٌّ مستقبـل ابنها؟ «فيما يخصّ كرة القـدم، أتمنّى أن يجد له مكانًا مشرِّفًا في سجلّ التاريخ؛ كالذي حظي به بيليه ومارادونا، أتمنّى أن يُحقِّق الكثيـر. لكـنّ الأهم، بوصفي أمًّـا، هو الدعاء إلى الله أن يمنحـه السعادة، وأن يُنشِئَ عائلة، وأن يعيش حياته كما يجب، فهو لم يَحْيَها بصورتها الحقيقية بعد. لقد كرّس نفسه لكرة القدم قلبًا وقالبًا. إنّه لا يخرج، ولا يفعل مثلما يفعل أقرانه الذين يماثلونه في السنّ. لذا، فأنا أتمنّى له حياة ممتعة، فهو يستحق ذلك».

يهبـط الظـلام خارج النافـذة الكبيرة، وتصبـح حركة السيـر أكثر حدّة ووطـأة؛ سيارات، وشاحنات متهالكة، وحافلات، تترك وراءها سحابًا كثيفًا من الدخـان، وتمـرّ عربة مليئة بالخـردة يجرّها حصان هزيـل، وحشد من الناس يشقّ طريقه نحو المتاجر ومحطات الحافلات. يجب أن تعود سيليا إلى المنزل، فماريـا سـول، أصغر أفراد العائلـة، تنتظرها هناك. ويتعيّن علـى مارسيلا أن تأخذ برونو من مدرسة الكرة. إنّها تمطر، وسيليا تصرّ على اصطحاب ضيوفها إلى وسط المدينة. فتذهب لإحضار السيارة.

لقد مثَّلـت كلمات مارسيلا الأخيـرة، ونحن نهمّ بالصعـود، مخاوف الأمّ وهواجسها حيال ما قد يتعرّض له صغيرها؛ الإصابات، والمال الذي يُغيِّر أنفس البشر. «لم تتغيّر طباع ليو وأولادي حتى الآن. وما زلْتُ أعيش أنا وعائلتي وعائلة أختي في هذه البلدة حيث وُلِدنا، وفي البيوت عينها. فنحن لم نُفكِّر في الرحيل إلـى منطقة أُخـرى، ولم نُرِدْ لحظة التخلّي عن جذورنـا، وكذا الفتيان؛ فهم لم

يتغيّـروا قطّ. أتمنّى ألّا تتغيّـر طباعهم مستقبلًا، وألّا يصيبهم ما اعترى لاعبي كرة قدم آخرين من جرّاء الشهرة».

تقـف سيـارة فولكس فاغـن رمادية اللون بجانـب الرصيف. تقـود سيليا السيـارة بسرعـة مخترقة شوارع الجـزء الجنوبي من روزاريو. ثـمّ تمرّ بجانب المدرسـة التي كان يرتادها ليـو، فتُعلِّق قائلة: «لم يكن تلميـذًا نجيبًا. لقد كان كسولًا مُقِلًّا في الدراسة».

وفجـأة، تنعطف باتجاه تيرو سويزو، وهو نادٍ رياضي أَسَّسه مهاجرون من منطقة تيسينو عام 1889م. وفي هذه الأثناء، يظهر طفلان لا يلحظان السيارة؛ فهما منشغلان بلعب الكرة.

تلتفت سيليا إليهما قائلة: «ذلك كان حال ليونيل أيضًا».

الفصل الثاني

مستشفى الولادة

الميلاد في الرابع والعشرين من حزيران عام ١٩٨٧م

فــي الزاويــة رقــم 1249 من شارع فيــزازورو، يجثــم مجمــع أبنية ضخم مستطيــل الشــكل، لونه يُماثِل لــون القشدة، وهو مبني على طــراز يحاكي طرز المباني التي شُيِّدت في القرن التاسع عشر؛ إنّه المستشفى الإيطالي الذي شُيِّد تكريمًــا لجوسيبــي غاريبالــدي، الذي بُنِي لــه أيضًا تمثال فــي ساحة بلازا دي إيتاليا في روزاريو.

يُعَدّ غاريبالدي شخصية قومية مشهورة نالت لقب «بطل العالمَين»؛ بسبب المعــارك التي خاضها هذا القائد على طول نهر بارانــا عندما نُفِي إلى أمريكا الجنوبية. لقد تركت جماعة السترات الحمر التي كان يقودها غاريبالدي آثارها فــي تلك المناطق؛ فعلــى سبيل المثال، يوجد مستشفيان فــي روزاريو وبوينوس آيرس أسَّسهمــا أشخاص كانوا قــد نُفوا لأسباب سياسيــة، ولدعمهم ماتزيني وغاريبالدي والاتحادات العمالية التي أسّساها.

وقد دُشِّن مجمع روزاريو الطبي في الثاني من تشرين الأول عام ألفٍ وثماني مئــة واثنين وتسعين لخدمة الجاليات الإيطالية التي كانت تُمثِّل آنذاك 70٪ من مجمــوع المهاجرين الذين وصلوا من أوروبا. يمتلك المجمع في يومنا هذا أحد

أفضل أقسام الولادة في المدينة. وهنا تبدأ قصة ليونيل ميسي، المولود الثالث في عائلة ميسي- كوشيتيني، في الساعة السادسة من صباح يوم شتوي.

والـده خورخي الذي يبلغ من العمر التاسعـة والعشرين، يعمل رئيس قسم في شركة إسندار لصناعة الصُّلْب في منطقة فيا كونستيتيوسيون التي تبعد نحو 50 كيلومتـرًا عـن روزاريو، في حين تعمل والدته سيليـا البالغة من العمر سبعة وعشريـن عامًا في ورشة لتصنيـع المغناطيس. وقد التقيا فـي الصغر في حيّ لاس هيراس الذي كان يُعرَف سابقًا باستـادو دي إسرابيل، ويُعرَف اليوم بحيّ سـان مارتـن، الواقع في القسـم الجنوبي من المدينة، حيـث السكان البسطاء والكادحون.

يعمـل أنتونيو، والد سيليـا، فنيًّا لتصليح الثلاجـات والمكيفات والأجهزة الكهربائيـة الأُخرى. وقـد عملت والدتها التـي تحمل اسم سيليـا أيضًا خادمةً سنوات. أمّـا أوزيبيو، والد خورخي، فيعمل في مجال الإنشاءات، في حين تعمل أمّه روزا ماريا خادمةً أيضًا.

يسكن هؤلاء جميعًا على بُعْد مسافة مئة متر تقريبًا من بعضهم بعضًا. وهم ينحـدرون من أصول إيطاليـة وإسبانية شأنهم في ذلك شأن كثير من العائلات الأُخرى التي تسكن هنا. أمّا اسم عائلة ميسي فيرجع في أصله إلى بلدة إيطالية تُدعـى بورتو ريكاناتي، وهي تقـع في ولاية مازيراتا التي شهـدت ولادة الشاعر جياكومو ليوباردي، ومغني الأوبرا بنيامينو جيغلي.

وتقـول الرواية: إنّ شخصًا يُدعى إنجيلـو ميسي غادر من هناك على متن واحـدة من السفن الكثيرة المتجهة إلى أمريـكا عند نهاية القرن التاسع عشر؛ بحثًـا عن حياة أفضل في العالَم الجديـد، بعدما اشترى تذكرة للدرجة الثالثة، شأنه في ذلك شأن معظم المهاجرين.

تملـك عائلة كوشيتيني جـذورًا إيطالية أيضًا من جهـة الأب. ومع أنّ تلك العائـلات تنحدر من المناطـق السهلية الرطبة، لكنها استقـرت في المدن في نهاية المطاف.

تقع مدينة روزاريو التي يبلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة، على بُعْد ثلاث مئـة وخمسة كيلومترات عن العاصمة بوينوس آيرس، وهي تُعَدّ كبرى مدن ولاية سانتـا فيه، وتمتد على طول ضفـاف نهر بارانا. في حين يمتد متنزه كوستانيرا علـى طول النهر وصـولًا إلى جسر نويسترا سينيورا دل روزاريو الذي يقطع مياه النهر وجزره ليصل المدينة بمدينة فيكتوريا.

احتـل نهر بارانا مركـزًا مهمًّا على مرّ الزمن فيما يخصّ النقل النهري؛ فمـن هناك تُصدَّر كثير مـن المنتوجات الزراعيـة إلى دول اتحـاد ميركوسر جميعهـا (الأرجنتيـن، البرازيـل، الأوروغـواي، الباراغـواي)، ولعـلّ أبرزهـا محصول الصويا الذي جَلب - في الوقت الحالي- الثروة إلى هذه المناطق، ما أدّى إلى تحضّرها.

وعلى الرغم من ظهور مبانٍ وناطحات سحاب جديدة إلى جانب فلل لافتة علـى الشاطئ ذي الرمال الناعمة التي ترسَّبت مـن النهر، تظل روزاريو مدينة ذات هوية وطنية بامتياز.

يتجمّع طلبة المدارس بلباسهم الأبيض لالتقاط الصور عند قاعدة نُصْب العلـم الـذي بُنِي على الطـراز السوفيتي القديـم، ودُشِّن عـام 1957م؛ تخليدًا للمكان الذي أصدر منه الجنرال مانويل بلغرانو الأوامرَ لرفع العلم الوطني أول مرّة في السابع والعشرين من شهر شباط عام ألفٍ وثماني مئة واثني عشر.

وروزاريـو هي مدينة أحفـاد المهاجريـن، ومدينة العشوائيـات والمنازل الريفية. ولكن، لندع عنّا قصص الهجرة والثقافات واللغات والتقاليد المختلطة

التي تطبع الأرجنتين بطابع خاص، ولنتكلّم عن خورخي وسيليا، اللذيْنِ وقعا في الغرام، وأصبحا على علاقة في سنّ صغيرة.

تزوّج خورخي وسيليا في السابع عشر من حزيران عام ألفٍ وتسع مئة وثمانية وسبعين، في كنيسة كوراثون دي ماريا (قلب مريم). وكانت البلاد وقتئذٍ مشغولة ببطولة كأس العالَم، لدرجة أنّ العروسيْنِ الجديديْنِ اللذيْنِ يقضيان شهر العسل في مدينة باريلوشه يحرصان على متابعة مباراة الأرجنتين أمام البرازيل الجارية في روزاريو. وقد انتهت هذه المباراة بالتعادل من دون أهداف. ولكن بعد ثمانية أيام، وعلى ملعب موني مونتال الخاص بنادي ريفر بلايت، تغلّب المنتخب الأرجنتيني الملقّب بالألبيسيليتي (أي الأبيض والأزرق السماوي) على المنتخب الهولندي بثلاثة أهداف مقابل هدف واحد، ليفوز بكأس العالَم، بقيادة المدرِّب سيزار لويس مينوتي. وقد عَمّ البلاد – بعدئذٍ – فرح غامر، وجنون عارم؛ كأنّ لاعبي المنتخب (فيلول، وأولغوين، وغالفيان، وباساريلا، وتارانتيني، وآرديليس، وغاليغو، وأورتيز، وبيرتوني، ولوكي، وكيمبس) قد أبعدوا كلّ الذكريات المرتبطة بحقبة الحكم العسكري، وأسدلوا الستار على مأساة آلاف المنشقين الذين فارقوا الحياة، والمواطنين الذين «اختفوا» فجأة، ويزيد عددهم على 30 ألفًا، فضلًا عن التعذيب والفظائع التي ارتكبها الجنرال رافاييل فيديلا في أثناء حكمه العسكري المستبد المجبول بالدم والعنف، الذي انطلقت شرارته في الرابع والعشرين من شهر آذار عام ألفٍ وتسع مئة وستة وسبعين عند تنحية إيزابيل بيرون.

ومازال ممكنًا مشاهدة عبارة «كأس العالَم القذر»، في شوارع بوينوس آيرس، مكتوبةً أسفل ملعب كرة قدم أخضر، والتاريخ (1978م) منقوش إلى جانبها.

ومع أنّ البلاد لا تزال في قبضة الحكم المستبد بعد عامين على الانقلاب، لكـن الحياة مستمرة. فبعد حيـن، أصبح خورخي وسيليا أبوين؛ إذ وُلِد رودريغو مارتن في التاسع من شباط عام ألفٍ وتسع مئة وثمانين، ثمّ وُلِد ابنهما الثاني، ماتيـاس هوراشيو، في واحدة مـن أحلك الساعات في تاريـخ البلاد. فقد قَدِمَ إلـى هذا العالَم في الخامس والعشرين من حزيران عام ألفٍ وتسع مئة واثنين وثمانين؛ أي بعد أحد عشر يومًا فقط من نهاية حرب فوكلاند.

حصـرت الأرجنتين التـي هُزِمت في الحرب خسائرَهـا (649 قتيلًا، وأكثر مـن 1000 جريح)، ولم ينسَ جميع الرجـال الذين أمضوا شهرين ونصف الشهر تحت القصف، حالةَ الهلع التي أصابتهم. لقد كانوا من المتطوعين الشباب الذين تنقصهـم الخبرة والمعـدات، وقد أُقنِعوا بالانضمام إلـى الجيش بحُجَّة الوطنية الزائفة؛ لكي يعيدوا غزو أرخبيل فوكلاند الذي تحتله بريطانيا منذ عام 1833م.

كانـت العمليـة روزاريـو، وهو الاسـم الذي أُطلِـق على الغـزو الأرجنتيني الرئيسـ بقيادة الجنرال ليو بولد غالتييري في الثاني من نيسان عام ألفٍ وتسع مئة واثنين وثمانين، واحدةً من المحاولات الكثيرة اليائسة التي قام بها المجلس العسكـري؛ بهدف صـرف انتباه الشعـب عن الكارثـة التي تَسبَّب بهـا برنامج الإصـلاح الاقتصادي الـذي قُدِّم عـام 1980م. فقد تمخّضت تلـك السياسات عـن تضخّـم بلغت نسبتـه 90٪، إضافـة إلى ركـود أصاب مختلـف القطاعات الاقتصاديـة، وارتفـاع الديـن الخارجي على الشـركات الحكوميـة والخاصة، وانخفاض قيمة الرواتب، وإفقار الطبقـة الوسطى (وهي ميزة يمتاز بها تاريخ هذا البلد، وتُميِّزه عن بقية الدول الأُخرى في أمريكا الجنوبية) تحديدًا.

كان من المفترض أن تُنسي الحرب النـاسَ مآسي الماضي، وتُوقِظ فيهم حسّ الوطنية، لكنّ غالتييري لم يكن جاهزًا بعدُ لمواجهة المرأة الحديدية مارغريت

تاتشر، ولم يأخذ قوة الجيش البريطاني في الحسبان. دحرت القوات البريطانية الجيشَ الأرجنتيني بعدها بأسابيع قليلة، وقد مثَّل ذلك كارثة للأرجنتين، أدّت لاحقًا إلى سقوط المجلس العسكري، والانتقال إلى النهج الديمقراطي في وقت لاحق من العام نفسه. ولا تزال مسألة استعادة جزر مالفيناس (الاسم الذي تُطلِقه الأرجنتين على جزر فوكلاند) قائمة حتى يومنا هذا.

عمدت الدولة إلى بناء نُصب في متنزه العلم الوطني بروزاريو؛ تكريمًا «للأبطال الذين يعيشون في جزر مالفيناس»، وينصّ دستور عام 1994م على أنّ استرجاع تلك المنطقة هدفٌ لا يجوز التخلّي عنه.

ولكن، عام 1983م، آلَ الفوز في الانتخابات إلى راؤول ألفونسو، وهو واحد من سياسيين قلائل لم يتورطوا مع الجيش، وقد أكَّد أنّ هدف قادته الوحيد من وراء الحرب هو تعزيز الاستبداد.

تمرّ أربع سنوات، وسيليا على وشك إنجاب طفلها الثالث، والوضع ما زال متأزمًا، فالأرجنتين على شفا حرب أهلية في أسبوع الآلام من عام 1987م؛ إذ ثارت على الحكومة مجموعةٌ من الضباط الشباب الذين أطلقوا على أنفسهم اسم كارابنتاداس (أي الوجوه المطلية) بقيادة العقيد إلدو ريكو، مُطالِبةً بإنهاء المحاكمات الخاصة بالخروقات التي طالت حقوق الإنسان إبّان حقبة الحكم العسكري. وفي الوقت الذي رفض فيه القادة العسكريون الانصياعَ لأوامر رئيس البلاد، نزل الناس إلى الشارع في محاولة لحماية الديمقراطية، وأعلن الاتحاد العام للعمّال عن إضراب شامل، ثمّ يظهر راؤول ألفونسو في الثلاثين من نيسان، مخاطبًا الحشد المتجمّع في بلازا دي مايو بقوله: «تمّت تسوية الأوضاع، أتمنى لكم عيد فصح سعيد»، لقد كانت عبارة سيسطرها التاريخ؛ لأنّ ذلك ما آلت إليه الأمور فعلًا.

لقـد تعيّن علـى الرئيس الذي لـم يكن ليقـوى على الجيشـ، الدخول في مفاوضات مع مجموعة كارابنتاداس، ووعدهم بإنهاء المحاكمات بحقّ العسكر.

ثمّ يأتي قانون (طاعة الأوامر) الذي يُخلي ساحة الضباط ومَنْ يتبع لهم، مِـن الفظائع التـي ارتكبوها؛ بوصفهم جنـودًا كانوا يُنفِّـذون الأوامر الصادرة عـن رؤسائهم. وقد بـدأ تطبيق هذا القانون في الثالـث والعشرين من حزيران عـام 1987م؛ وهو اليوم نفسه الذي أُدخِلت فيه سيليا قسم الولادة في مستشفى غاريبالـدي. وقد بقـى ولداها الآخـران – رودريغـو صاحب الأعـوام السبعة، وماتياس ذو الأعوام الخمسة – في المنزل مع جدّتهما، بينما اصطحب خورخي زوجتـه سيليا إلى المستشفـى. كان يودّ أن يُرزَق بفتاة بعد أن حباه الله بولدين، لكـنّ قدره كان أن يرزَق بولد ثالث. مرّت مـدة الحمل بهدوء وسلام، لكنّ الأمر تعقَّد في الساعات القليلة التي سبقت عملية الولادة؛ إذ شخَّص طبيب النسائية نوربيرتـو أوديتـو اعتلالًا جنينيًّا حـادًّا، فقرَّر تحفيز عملية الـولادة؛ لتجنّب أيّ تأثير طويل الأمد على المولود. يتذكّر خورخي هذا الموقف العصيب حتى الآن، والخوف الذي غلَّف تلك اللحظات، والرعب الذي شعر به عندما أخبره الطبيب بأنّـه سيستخـدم الملقط الطبي، ورجـاءَه للطبيب أن يبذل كلّ مـا باستطاعته لتجنّـب ذلك؛ لأنّه سمع قصصًا مخيفة عـن التشوّهات التي تَلحق بالمولود من جرّاء استخدامه. ولحسن الطالع، لم يُستخدَم الملقط في نهاية المطاف.

قبـل السادسـة صباحًا بدقائـق معدودات، وُلِـد ليونيـل أندرياس ميسي، وكان يزن ثلاثة كيلوجرامات، وبلغ طوله 47 سنتيمترًا، وغلبت على وجهه حُمرة كالطماطم، وكانت إحدى أذنيه مثنية بالكامل نتيجة تسريع عملية الولادة (أحد التشوّهـات الخلقية التي تـزول بعد ساعات قليلة عند معظـم المواليد). وبذا، حلَّت الفرحة مكان الخوف؛ فالوافد الجديد بصحة جيدة، على الرغم من لونه المائل للوردي قليـلًا.

أمّـا الوضع خـارج حـدود المستشفى، فيبـدو أنّـه كان أكثـر اضطرابًا؛ إذ انفجرت قنبلة في المدينة، وانفجرت أُخرى في شركة فيلا للمقاولات، حيث يعمل خورخي. ثمّ ارتفع عدد التفجيرات – التي جاءت ردّ فعل على قانون طاعة الأوامر– إلـى خمسة عشـر تفجيرًا في أرجاء البـلاد شتّى. ولحسن الحـظ، لم يمت أحد، فقـد اقتصرت الأضرار على الجوانـب المادية فقط. وفي واقع الأمر، فقد كشفت التفجيرات عن مدى انقسام البلاد الغارقة في غياهب الحكم العسكري والأزمات الاقتصادية الحادّة. وكان وزير التجارة المحلية قد أعلن توًّا تطبيق تعرفة جديدة لتسعير المواد الأساسية؛ ارتفع بموجبها سعر الحليب والبيض بنسبة 9٪، والسكر والذرة بنسبة 12٪، والكهرباء بنسبة 10٪، والبنزين بنسبة 8٪.

لقـد فاقم هذا القـرار من معاناة العائلات الكادحـة، مثل عائلة ميسي– كوشيتينـي، مع أنّها كانت تحصل علـى راتبيْنِ، ولا تدفع بدل إيجار للبيت الذي تسكنـه. فقد بنى خورخي البيت بمساعدة والده على مدار عطل أسبوعية عدة، علـى قطعة الأرض التي تملكها العائلة، وتبلغ مساحتها 300 متر. وقد تألّف هذا البيـت المبنـي من الطوب مـن طابقيْنِ وحديقـة خلفية وفـرَّت للأطفال مكانًا للعب، وهو يقع في حيّ لاس هيراس.

يصـل ليونيل إلى هناك في السادس والعشرين من حزيران بعد أن غادر وأمّه المستشفى الإيطالي.

وبعـد ستة أشهر من ذلك التاريخ، ظهرت صـور لليونيل في ألبوم العائلة، وكان يبـدو فيها ممتلئ الخـدود مبتسمًا، وهو مستلقٍ علـى سرير أبويه، يرتدي سروالًا أزرق صغيرًا، وقميصًا أبيض.

بدأ ليونيل بمطاردة أخويه عندما بلغ الشهر العاشر من عمره، وقد تعرّض وقتهـا لحادثتـه الأولى؛ إذ خـرج من المنـزل – لا أحد يعـرف السبب بطبيعة

الحال– ربّما للعب مع الأولاد الآخرين في الشارع الذي لم يكن قد مُهِّد حينها، ولم تكن السيارات تمرّ به بكثرة. وفجأة، تمرّ درّاجة هوائية فتسقطه أرضًا. ثمّ ينفجر باكيًا، ويُهرَع كلّ مَنْ في المنزل إلى الشارع. يبدو أنّ الأمر على ما يرام؛ إنّه مجرّد خوف اعتراه. لكنّه لم يتوقّف عن الشكوى طوال الليل، وأخذت ذراعه اليسرى تتورّم، فيأخذه والده إلى المستشفى ليلًا، ليتبيَّن أنّه يعاني كسرًا في عظم الزند، وأنّه في حاجة إلى جبيرة.

يشفى الكسر بعد بضعة أسابيع، ثمّ يحلّ عيد ميلاده الأول، فتشتري له خالاته وأعمامه قميصًا لأحد أندية كرة القدم، في محاولة مبكّرة لجعله يشجّع فريقه المستقبلي؛ نيولز أولد بويز. لكنّ الأمر لايزال مبكّرًا؛ إذ يُفضِّل ليو، الذي بلغ الثالثة من العمر الآن، اللعبَ بالبطاقات المصوّرة، وبأصغر الكرات حجمًا؛ وهي الكرات الزجاجية (الدواحل). وقد تمكّن من جمع كثير منها بعدما ربحها من زملائه في اللعب، وكان كيس الكرات خاصته مملوءًا على الدوام.

وفي المقابل، فقد كان الوقت متاحًا دائمًا للعب بالكرات المدوّرة؛ سواء في الحضانة، أو في المدرسة. ولمّا أهداه أبواه في عيد ميلاده الرابع كرةً بيضاء مرسومًا عليها ماسات حمراء، حدث أمر لافت غيَّر– على الأرجح– منحى حياته كلّها، فقد جاء اليوم الذي فاجأ به الجميع؛ والده وأخواه يلعبون كرة القدم في الشارع، وليو يُقرِّر مشاركتهم اللعب للمرّة الأولى. لقد كان فيما مضى يُفضِّل كسب الكرات الزجاجية. ولكن، ليس هذه المرّة. يقول خورخي: «ذُهِلنا عندما رأينا قدراته. كانت تلك المرّة الأولى التي يلعب فيها الكرة».

الفصل الثالث

أصغر اللاعبين

ظهيرة يوم صيفي من عام 1992م

يبـدو ملعـب غراندولي أجرد تقريبًـا، يكسوه كثير من التـراب، وقليل من المساحات الخضراء على الخطوط الجانبية. القوائم في حالٍ يُرثى لها، شأنها شـأن السياج، وشأن المبنى الذي يحوي غرف الغيار والحمّامات. لا يبدو الحيّ بأكملـه بحالٍ أفضل؛ محطـات مؤقتة لغسيـل السيارات تنتشـر عند تقاطعات جـادة غواتيريز، بائعو إطارات مستعملة، لوحـات تقول: «هنا نشتري الحديد»؛ أي محالّ خردة، حتى إنّ هناك قطعة من الكرتون تُعلِن عن توفير خدمة تنظيف الـكلاب. نشاهد في الخلفية أبراج البنـاء المشهورة التي تبدو مهجورة مع أنّها مأهولة؛ بيوت صغيرة ذات سقوف منخفضة افتقدت التألّق الذي كانت عليه في الماضـي، نباتات تنمو بين شقوق الأسفلت، نفايـات تصطلي بحرارة الشمس، رجال وعجائز عاطلون، فتيان يركبون درّاجات هوائية صغيرة لا تناسبهم. يقول أكبـر العجائز سنًّا: «لقد تغيّر الناس في هـذه الأنحاء»، ثمّ يضيف: «أصبح من المخيف التجوّل هنا ليلًا؛ لقد انتقل الأشرار إلى هنا».

الساعـة الثالثـة عصرًا، لا يوجد أحد في المـكان. ملعب كرة القدم خالٍ. لقـد غـادر الفتيان الذيـن يرتـادون المدارس المجـاورة، ثمّ يأتـون لممارسة

الرياضة في مركز أبانديرادو ماريانو غراندولي للتربية البدنية (سُمِّي بهذا الاسم تيمُّنًا بأحد متطوعي حرب عام 1865م الذين ضحّوا بحياتهم في سبيل الوطن). ولاعبو كرة القدم لا يأتون حتى الساعة الخامسة.

الشخص الوحيد الموجود في المكان هو معلِّم، يرتدي قميصًا أبيض، وبزّة رياضة زرقاء. يدلّنا على بيت يبعُد نحو 150 مترًا، هناك يقطن السيد أباريشيو؛ أول مدرِّب لليونيل ميسي.

يفتح أباريشيو الباب بيديه المبلَّلتين، فهو يُحضِّر الطعام لزوجته الكفيفة كلوديا. ومع ذلك، فهو يدعو ضيفه إلى الدخول. أربعة كراسيّ، كلب أبيض ضخم، رائحة نتنة تفوح في صالة ضيّقة يتوسطها تلفاز كبير. يبلغ سلفادور ريكاردو أباريشيو (ينادونه أبا) الثامنة والسبعين من العمر، لديه من الأبناء أربعة، ومن الأحفاد ثمانية، ومن أبناء الأحفاد أربعة؛ وجهه أعياه الزمن، وشاربه ذاوٍ، جسده ملتوٍ كسلك شائك، وصوته مرتجف كحال يديه.

عمل أباريشيو طوال حياته في سكّة الحديد. وقد ارتدى في شبابه القميص رقم 4 عندما لعب لنادي فورتن، ودرَّب الفتيان قبل أكثر من ثلاثين عامًا على ملعب غراندولي الذي يبلغ طوله 40 مترًا، وعرضه 7,5 أمتار.

تدرَّب على يديه المئات من الأطفال، بمَنْ فيهم رودريغو، وماتياس. كان الأخ الأكبر سريعًا قويًّا يلعب في مركز الوسط المتقدّم. أمّا الآخر فكان يلعب عند خط الدفاع. كانت الجدّة سيليا تصطحبهما إلى التدريب كلّ يوم ثلاثاء وخميس. وفي ظهيرة يوم صيفي، اصطحبت ليو معها.

«كنت في حاجة إلى لاعب لإكمال فريق مواليد عام 1986م. لقد انتظرْتُ اللاعب الأخير حاملًا قميصه بيديّ، في الوقت الذي أخذ فيه اللاعبون يقومون بعمليات الإحماء. لكنّ اللاعب لم يأتِ. وفي هذه الأثناء، كان هناك طفل صغير

يـركل الكرة علـى المدرّجات. لقـد كان الوقت يمرّ، وقلت لنفســي: اللعنة... لا أعرف إن كان يجيد اللعب. ولكن... أخيرًا، توجّهت صوب الجدّة التي بدا عليها الاهتمـام اللافـت بكرة القدم، قائـلًا لها: دعيه يُجرِّب حظّـه. كانت تودّ رؤيته وهـو يلعب. وكثيـرًا ما طلبَتْ إليّ - من قبلُ- أن أمنحـه فرصةً للعب. وكم مرّة التقيتهـا، فأخذَتْ تُعدِّد لي المواهب التي يمتلكها هذا الفتى الصغير. كانت أمّه أو خالتـه، لا أذكـر تمامًا. لم تكن ترغب أن يشـارك الآخرين في اللعب، وكانت تقـول: إنّه صغير جدًّا، والآخرون ضِخام. كنْتُ أُطمئنها قائلًا: سأقف هنا. وفي حال هاجموه، فسأوقِف اللعب، وأسحبه من الملعب».

وهكـذا تجـري أحداث القصــة التي يرويهـا السيد أباريشيـو، لكنّ عائلة ميســي- كوشيتينـي تصف الأحـداث بأسلوب مختلـف. «كانت سيليـا هي مَنْ أرغمـت أبـا على إشراكه عندما لم يأتِ ذلك اللاعـب. لم يُعجَب المدرِّب بتلك الفكرة؛ لأنّ (ليو) كان صغير الحجم. لكنّ الجدة أصرَّتْ قائلة: أشركه، وسترى مـدى مهارته. حسنًا، أجـاب أبا، لكنّي سأضعه قرب الخـط الجانبي، فإذا بدأ البكاء، فبإمكانك إخراجه من الملعب بنفسك».

لا يوجـد خلاف علـى ما جرى لاحقًا مـن أحداث. والآن، لنعـد إلى رواية المـدرِّب العجـوز: «حسنًا... أعطيتـه القميص، فارتداه. ثمّ جاءتـه الكرة أول مرّة، نظر إليها... من دون أن يُحرِّك ساكنًا».

نهضـ الـدون أبا، كما يُلقَّب هنا، عـن كرسيّه، ثمّ أخذ يُقلِّـد أصغر أفراد عائلة ميسي في نظرات الدهشة التي اعتلت مُحَيّاه، ثمّ جلس مرّة أُخرى قائلًا: «إنّــه أشول، لذلك لم يتمكّن من الوصول إلى الكـرة. عندما مرّت الكرة بقدمه اليســرى، تشبَّث بها، ثمّ تخطّى أحد اللاعبين، فآخر، فآخر. صرخْتُ به قائلًا: اركلهـا، اركلها. لقد كان خائفًا من أن يؤذيـه أحدهم، لكنّه واصل شقّ طريقه.

لا أذكر ما إذا سجَّل هدفًا حينها أم لا. ولكن، لم يسبق لي أن رأيت شيئًا مثل ذلك. قلت لنفسي: هذا لاعب أصيل، لن أدعه يغادر أرض الملعب أبدًا. لم أقم بتبديله قطّ».

يختفي السيد أباريشيو في غرفة أُخرى، ثمّ يعود حاملًا كيسًا بلاستيكيًّا، ويأخذ يُقلِّب في شريط ذكرياته. وأخيرًا، يجد الصورة التي يبحث عنها؛ ملعب أخضر، فريق يضم مجموعة من الفتيان الذين يرتدون قمصانًا حمرًا، شخص يبدو أنّه أباريشيو أيام الشباب، وأصغر الجميع سنًّا. لقد كان يرتدي سروالًا أبيض يصل إلى الإبطين تقريبًا، وقميصًا كبيرًا جدًّا، واعتلت قَسَمات وجهه ملامح الجدّ والصرامة، وكانت ساقاه منفرجتين. إنّه ليونيل؛ يبدو كطائر صغير، كبرغوث، مثلما كان يسميه أخوه رودريغو.

«كان من مواليد عام 1987م، لكنّه لعب مع فريق مواليد عام 1986م. كان أصغر اللاعبين سنًّا وحجمًا، لكنّه برز من بين الجميع. لقد عاقبوه من دون رحمة. ومع ذلك، فقد كان لاعبًا مميّزًا، يمتلك موهبة خيالية. لقد وُلِد، وهو يعرف كيف يلعب الكرة. كان الناس يحتشدون لرؤيته كلّما كنّا نلعب. لم يكن يعترض طريقه أيّ شيء عندما يستحوذ على الكرة. لقد فعل أشياء لا تُصدَّق، ولم يتمكّن أحد من إيقافه. كان يُسجِّل أربعة أهداف أو خمسة كلّ مباراة. وقد أحرز يومًا هدفًا في مرمى فريق أمانيسير لا نشاهد مثله إلّا في الإعلانات. إنّني أتذكّره جيدًا؛ لقد تخطّى الجميع، بمَنْ فيهم حارس المرمى. كيف كان أسلوبه في اللعب؟ لقد كان سيّد الملعب، لا يستطيع أحد مجاراته في اللعب، ما أبرز صفاته؟ كان فتى جادًّا، يقف دائمًا بهدوء إلى جانب جدّته. لم يكن يشتكي قطّ. كان يبكي أحيانًا إذا تعرّض للأذى، لكنّه كان يقف ويواصل اللعب بعدها. لذا، فأنا أُجادل الجميع، وأُدافع عنه عندما يُقال: إنّه يحبّ اللعب منفردًا، أو إنّه لاعب عادي، أو إنّه جشع».

تنادي عليـه زوجته من الغرفة المجاورة، فيختفي السيد أباريشيو هُنيهة، ثمّ يعود ليكمل حديث الذكريات.

يذكـر شريط فيديـو أضاعه، يحـوي كثيرًا مـن المباريـات المثيرة التي خاضهـا الفتـى. «كنـت أعرضه على الفتيـة؛ لكي يتعلّمـوا ما يمكـن القيام به بالكـرة». ثمّ أخـذ يتذكّر أول مرة عاد فيهـا ليو من إسبانيـا، وزيارته له: «لقد سـاد جوّ من الدهشـة والإثارة عندمـا شاهدني. وكنت قد ذهبـت صباحًا، ثمّ عدت في الواحدة ليلًا. أمضينا الوقت نتحدث عن حال كرة القدم في إسبانيا». يذكـر أيضًا حفـل التكريم الذي أقامه الحيّ لليونيل. فقد أرادوا منحه درعًا في ملعـب غراندولي، لكنّ ليو لم يتمكّن من الحضـور. ثمّ اتصل لاحقًا ليقول لهم: «أشكركم، ربّما في وقت آخر».

لا ينتـاب المـدرِّب العجـوز أيّ شعور بالمرارة فـي أثناء حديثـه عن ليو؛ فكلامه يدلّ على عِظم الحُبّ الذي يَكنّه للفتى الصغير الذي درَّبه سنوات.

«أجهشـت بالبـكاء عندما شاهدت – بالتلفاز- هدفـه الأول وهو يلعب مع فريـق برشلونة. سألتنـي ابنتي جينوفيفـا التي كانت في الغرفـة المجاورة: ما الخطـب يا أبتِ؟ قلت: لا شيء. إنّها الفرحة الغامـرة التي تسلّلت إلى مكنونات نفسي، وجعلتني أشعر بنشوة الانتصار».

يُخـرِج أباريشيو جوهـرة أُخرى من كيسه البلاستيكـي. إنّها صورة أُخرى للفتـى الأشقـر الصغيـر، وهو يرتـدي قميصًـا كبيرًا جـدًّا، وقد بـدت قدماه قصيرتين؛ ويحمل في يده كأسًا، لقد كان ذلك أول كأس يفوز به في حياته. كان حجم الكأس يُماثِل حجمه تقريبًا.

لـم يبلغ ليـو الخامسة من العمر بعدُ، لكنّه بـدأ – مع ذلك- يشعر بحلاوة الأهـداف، ولذّة الانتصارات على ملعـب غراندولي. ثمّ يحالفه الحظ في العام

المقبل؛ بأن أصبح والده هو المدرِّب. فقد قبل خورخي عرضًا من مدير النادي لتدريب أعضاء فريق مواليد عام 1987م، الذين لعبوا أمام فريق ألفي، غريمهم القادم من طرف المدينة الآخر؛ إنّهم يفوزون دائمًا.

يقول خورخي ميسي، بفخر نابع من كونه أبًا أكثر منه مدرِّبًا: «إنّهم يُحرِزون كلّ شيء؛ البطولة، والدورات، والمباريات الودية».

نبتعد قليلًا عن كرة القدم للحديث عن المدرسة. فقد اعتاد ليو الذهاب إلى المدرسة رقم 66، وتُدعى مدرسة لاس هيراس الحكومية، وعنوانها 4800 شارع بوينوس آيرس. وكان يصطحبه إلى هناك والدته سيليا، أو خالته مارسيلا، أو الجارة سيلفيا إريانو، والدة سنتيا، صديقة ليو المقربة. لقد كانوا يذهبون مشيًا على الأقدام، شاقّين طريقهم عبر الحقول الواسعة، أو من حول أطراف ملاعب كرة القدم الموجودة في الثكنات العسكرية التابعة لكتيبة الاتصالات رقم 121. ولم تكن تستغرق هذه الرحلة أكثر من عشر دقائق.

واليوم، ولدى الاقتراب من البوابة الرئيسة، أمكننا مشاهدة أصغر طلبة الصفوف سنًّا، وهم منشغلون بالرسم. يرتدي اثنان منهم قميص ميسي، في حين يلعب بعض الفتية في سرادق مغطّى كبير، مرتدين أطقمًا بيضاء، وهم في قمّة التركيز. وعلى الرغم من وجود قوائم للمرمى، إلّا أنّه كان ينقصهم كرة للعب. وقد استعاضوا عنها بكومة من الأوراق البنية التي لُفَّت معًا بلاصق.

كان هؤلاء الفتية يتحرّكون على نحوٍ يُشعِر الناظر بالدوار، غير آبهين بالحصى المؤذي. وقد امتازوا بمهارة المراوغة، وسرعة الالتفاف، والمحاورة. وها نحن نشاهد ابن خالة ليو، برونو بيانكوتشي من بين اللاعبين؛ وقد تصبَّب العرق منه بغزارة، ومال وجهه إلى الحمرة من فرط المجهود والتعب، وتدلّى شعره الأسود على مُحَيّاه، وزيَّن شحمة أذنه بقرط أبيض ذي خطوط وردية. ثمّ

مـا لبث أن أخبرنا رفاقه بأنّه الأفضل. وقد سبـق للصحف أن كتبت الكثير من المقـالات في مدحه، والإشادة به، وتوقّع أنّه سيكون خليفة ليو. أمّا مدرِّبوه فقد أجمعـوا علـى مهارته في اللعب، وعلـى موهبته التي تُضـارِع موهبة ابن خالته، فضلًا عن اتصافه بالخجل مثله. وكان يُصرِّح دائمًا بأنّه يحسد ابن خالته على روح المبادرة التـي يمتلكها، وعلى قدرته على تسجيل الأهداف. يلعب برونو في خط الهجوم أيضًا، وهو يودّ الانضمام إلى نادي برشلونة في يوم ما.

تحلّـق عدد مـن الأطفال حولنا، وكلّ يـودّ الإدلاء برأيه بشـأن الفتى الذي كان يرتـاد مدرستهم حتى وقت قريـب. بالنسبة إلى بابلو ذي الأحد عشر ربيعًا فالأمـر واضح تمامًا: «لديـه قدرة ليكون الأفضل في العالَم. إنّه أفضل حتى من مارادونـا. أكثر ما يعجبنـي فيه هو سرعته، إنّه خارق». أمّا أوغستين ذو التسعة أعـوام، فقد راوده شعـور بالقلق، وهو قلق يُؤرِّق حال الكثيـر من الأرجنتينيين: «بـدأ مارادونا حياته مع نادي أرجنتينيوس جونيـورز. أمّا ميسي فمع البارسا». بعيد جدًّا عن هنا من دون شكّ.

وفي المقابل، فإنّ كثيرًا من الفتيات اللاتي كُنَّ يَشعرْنَ بالخجل أكثر قرَّرْنَ الانضمـام إلى التجمّع. وقد كشفت آراؤهنّ عـن كثير من التضارب والتعارض؛ فبعضهنّ يعتقدْنَ أنّه وسيم، في حين تعتقد أُخريات أنّه قصير جدًّا.

حان الآن وقت الاستراحة، فأخذ التلاميذ الصغار يطاردون بعضهم بعضًا حول شجرة معمّرة. ويومًا ما، كان ليو يراوغ حول جذع هذه الشجرة الضخم في أثناء مطـاردة الكرات المصنوعة من الورق والبلاستيـك. إنّ أجمل الذكريات بالنسبة إليه – في تلك السنوات– كانت لعب كرة القدم بأيّ أداة أو شيء متوافر آنذاك. وقد صرّح مرارًا أنّه لم يكن متعلّقًا بالدراسة.

أكّـدت هذه المعلومة مونيكا دومينا؛ المعلّمة التي درَّسته من الصف الأول

إلـى الثالث، بقولها: «لم يكن ليو مجتهدًا في الدراسة، لكنّ مستواه كان مقبولًا. وقـد واجـه صعوبة فـي القراءة بدايـة الأمر. لـذا، نصحت والدتـه بأخذه إلى اختصاصـي نطق. لقد تمكّـن من التحسُّن شيئًا فشيئًا فـي بقية المواد، مع أنّه لـم يُحقّق نتائج متقدّمـة. كان ليو طفلًا هادئًا لطيفًا خجـولًا، ولم يسبق لي أن شاهـدت طالبًـا خجولًا مثله طوال حياتي المهنية. لقـد كان مُقِلًّا في حديثه، لا يتكلّـم إلّا إذا خاطبه أحدهم، وكان يجلس بهدوء في مقعده آخر غرفة الصف. وفـي المقابل، كان أكبر الطلبة سنًّا يتنافسون معه على المشاركة في البطولات التـي تشارك فيها جميـع المدارس في مدينة روزاريو. لقـد كان ماهرًا بطبيعة الحـال، وتمكّـن من نيل كثير مـن الكؤوس والميداليات، لكنّني لـم أسمعه يومًا يتفاخر بطريقة لعبه أو أهدافه».

الفصل الرابع

كما هو الحال دائمًا

حوار مع صديقة الطفولة

عيناهـا زرقاوان برّاقتان، وتقاسيم وجهها جميلـة، وجسمها نحيل. كانت تقطـن فـي منزل متواضـع يقع عند ممـرّ إيبانيـث، ويحمل الرقـم 510، حيث اعتادت أن تستقبل فيه زائريها بابتسامة عذبة. كان هناك أيضًا كلب أسود يهزّ ذيله، ويتفحّص الوافد الجديد قبل أن يغادر غرفة الجلوس الفارغة مُتّجهًا إلى الباحة التي تقع خلف باحة منزل عائلة ميسي.

تقـول سينتيا (صديقة ليو منذ الصغـر): «والدتي ووالدته مثل الأخوات». وقـد حملت سيلفيا إريانـو بسينتيا في الوقت نفسه الذي كانت فيه سيليا حاملًا بليـو. تشرح سيلفيا هذا الأمر قائلة: «كنّـا نرافق بعضنا على الدوام؛ إذ اعتدنا أن نذهـب إلى التسوّق معًا، ونتكلّم عن مستقبل أبنائنا؛ فسينتيا هـي بكري. لقد كنت أنا وسيليا صديقتين حميمتين».

تضع كوبًا من الصودا على الطاولة، ثمّ تأخذ تحاوِر ابنتها الكبرى صاحبة الاثنيـن والعشرين عامًـا، التي صاحبت ليـو في مرحلتي الحضانـة والروضة، فضلًا عـن مرحلة الدراسة الابتدائيـة، ناهيك عن مشاركتـه الاحتفال بأعياد الميلاد والحفلات والمباريات.

بماذا تميَّز ليو في صغره؟

«لقـد كان خجـولًا جـدًّا وقليل الكلام، ولكنّـه كان مُتألِّقًا عنـد لعب الكرة فقـط. أتذكّر أوقات الاستراحة عندما كان رؤساء الفرق يختارون أفراد الفريق ويختلفـون؛ لأنّ كلاًّ منهـم يرغـب في ضمّ ليو إلـى فريقـه؛ إذ اشتُهِر بتسجيله الكثيـر من الأهداف. وبـذا، فإنّ وجوده مع أيّ فريق يضمـن له الفوز. لقد كان شغوفـًا بكرة القـدم، وكثيرًا ما تخلَّف عن المشاركة فـي حفلات أعياد الميلاد لحضور مباراة أو تمرين».

كيف كان في المدرسة؟

«لقـد كنّا ننعته ببيكيه (الثمـرة الصغيرة)؛ لأنّـه كان أصغرنا حجمًا. لم يكـن ليو يحبّ اللغات ولا الرياضيات، لكنّـه كان ماهرًا في مواد التربية البدنية والفنون».

يقولون: إنّكِ كنْتِ تساعدينه...

«هـذا صحيح، أحيانًا... فقد كان يجلس خلفي أيام الامتحانات، ويسألني عـن إجابة أيّ سؤال غير متأكّد من إجابته. وكنـت حينها أُغافِل المعلّمة وأُمرِّر لـه مسطرتي أو ممحاتـي، التي كتبْتُ الإجابـة عليها. كنّا أيضًا نحـلّ واجباتنا المنزلية وقت الظهيرة معًا دائمًا».

بعد ذلك، تفرّقتما في المرحلة المتوسطة، وذهب ليو إلى برشلونة...

«حقًّـا، فقد بكينا جميعًا في ذلك الصيف حين غادر وعائلته إلى إسبانيا. لـم أُصدِّق مـا جرى، وكنْتُ على وشـك فقدان أعزّ أصدقائـي. وكثيرًا ما كانت تنتابنـا مشاعـر جيّاشة حين نتحدّث بالهاتف، وكنت أشعـر في هذه الأثناء أنّه يجد العيش في أوروبا أمرًا صعبًا. ولكن، عندما عاودنا الاتصال والتحدّث مرّة

أُخرى، أدركت أنّ هذه الرحلة تُمثّل تجربة مهمة بالنسبة إليه، فقد ساعدته على النضج بصورة كبيرة. لقد كان هذا الأمر مرهقًا ومحبِطًا لعائلته، لدرجة أنّ سيليا وماريا سول عادتا إلى هنا. وقد أسرَّ لي أنّه أَلِفَ الأمرَ هذا؛ لأنّه كان يلعب كرة القدم مع فتية من أبناء جيله. فقد كان ذلك أمرًا أساسيًّا بالنسبة إليه. أراد ليو أن يصبح لاعب كرة قدم، ونجح في ذلك حقًّا».

تغادر سينتيا الغرفة، ثمّ تعود حاملة ملفًّا مليئًا بالصور وقصاصات من الصحف. تُظهِر إحدى هذه الصور الاثنين معًا حين كانا طفلين؛ ليو يرتدي مريولًا أزرق وبجانبه دمية، ومن ورائهما دمية تُمثّل عروسًا ضخمة، وبجانبه سينتيا، ذات الشعر المجدول، وهي ترتدي حفاظة. هناك صورة أُخرى تجمعهما بأقرانهما في الحضانة عام 1992م، يظهر فيها الجميع وهم يرتدون زِيًّا أزرق اللون.

نشاهده في صورة أُخرى متأنقًا لحضور المهرجان (الكارنفال)، وهو يرتدي خوذة شرطي، ويضع شاربًا مزيفًا، في حين تردي سينتيا ثوبًا أبيض، وتضع نظّارة كبيرة على عينيها.

أمّا بالنسبة إلى قصاصات الجرائد فتحمل عناوين عدّة، مثل: مارادونا الجديد، وميسي الخارق، ومن أيّ كوكب أتيت، وصولًا إلى العناوين التي نُشِرت في شهر تموز من عام 2005م، حين فاز برفقة المنتخب الأرجنتيني بكأس العالَم لفئة الشباب دون سنّ العشرين.

«لقد أشرفْتُ شخصيًّا على تنظيم الحفلة التي أُقيمت هنا في الحيّ؛ إذ مررنا بالجيران كافة، وجمعنا المال اللازم لشراء النثار[١] والألعاب النارية

(١) قطع من الأوراق الملونة تنثر على العروسين (المراجِع).

والطلاء. وقد كتبنا: «ليو، فخر الأمّة» بطلاء أبيض على الأرض، ثمّ رفعنا لافتة على أعمدة الشارع تقول: «أهلًا بالبطل».

كان من المفترض أن يصل الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وقد حرص سكان الحيّ جميعًا على استقباله، مع أنّ الفصل كان شتاءً، والبرد قارسًا، لكنّ ليو لم يصل. فعاد بعضهم إلى دياره من جرّاء التعب. أمّا نحن فقد بقينا ننتظر حتى الساعة الخامسة صباحًا، وحينئذٍ، دخلت شاحنة بيضاء الشارعَ مُطلِقةً العنان لبوقها. في تلك اللحظة، أُضيئت كاميرات التصوير جميعها. ثمّ بدأ الناس بالصراخ، وإطلاق الألعاب النارية، وقرع الطبول مُنشِدين «ليو هنا، ليو هنا». لقد كان مرهقًا، ولم يكن يتوقّع أن يحظى بمثل هذا الاستقبال، لكنّه كان سعيدًا جدًّا».

ثمّ أخذنا نُقلّب قصاصات وصورًا أُخرى لليو، ولفت انتباهنا بعض التعليقات الشديدة اللهجة التي انتقدته على إثر مباراة الأرجنتين وألمانيا في كأس العالَم عام 2006م، مُذيَّلة بصورة يظهر فيها جالسًا وحده على الدكة.

«لقد نعتوه بالتسرّع والانفعال، وعدم التعاون مع الفريق. لقد تكالبوا عليه، لكنّه لم يكن كذلك. لا يمكن لأحد أن يعرف مكنونات نفسه ومشاعره إذا لم يعرفه أو يخالطه بصورة شخصية. يميل ليو إلى الانعزال إذا لم يُحسِن اللعب جيدًا، فينسحب، مبتعِدًا عن الجميع. إنّه يتصرّف على هذا النحو منذ زمن؛ حتى معي أنا. لقد كان من المستحيل معرفة مشاعره الداخلية. ولكن، على الرغم من ذلك، فقد نجح دائمًا في رسم الابتسامة على مُحَيّاي».

هل تغيّر فيما بعد؟

«لا، فقد ظلّ كما عهدته؛ خجولًا، وهادئًا. إنّه ليو نفسه الذي ترعرعت معه. الفرق الوحيد هو أنّه كان – فيما مضى- يأتي إلى هنا، ثمّ يركب درّاجته

الهوائيــة متوجِّهًا صوب البلدة. أمّا الآن فهو يقود سيــارة؛ لأنّ الناس لا يدَعونه وشأنــه. إنّه لا يـكاد يتخيّل الصخب والتزاحم الذي يتولّــد لحظة حضوره. فقد أضحــى مَنْ كانوا - في يوم ما- فقط جيرانه وســكّان حيِّه، مِن أشدّ المعجبين به، الذين يحرصون على التقاط الصور معه. أمّا المشجعون فقد كانوا ينتظرون أمام بيته لإلقاء التحية عليه. في حين يرغب الأولاد كافة في أن يصبحوا مثله. وكثيــرًا ما يعتريني شعور بالدهشة حيــن أسمع تعليقات الآخرين، وهو يلعب في إسبانيــا، أو مع المنتخب الوطني. لذا، فعندما يسألني أحد عنه، أُوثر السكوت؛ فأنا لا أريد أن يعتقد أحد ما أنّني أسعى إلى نشر الأقاويل عنه، أو أحاول جذب الانتباه إلــيّ. قطعًا لا، فليو بالنسبة إليّ إنسان متواضع، وصديق قديم، ولايزال غير قادر على إدراك الشهرة التي نالها».

الفصل الخامس

عاشق نـادي نـيولز

الالتحاق بنادي نيولز في الحادي والعشرين من آذار عام 1994م

راؤول: «لطالمـا كان هنـاك كثير مـن الأرجنتينيين الطيبيـن من حولي، مثـل: فالدانو الـذي منحني فرصة اللعب مـع ريال مدريد أول مـرّة، ورودندو، والأرجنتينييـن الذيـن لعبـوا معي في الفريـق. وكلّ هؤلاء تربطنـي بهم علاقة وطيـدة. أتمنى لـو أزور الأرجنتين قريبًـا لأستمتع بكرة القدم هنـاك. أريد أن أشاهد مباراة لنادي بوكا جونيورز، أو ريفر بلايت».

«أو نيولز»، يضيـف: ميسي بصوت خافت. لا يفوت (البرغوث) أيّ فرصة للتأكيـد على عشقه للفريق الـذي يرتدي اللونين: الأحمـر والأسود، لدرجة أنّه ذكر الفريـق الذي يعشقه في حدث إعلامي جمعـه بالقائد السابق لنادي ريال مدريـد (صاحب الرقم 7 وفي نادي شالكه الألماني 04). ويُعَدّ هذا الأمر حدثًا طبيعيًّا؛ فالعائلة بأكملها تعشق نادي نيولز، ولعب والده خورخي مع فريق النادي مُـذْ كان في سنّ الثالثـة عشرة حتى التحاقه بالخدمـة العسكرية. لقد لعب في خط الوسط، وكانت لديـه مهارات فائقة في كشف الملعب، وميول دفاعية أكثر منهـا هجومية، لكنّه لم يلعب ضمن فئة المحترفيـن. وقد انضم رودريغو أيضًا إلى مدرسة كرة القدم بالنادي في سنّ السابعة، ثمّ تبعه ماتياس في ذلك.

وصـل ليو من ملعب غراندولـي مباشرة عام 1994م، حيـث يعرفه كشّافو النـادي حقّ المعرفة. وكانوا قـد طلبوا من أشقائه مقابلته وتعريفهم به للتحقّق مـن صحة ما يشاع عن موهبتـه الفذّة، وقد أسفر ذلك الأمـر عن تمكّن أصغر أفـراد عائلـة ميسي مـن لعب ثمانـي مباريات ضمـن تشكيلات عـدّة من فرق الرديف التابعة للنادي، وقت الظهيرة والمساء على مدار شهر كامل.

لقـد كان اختبـارًا مكثّفًا، لكنّ ليو لا يُخيِّب الآمـال. فقد رأى المدربون في نادي نيولز أنّه خارق للعـادة، وأوصوا بضمّه إلى مدرسة مالفيناس لكرة القدم التي ترعى اللاعبين الصغار. لم يكن ليو قد بلغ السابعة من العمر بعد؛ ما حتم على إدارة النادي أخذ موافقة الأهل، وهو أمر لن يُشكِّل معضلة؛ نظرًا إلى شغف العائلة بكرة القدم.

يسـرد أباريشيو، المدرِّب العجـوز، الأحداثَ في ملعـب غراندولي قائلًا: «جاءني والده، وقال لي: سآخذه لنادي نيولز. ماذا عساي أقول في تلك الحالة؟ حسنًا... فلتأخذه إذن!».

في الحادي والعشرين من شهـر آذار عام 1994م، أصبح ليونيل أندرياس ميسي، صاحب الرقم 992312، عضوًا في نادي نيولز أولد بويز الرياضي.

يُعَـدّ ناديـا نيولز، وروزاريو سنتـرال الغريميْن التقليدييّـنِ اللذيْنِ ينقسم عليهما أهل روزاريو. أُسِّس نادي روزاريو سنترال الرياضي في الرابع والعشرين مـن كانـون الأول عـام 1889م، وحمـل اسـم نادي سنتـرال أرجنتيـن ريل واي الرياضـي (الشركة الرئيسة لسكك الحديد فـي الأرجنتين) الذي أطلقه عمّال سكة الحديد الإنجليز الذين كانوا يعملون لدى الشركة. وكان أول رئيس للنادي هـو كولن باين كالـدر. ثمّ تغيَّر اسم النادي لاحقًا بعد دمـج شركتي فيروكاريل

سنترال أرجنتينو، وبوينوس آيرس لسكك الحديد عام 1903م. ومنذ ذلك الحين، أصبح يُعرَف باسم نادي روزاريو سنترال الرياضي.

يمتاز لباس هذا النادي بلونيه: الأزرق، والذهبي. وقد خرج من لدنه كثير من اللاعبينَ الكبار، أمثال: ماريو كيمبس، ولوتشيانو فيغاروا، وخوزيه تشاموت، وكريستيان غونزاليس، وروبرتو أبودنزيري، وروبرتو بونانو، وسيزار دلغادو، ودانيل دياث، ودانيل بيدرو كيلر، وخوان أنتونيو بيتزي، وسيزار لويس مينوتي.

يُعَدّ أرنيستو تشي غيفارا أحد أبرز مشجعي النادي، وقد وُلِد في روزاريو في الرابع عشر من حزيران عام 1928م، وكان أول بيت يقطن فيه هو شقّة في شارع إنتري ريوس تحمل الرقم 480. وفي مكان ليس بعيدًا عن تلك الشقّة، توجد جدارية رسمها الفنان ريكاردو كارباني تخليدًا لذكرى (تشي)، في ساحة كوبراسيون (التعاون) بالمدينة.

أمّا روبرتو فونتاناروسا الملقب بالنيغرو فيُعَدّ هو الآخر أحد المشاهير المناصرينَ للنادي، وأحد أعظم فناني الرسوم الساخرة (الكاريكاتير) والكتّاب في البلاد، لكنّه توفي عام 2007م.

تأسّس نادي نيولز في الثالث من تشرين الثاني عام 1903م، وقد أشرف على تأسيسه كثير من الأساتذة والطلبة وخريجي المدرسة الإنجيلية التجارية الأرجنتينية، التي أسّسها آيزاك نيول، المولود في مقاطعة كنت بإنجلترا، في روزاريو عام 1884م. تقول الأسطورة: إنّه كان أول مَنْ أحضر الكرة الجلدية وقوانين كرة القدم الرسمية إلى الأرجنتين.

بدأ الطلبة في مدرسته – بمَنْ فيهم ابنه كلاوديو، مسؤول الترويج في النادي – لعب كرة القدم، ثمّ قرّروا بعد ذلك تأسيس النادي. وبذا، فقد سُمِّي

النـــادي بنيولــز أولد بويز (أبناء نيــول القدماء)؛ تكريماً لــلأب المؤسس، وهو يمتاز بلباسه ذي اللونين: الأسود، والأحمر.

يغيظ مشجعو نيولز نظراءهم من مشجعي روزاريو سنترال بحقيقة مفادها أنّ دييغــو أرماندو مارادونا لعب لنيولز في يوم من الأيام؛ حتى لو اقتصر الأمر علــى خمس مباريات رسمية واثنتين ودّيتين. كان ذلك عام 1993م، بعد أن عاد (الفتى الذهبي) من رحلــة احتراف في أوروبا بدأها مع نادي برشلونة، وانتقل مــن هناك إلى نادي نابولي، ثمّ أنهاها في نادي إشبيلية. وباستثناء دييغو، لعب للنـــادي كثير من الأسماء البارزة، أمثال: غابرييل باتسيتوتا، وخورخي فالدانو، وأبـل بالبو، وماكسي رودريغز، وسيرخيو أليمــرون، وموريسيو بوكوتينو، وخوان سيمون، وروبرتو سنسيني، وخورخي غريفا، ووالتر صامويل، وأميريكو غاليخو، ومارتينو الملقب بتاتا.

يُذكَر أنّ أنصار النادي يلقَّبون بالمجذومين. إنّه شيء غريب لكنّه واقعي. وهو لقب ينطوي على إساءة، لكنّه أصبح مع مرور الزمن أحد رموز النادي. ولأن هذا الأمر يحتاج إلى تفسير، فقد عمد أنصار نادي نيولز إلى توضيح ذلك عن طريــق الموقع الإلكتروني الذي أُنشِئ بمناسبة مرور مئة عام على ممارسة لعبة كرة القدم في النادي.

وبنــاءً على رواية أجدادنــا – التي تُعَد أسطورة متداولــة منذ زمن بعيد- أرادت اللجنــة الخيرية النسائية بمستشفى كاراسكو إقامة مباراة خيرية يذهب ريعهــا لعــلاج المرضى الذيــن يعانون مرض هانســن، أو كما هــو معروف بين الناس بمرض الجذام.

ارتــأت اللجنة تنظيم مباراة لأكبر فريقين فــي مدينة روزاريو. لذا، جرى مخاطبة المسؤولين في كلا الناديَيْنِ للحصول على موافقتهم لإقامة المباراة.

قبل نيولز الدعوة فورًا، لكنّ الطلب جوبه بالرفض من سنترال؛ ما يُعَدّ أول إشـارة إلى المشـكلات التي ستحلّ بالنادي الذي يتميَّـز لباس لاعبيه باللونين: الأزرق، والذهبـي. أصبح أنصار سنترال بذلك يوصفون بأنذال المدينة؛ وذلك جعل أنصار فريق الأحمر والأسود يشمتون بهم. ولكن أنصار سنترال ردّوا على ذلـك بقولهم: لأن أنصار نيولز متحمسون جدًّا للعب تلك المباراة تحديدًا، فلا بُـدّ أنّ سبب ذلك هو إصابتهـم بالجذام. ومن حينها بدأ أنصـار نيولز يلقّبون بالمجذوميـن، فـي حيـن نُعِت أنصـار سنترال بالأنـذال. ومع أنّ تلـك القصة أصبحـت من أكثر القصص انتشارًا على مرّ السنين (قد تكون حقيقية فعلًا)، ولكن لدى كبار السنّ في روزاريو تفسير مختلف للسبب الذي دفع النـاس – منذ الأزل– إلـى تسميـة أنصار نيولز بالمجذومين؛ حتى قبـل تأسيس النـادي مطلع القرن العشرين، حين كان يُدعى مؤسسة روزاريو التعليمية فحسب.

تقـول القصـة: إنّ القضيـة تدور حول واقـع كان سائدًا فـي ذلك الزمن، يتمثَّل في عدم وجود أسوار عالية تفصل بين البيوت في أحياء روزاريو، واعتياد الجيـران تجاذب أطراف الحديث مع بعضهم بعضًـا من فوق الأسوار بالوقوف علـى أطراف أصابعهم، أو بالصعود على مناضد بجانب السور المذكور أعلاه. وهـذا يعنـي – من ناحيـة أُخـرى– أنّ انتشار الجـذام بين شريحـة واسعة من السكان كان أمرًا سهلًا، ولم تُستثنَ روزاريو من هذا الوضع. ونظرًا إلى خطورة هـذا المرض، الذي ظهر منذ غابر الأزمان؛ فقـد كان يُعزَل كلّ مَنْ يصاب به، ويوضَع في مكان بعيد بمنأى عن مرأى الآخرين ومخالطتهم.

ولأن المارّيـنَ بمحـاذاة مدرسـة السيـد آيزاك نيـول، يلاحِظـون السور الضخـم الصُّلْـب الذي يحيط بها، فقد أصبح لديهم اعتقـاد راسخ بأنّ المكان ملـيء بمرضى الجـذام المعزولين بعيدًا خلف هذا السـور. لذا، وبناءً على كلتا القصتين، أصبح أنصار نيولز أولد بويز يُعرَفون بالمجذومين.

ذلك هـو اللقب الذي سيُلازِم ليونيل عندما تجري معه صحيفة لا كابيتال - التي تصدر في روزاريو- حوارًا للمرّة الأولى. فبعد مرور ستة أعوام على تلك القصـة، وبعد خوض ست بطـولات للفريق الرديف، وإحراز نحو 500 هدف، ها هو ذا يحصل على شرف الظهور في الصحافة المحلية.

لوحات جدارية باهتة لفريـق الأحمر والأسود، وعبارة (قوة المجذومين) مكتوبـة علـى قبضـة مرسومة على أحـد الأسوار، لا بُـدّ أنّه من عمـل الأنصار المشاغبيـنَ. ثمّ نجد فوق الحاجز لافتة تقـول: «مدرسة مالفيناس لكرة القدم في نادي نيولز أولد بويز».

أرضيـة الملعـب في حالة يُرثى لهـا، لكنّ ذلك – على ما يبـدو- لا يُزعِج الأطفـال الذين يلعبون هناك. يتعيّن عليهم بذل قصـارى جهدهم؛ فالمدرِّبون فـي النادي قد جاؤوا لإجراء التجـارب. سرير صدئ مهجور في الزاوية بجانب غرف تغيير الملابس. وعلى الجانب الآخر، على طول جادة فيرا موخيكا، يوجد ملعبان آخـران مهجوران أيضًا. يقول بعضهم: إنّ الأمـوال التي يجنيها النادي من بيع التذاكر الموسمية والعادية، وبيع عدد كبير من اللاعبينَ للأندية خارج الأرجنتيـن؛ لا تُستغلّ هنا في المدرسة، حيـث تُدرَّب الأجيال اليافعة. ذلك أمر جلـيّ للعيان؛ مـع أنّ الواقع لم يختلف كثيرًا عن تلك الأيام حين لعب ليونيل أول مواسمه مرتديًا القميصـ ذا اللونيْنِ: الأحمر والأسود. قد يُعزى الأمر ببساطة إلـى وجود حماس أكبر فـي الماضي؛ أشخاص أكثر يعملـون بصدق، ومديرون يرضـون بمال أقل. لندع عنّا ذلك، ولنتحدّث عن ذلك العام، حين بدأ على نحوٍ جيـد، وانتهـى بخسارة على يد تيرو سويزو بنتيجـة 0-3. نعم، لقد خسر الفتية اللقـب، لكنّهم تعلّموا من أخطائهـم، بدليل خسارتهم مبـاراة واحدة فقط في المواسـم الأربعة التي أعقبت ذلك، كانـت على يد زملائهم في التدريب، فريق نيولز ج.

حصل الفريق على لقب (ماكينات 87) بفضل تلك النتائج المذهلة. وكان أكبر مصدر للرضا بالنسبة إلى ليو، هو الكأس التي تشبه الدلفين، والتي حصل عليهــا الفريق بعد فوزه بلقــب دورة كانتولا التي أقيمت فــي العاصمة البيروفية ليما عام 1996م.

شــارك في هذه الدورة أكثر من 25 فريقًــا، تُمثِّل دولة كلّ من: الأرجنتين، وتشيلــي، والإكوادور، وكولومبيــا. وقد تمكّن فريق نيولز مــن الظفر باللقب في نهايــة المطاف. وفــي المقابــل، استحوذ ميســي الصغير على اهتمــام وسائل الإعــلام بالحيل التي قــام بها باستخدام الكــرة، فضلًا عن أمــور أُخرى. كان ليــو يقــوم بركل (تنطيــط) الكرة عاليًــا في أثنــاء التدريبات وقبــل المباريات مــن بــاب الترويح عن نفسه. وقد لفتــت هذه المهارة انتبــاه الجميع؛ حتى كبار مسؤولــي النــادي، لدرجة أنّــه سرعان ما طُلِب إليه - مرّات عــدّة- الترفيه عن الجماهيــر فــي أثنــاء استراحة ما بيــن الشوطين فــي مباريات الفريــق الأول. وكانــوا حينهــا يعلنــون عــن اســم ميسي بوساطــة مكبّــرات الصــوت، فيخرج مــن بيــن المدرّجات، ويَغُــذّ الخطا حتــى يصل منتصــف الملعــب لاستعراض بعض الحيــل بالكــرة، ويُبهِــر الجمهــور بحركاته. وفــي تلــك الاستراحة التي تخلّلــت الشوطيــن، وقعــت عيــون المجذوميــن أول مرّة علــى مَنْ سيُشــار إليه - في يوم من الأيام- بليونيل ميسي العظيم.

يتذكّر المدرِّب الثاني لليو في نادي نيولز، أرنيستو فيكيو، الأمرَ وهو محاط بالسيــارات الأمريكيــة القديمة في ورشــة التصليح خاصته، قائــلًا: «لقد كان خارقًا وحكيمًا. فإضافة إلى سرعته، ودقته في تمرير الكرة، كان يلعب من أجل زملائــه فــي الفريق، على الرغم مــن قدرته على تخطّي نصــف فريق الخصم وحده.

أذكر مرّة أنّه تلقّـى الكرة من حارس المرمى في المنطقة الخلفية لملعب المدرسة الرئيس، ثمّ ركض على طول الملعب كلّه، حتى تمكّن من تسجيل هدف خيالي. لم يكن ليو في حاجة إلى تعلُّم أيّ شيء. فهل يحتاج لاعب مثل مارادونا أو بيليـه إلى التعلّم لإحراز هدف؟ توجد بعض الأمور البسيطة فقط التي يتعيّن على المدرِّب التركيز عليها».

وقـد تبيَّـن أنّ الأيام حُبلى بكثير من الذكريـات المرتبطة بهذين العامين اللذيـن درَّب فيكيـو فيهما ليو، مـن سنّ التاسعة حتى سـنّ الحادية عشرة. من ذلـك، دورة بالكيرس التي أطاح فيها فريق نـادي نيولز من مواليد عام 1987م بفرق مثل بوكا جونيورز، وأندبندينتي، وسان لورينزو.

يقول لوتارو فورميكا، أحد مدافعي فريق ليو: «لم تكن الكرة تأتي باتجاهنا. أذكر أنّ روداس وميسي كانا يدمران الفرق المقابلة. كان الخصوم يبتعدون عن ميسي حين يحصل على الكرة. وكنّا نحن – معشر المدافعين- نشعر بالملل في بعض الأحيان».

وفـي المقابل، كان حال النجم الآخر في الفريـق، غوستافو أرييل روداس الملقَّـب ببيلي، مغايِرًا لحال ليو. وقد مثَّلـت حالته دليلًا على أنّ موهبة اللاعب الطبيعية لا تكفي وحدها لتحقيق النجاح.

ينحـدر بيلـي، لاعـب خـط الوسـط المهاجـم فـي فريـق 86، وصاحـب القـدرات الفنيـة العاليـة، مـن روزاريـو أيضًـا، لكنّه وُلِـد في إحـدى البلدات المليئـة بالأكـواخ. أصبـح هذا اللاعـب بديلًا فـي الفريق الأول لنـادي نيولز، ورُزِق مولـوده الأول وهـو فـي سـنّ الرابعة عشرة. ثـمّ لعب ضمـن الفئة الأولى أول مـرّة عندما كان في سـنّ السادسة عشرة، حيث توقَّع لـه الجميع مستقبلًا مشرقًـا. والآن، وبعد أن أصبح لديه طفلان، وبلغ سـنّ الثانية والعشرين؛ طواه

النسيـان. يشـرح فيكيو هـذا الأمر قائـلًا: «يحدث ذلـك لكثير مـن اللاعبينَ الذيـن ينحدرون من العشوائيات وبؤر الفقر. ومع أنّ كرة القدم تساعدهم على نسيـان البؤس الذي كان يلف حياتهـم، فإنّهم يعودون إلـى العشوائيات إذا لم يتكيفـوا مع الأمر لاحقًا، فضـلًا عن وقوعهم في مستنقـع الكحول والمخدرات والإحبـاط. وممّا لا شـكّ فيه أنّ تلقّي التعليم يُعَدّ علامـة فارقة؛ فقد حظي ليو - علـى سبيل المثال- بأب وأم قامـا بدعمه ومساعدته ليصبح على ما هو عليه اليوم. وأنا أومن كثيرًا بأنّ توافر الأجواء العائلية المستقرة، أحد أسباب النجاح للاعب كرة القدم».

لـدى أرنيستـو فيكيو متسع مـن الوقت ليخبرنـا بقصة أُخـرى؛ تُعَدّ أكثر قصصه لفتًا للانتباه، حيث يقول: «كنّا نلعب أمام فريق من فئتنا يُدعى توريتو. وكان ليـو وقتئذٍ مريضًا، ولـم أشأ أن أُشرِكه في المبـاراة، فأبقيته على الدكة. كانـت المباراة على وشك أن تنتهي، وكان فريـق الخصم متقدِّمًا بنتيجة 0-1، فاقتربت من ليو مخاطبًا إيّاه: هل لديك قدرة على اللعب؟ فهزّ رأسه بالإيجاب، ثـمّ أخذ يقوم ببعض تمارين الإحماء. وقبل أن يدخل، صرخت قائلًا له: أريدك أن تحقِّق الفوز للفريق! وهذا ما حصل فعلًا؛ فقد أحرز ليو هدفين خلال خمس دقائق، وغيَّر النتيجة لمصلحتنا».

وقد لا يكون مُستغرَبًا معرفة أنّ (البرغوث) كان يُسجِّل نحو مئة هدف كلّ موسم.

فعـام 2000م، لعب ليو ذو الثلاثة عشر عامًا بطولته العاشرة والأخيرة مع ماكينـات 87، وكان مدرِّبه آنذاك أدريان كوريا. وقد فاز فريقه في تلك البطولة على ملعب بيلا فيستا، حيث تدرَّب الفريق الأول. حينها؛ أي في الثالث من أيلول، وقبـل أسبوعين مـن السفر إلى برشلونة، نشرت صحيفـة لا كابيتال أول مقابلة

معـه في صفحتين بعنـوان: «ليونيـل أندرياس ميسي، مجـذوم صغير بمهارات كبيـرة». أمّـا المقدِّمة فكانت كالآتـي تقريبًا: «إنّه لاعب مـن الدرجة العاشرة، وصانـع ألعـاب الفريق. إنّه ليس لاعبًا واعدًا في نادي نيولز فحسب، بل هو نجم أمامـه مستقبل باهر؛ فعلى الرغم من قصر قامتـه، لكن يستطيع تجاوز لاعب واثنيـن، والتغلّب على المدافعيـنَ كافة، ثمّ تسجيل الأهـداف، والأهم من هذا كلّه، هو شعوره الغامر بالسعادة والمتعة في أثناء اللعب».

وفيما يأتي وابل من الأسئلة التي طُرِحت عليه، يعقبها بعض من إجاباته:

مَنْ مَثَلُكَ الأعلى؟ أبي، وعرّابي كلاوديو.

مَنِ اللاعبونَ المفضّلونَ لديك؟ شقيقي، وابن خالتي.

ما اسم فريقك المفضّل؟ نيولز.

ما أبرز هواياتك؟ الاستماع إلى الموسيقا.

ما كتابك المفضّل؟ الكتاب المقدّس.

ما اسم فيلمك المفضّل؟ بيبيز داي آوت.

أيُّ المهن تُحبِّذ لو لم تكن لاعبًا؟ مدرس تربية بدنية.

ما هدفك الرئيس؟ إنهاء مرحلة الدراسة الثانوية.

ما طموحك؟ أن يصبح فريقي من فرق الدرجة الأولى.

ما أسعد اللحظات في حياتك؟ فوز فريقي ببطولة الدرجة العاشرة.

ما أتعس اللحظات في حياتك؟ وفاة جدتي.

ما حلمك؟ اللعب في الفريق الأول بنادي نيولز.

ما أجمل ذكرياتك؟ أول مرّة ذهبت فيها مع جدتي للعب الكرة.

ماذا يعني لك التواضع؟ أمر لا يجب أن يفقده الإنسان.

ماذا يعني لك نيولز؟ كلّ شيء، الأفضل.

الفصل السادس

أسطورة

حوار مع لاعب ومدرب

لايزال التلفاز في الغرفـة يعرِض كثيرًا من الأحداث والمشاهد المتتالية، وإلى جانبه جهاز حاسوب مُضاءَة شاشته حتى هذه اللحظة.

إنّ أدريـان كوريا، اللاعب السابق في نادي نيولز، والمدرِّب السابق لفريق الشبـاب في النادي نفسه، هو الآن في إجازة، وهو يمارس عمله من البيت. وقد تَبيَّـن أنّ استعادة شريـط الذكريات المتعلّق بأحد لاعبيـه السابقينَ، كان أمرًا مُحبَّبًا لنفسه.

لنبدأ حديثنا عن شعورك حينما شاهدت لعبه أول مرّة.

«كان هنـاك كثيـر من الحديث حينها عـن ليوناردو ديبيتريـس، وهو فتى أشقـر صغيـر غادر للانضمام إلى نادي آي سي ميـلان عندما كان في الحادية عشرة من عمره. كان الجميع يتبادلون أطراف الحديث عن أمور رائعة قام بها، لكنّني كنت أخالفهـم الرأي. كنت أقول دائمًا لأحد أصدقائي: «سيكون أداء ليو أفضـل بعشـر مرّات من أداء ديبيتريـس؛ حتى إنّه سيتفوّق علـى مارادونا حين يكبر. علمًا بأنّني من أشدّ المعجبين بمارادونا».

أنّى لك أن تكون متأكِّدًا من تحقيقه النجاح، مع أنّه كان لايزال في سنّ الثانية عشرة؟

«لا شـكّ في أنّ كلّ مَـنْ يرى هذا الفتى سيُخيَّل إليـه أنّه لا يجيد لعب كرة القـدم؛ فليو قصير القامة، طري العـود، صغير البنية. ولكن، سرعان ما يَتبيَّن أنّه ولد مختلف عن الآخرين، وأنّه يُمثِّل ظاهرة، وأنّه سيُحقِّق إنجازات عظيمة. لماذا؟ لأنّه كان طموحًا متحفزًا، يملك قدرة على التحكّم في الكرة قَلَّ نظيرها. إنّـه مثل سيـارة الفيراري التي تسابق في فئة الفورميولا 1. لقد كان دائمًا يتوقّع الخطـوة الواجب اتخاذهـا لاحقًا، فضلًا عـن مهارته في المحـاورة والمناورة رجـلًا لرجـل. لقد كان يصـرع خصومه، ويسيطـر على الكرة بصـورة كاملة، ويبقيها دائمًا على الأرض مُلتصِقة بقدمه.

لقد تجاوز بمهاراته الفنية الكبارَ الذين لم يُتقِنوا بعدُ القدرةَ على التحكّم الجيد، والتناسق في الحركات. ومع أنّ طوله كان لا يتعدّى 1,2 متر فقط، لكنه كان يقهـر المدافعينَ الذين تصل أطوالهم إلـى 1,8 متر. لقد كان حقًّا علامة فارقـة. وتميَّز بقدرتـه الفائقة علـى التحكّم فـي أعصابه؛ وبطموحـه ورغبته الجامحـة في الفوز، ولا شيء غيره. لذا، فقد كان حريصًا على ألّا تنتهي نتيجة أيّ مباراة على نحوٍ مغاير لما خَطّط له».

في أيّ أجزاء الملعب كان يُفضّل اللعب؟

«خلـف المهاجمينَ. كنت أتّبع خطة 2-1-3-4؛ نظرًا إلى وجود لاعب حرّ، أو صانـع ألعـاب تحت قيادتي. لقد كان يُبهِر الجميع - فـي أثناء المباريات - بأدائه ومهاراتـه التـي يصرع بها الخصوم. ولأنهم كانوا على علـم بقدراته، فقد حاولوا إيقافـه مـرارًا، وكثيرًا ما تعرّض للركل من كلّ حدب وصوب، لكنّه لم يكن يتأثّر أو يشتكـي، بل زاده ذلك إصـرارًا على المواصلة؛ فكلّمـا ازدادوا شراسة معه، كانت

مقاومته لهم تزيد. وقد أمكن له الوصول –مرّات عدّة– إلى مرمى الخصم بسرعة فائقـة. وفي واقـع الأمر، لقد كان يُحقِّق لنـا الفوز وحده؛ حتـى إنّ المحيطينَ بي كانوا يقولون دائمًا: «أنتَ لا تحتاج إلى توجيه الفريق عندما يكون ليو في الملعب».

هل تذكر هدفًا مميّزًا سجّله، أو مباراة مثيرة لعبها؟

«لقد سجّل أهدافًا متنوعة. وهناك كثير من المباريات التي انتصرنا فيها بفضلـه. لقد كان مثل غارديـل (أي أسطورة، مثل مغني التانغو الشهير كارلوس غارديل)».

هل كان يستمع إلى نصائح المدرِّب؟

«نعـم، فقد تميَّـز باحترام الآخريـن، وكان يصغي بانتباه. لـم يكن يتفوّه بـكلام على شاكلـة: «أنا ألعب»، أو «أنا الأفضل». وقـد حظي بتقدير زملائه في الفريـق وحبّهم. أمّا الأمر الوحيد الذي كان يُعاب عليه فهو عدم حبّه للتمارين، بل اللعب بالكرة. أذكر أنّني طردته من التدريب في إحدى المرّات، وطلبت إليه العـودة إلى البيت. أنا لست وحشًـا، أو شخصًا متسلِّطًا، لكنّنـي أُحبّ أن ينظر الآخـرون إلـى الأمور بجـدّ واهتمام. كنّا ذات يـوم نركض حـول الملعب، وظلّ هـو يلعـب بالكرة. ناديته مـرّة واثنتين، لكنّه لم يلتفت إلـيّ... قلت له في نهاية المطاف: «أعطِني الكرة، وغيِّر ثيابك، ثمّ اذهب إلى البيت».

بعدهـا بعشـر دقائق شاهدته حامـلًا الحقيبة على كتفـه، ومُلصِقًا نفسه بالسياج الفاصل يراقب الملعب. حينئذٍ، شعرت بالأسى تجاهه، وساءني أن أراه على تلك الحال. فصرخت قائلًا: «لقد غادرت من دون أن تودِّعني. اقتربَ منّي لكـي يودِّعني، فطلبت إليه العودة إلى غرفة تغيير الملابس ليغيِّر ثيابه، وينضم إلـى التدريب. لقد كان فتى خجولًا، لكنّه – فـي الوقت نفسه– كان ذا شخصية صُلْبة. كانت تلك المرّة الوحيدة التي وبّختُه فيها».

ما رأيك في انتقاله إلى إسبانيا؟

«إنّ إدارة نـادي نيولز لـم تُحسِن الاستفادة من قدراتـه جيدًا؛ فهي لم تكن على استعداد لدفع مزيد من الأموال عليه، ولم ترغب في الإنفاق على فتى في سنّ الثالثة عشرة. أعتقد أنّها لم تشعر بقيمة الجوهرة الثمينة التي كانت بين يديها».

ما رأيك فيه الآن؟

«أعتقـد أنّه نضج بصـورة كبيرة في أثنـاء إقامته في أوروبـا؛ أقصد في مجال كرة القدم، لكنّه لم يبلغ أوج عطائه بعد».

هل يمكن للشهرة والمال أن يؤثِّرا في لاعب كرة القدم؟ «أعتقد أنّ الشهرة ساعدته على النضج؛ فهو يعرف كيف يتعامل مع الأمور بعقلانية. وإنّه لم يتغيّر قـطّ. لا يـزال هو الفتى المتواضـع نفسه. وقد التقيته مصادفـة في وقت لاحق. كنّـا قد أنهينـا التدريب توًّا، وكانوا هـم على وشك البدء. رآنـي، فترك تمرين الإحمـاء، وأقبـل نحوي، ثمّ سلّم علـيَّ، وأهداني قميصه. لـم يُصدِّق لاعبيَّ ما رأوه، وسألوني إذا كان بإمكانهم لقاؤه، أو أن أطلب إليه أن يهديني قميصًا آخر.

كان ذلـك الأمر واحدًا مـن الأمثلة. وقد مرّ زمن طويل مُـذْ شاهدته آخر مرّة... لكنّه بدا لي الفتى نفسه الذي درَّبته على ملعب بيلا فيستا».

الفصل السابع

لقاء مع ذي الحجم الصغير

الحادي والثلاثون من كانون الثاني عام ١٩٩٧م

يتذكّـر الدكتـور دييغو شفارتـزن تاريخ الموعـد الأول بدقـة؛ إنّه الحادي والثلاثـون من كانـون الثاني، اليوم الذي يصادف يوم ميـلاده. قابلت في ذلك اليوم ليونيـل أول مرّة. كان عمره تسع سنوات ونصف السنة، وقد أحضره أبواه إلـى عيادة الغدد والباطنيـة، الموسومة بالرقم 1764، في شارع كوردوبا بوسط روزاريـو؛ لاستشارة الطبيـب المتخصّص بشـأن عملية النمـو المحدودة التي وسمت ثالث أبنائهما، وسبَّبت لهم شعورًا بالقلق.

يتذكّـر الطبيب هذا الأمر جيدًا، وفـي ذلك يقول: «كانت الاستشارة تتعلّق ببنَيّته الصغيرة؛ وهو أمر أراه مرّات عدّة يوميًّا».

كان طـول ليـو يبلـغ 1,27 متـر، ولم يكن بعـدُ قد أصبـح نجمًـا أو لاعبًا مشهـورًا، حتـى إنّه لم يبلغ مستـوى الاحتراف؛ إذ كان يلعـب وقتئذٍ ضمن فرق الفئـات العمرية بنادي نيولز. «أنا من مشجعي المجذومين منذ الصغر (هناك مـا يُثبِت هذا الأمر؛ صورة لابنه تحـت زجاج المكتب، التُقِطت في مباراة أحرز فيهـا فريق الأحمر والأسود هدفًا في مرمى فريق بوكا جونيورز). وقد ساعدني

ذلـك على إنشاء علاقة طيبة بالمريض. كنّا نتحدث عن كرة القدم، التي كانت الموضوع الوحيد الذي كسر حاجز الخجل عند هذا الفتى».

مواعيـد عدة، تَقصٍّ دام أكثر من عام، فحوصـ معقّدة، تحاليل وعيادات بيـو كيميائيـة. «قمنا بذلك كلّـه؛ لأنّه كان السبيل الوحيـد لتحديد ما إذا كانت المشكلـة تتعلّق بالهرمونات، أم أنّها مجرّد حالة ممّـا نسمّيها «النمو المتأخر»؛ أيّ، طفل يتأخّر نموه مقارنة بأقرانه، لكنّه يواصل النمو في نهاية المطاف».

شـرح الطبيـب لنا هـذا الأمر عن طريـق الإشارة إلـى التواريـخ والمُدد الزمنيـة في سجلّ مريض مـا، مُبيِّنًا الوقت الذي يستغرقـه تشخيص مثل تلك الحـالات (نقص هرمون النمو). وفي ذلك يقـول: «لا تُنتِج الغدد هرمونَ النمو إطلاقًـا. يمكن تبسيط شرح هذه الحالة بتشبيهها بحالة مريض السكري الذي لا يُنتِـج بنكرياسـه الأنسولين أبدًا. وبالنسبة إلى حالة ليـو، فإنّه في حاجة إلى مـادة تساعده على النمـو. الفرق بين هاتين الحالتين هو أنّ سبعة في المئة من سـكان العالَـم يعانون مرضَ السكري، في حين تُعَدّ حالـة ميسي نادرة جدًّا؛ إذ تُظهِر الإحصائيات أنّها تصيب واحدًا من كلّ عشرين مليون شخص.

وممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الحالة ليست وراثية. انظر إلى أخويه، أو حتى إلى أخته الصغرى ماري سول، التي تُعَدّ طويلة هي الأُخرى».

وفيمـا يخصّ كيفية تعامُل ليو مع ذلك الأمر، قال الطبيب: «أذكر أنّه كان يتعامـل مع حالته المرضيـة بصورة جيدة؛ إذ تقبّل أنـواع الفحوص جميعها – حتـى أشدّها وطـأة – والعلاج على نحوٍ حسن. وقد ساعدتـه عائلته كثيرًا على ذلك، فقد كانت عائلة من الطراز الرفيع.

وحيـن حُدِّد موضـع الخلل، بدأ اختصاصي الغـدد الصم برنامجًا للعلاج بهرمون النمو؛ حقنة تحت الجلد يوميًّا، مدّة تتراوح من ثلاث إلى ست سنوات؛ حتى يكمل المريض نموه بصورة كافية.

أمّا بالنسبة إلى تقييم مدى التطوّر في حالة المريض، وكيفية قياس النمو وتعـرُّف حدّه الأقصـى، فإنّ ذلك يكون بتصوير اليد بوساطـة الأشعة السينية. وقـد دأب الطبيب على عرض الصور أمامنا في مراحـل التطوّر المختلفة التي مرّ بها ليو: في سنّ التاسعة، والعاشرة، والحادية عشرة، وصولًا إلى سنّ الثامنة عشـرة. وقد لفـت انتباهنا المساحـة الفارغة بين العظمة والأُخـرى، التي قال عنهـا الطبيب: إنّهـا سوف تختفي حين تبلـغ عملية النمو حدّهـا الأقصى لدى المريض.

أضاف بعدها قائلًا: «ليس بمقدورنا التغلّب على علم الوراثة. ولكن، يمكننا تقديـم المساعدة في حال ظهرت بعض التعقيدات. أودّ التأكيد أنّ حالة نقص هرمـون النمو تُلازِم المريض طوال حياته. لـذا، يتعيّن علينا التدخُّل للتخفيف من وطأة هذا الأمر».

لم تكن حالة ميسي تتطلّب عمل اختبارات وفحوص. فهو لم يكن فأر تجارب كما كتب أحدهم ذات مرّة. بدأ صبر الطبيب ينفد، وهو يقول بصوت جهير: «لم يكن الأمر تجربة قطّ. لطالما استُخدِم هرمون النمو في حالات مشابهة سنوات طويلـة؛ نحو ثلاثيـن عامًا على وجه التحديد. وقد كان يُستخرَج – فيما مضي- مـن جثث الموتى، إلّا أنّ ذلك كان يزيد من احتمال الإصابة بجنون البقر. لذا، فقـد عُدِل عن ذلـك، وأصبح يُنتَج عن طريق الهندسـة الجينية منذ ثمانينيات القـرن العشرين. ولم يثبت - حتى هذه اللحظة- وجود أيّ أعراض جانبية على المدى البعيد. وإن لم نواجه أيّ مشكلة في أثناء معالجة الحالات الشبيهة بحالة ميسي، حيث كان لِزامًا منحه ما ينقصه».

وفـي معرِض ردّه علـى سؤال عـن سبب تحريـم هرمونات النمـو، وعدم انتشارهـا في أوسـاط الرياضيين عند الحديث عـن المنشطات؛ قال الطبيب:

«تُسهِم الهرمونات في حال أُعطِيت لشخص بالغ لا يعاني أيّ نقص أو خلل ما (أيّ شخص لديه معدلات إفراز طبيعية، وستيرويدات ابتنائية)، في زيادة الكتلة العضلية، والتقليل من الألياف الدهنية؛ ما يزيد من إنتاج الطاقة الحركية، وسرعة الأداء».

لكنّ الأخطار التي تُهدِّد سلامة المرء عند تعاطيها كبيرة؛ إذ يمكنها التسبُّب في كثير من الأعراض، مثل: احتباس السوائل، وفرط نشاط الغدة الدرقية، وارتفاع معدل السكر في الدم، وارتفاع الضغط داخل الجمجمة، فضلًا عن احتمال ظهور الأورام.

وعلى الرغم من ظهور كثير من التكهنات والمخاوف ذات الصلة بهذا الموضوع؛ سواء في الأرجنتين أو في إسبانيا، لكن هناك أمرًا كُتِب عنه الكثير – من دون تحقُّق، أو داعٍ غالبًا –: هو تكلفة العلاج التي قد تصل إلى نحو 600,000 بيزو أرجنتيني (100,000 دولار أمريكي تقريبًا) سنويًّا.

يُعَدّ هذا المبلغ كبيرًا، وقد يكون هو السبب وراء مغادرة عائلة ميسي إلى إسبانيا، من باب أنّ نادي برشلونة كان هو الوحيد الذي أظهر استعدادًا للتكفّل بنفقات العلاج.

«لطالما لفتت قصته انتباهي، حينما كانت وسائل الإعلام تُصرِّح بأنّ والده سافر به؛ لأنّ أحدًا لم يتكفّل بعلاجه هنا. مع أنّه من غير المؤكَّد أنّ الجميع رفض ذلك فعلًا؛ إذ تكفّل الضمان الاجتماعي ومؤسسة أسيندار بعلاج الفتى. ولم يتضح – حتى هذه اللحظة – ما إذا كان ذلك هو سبب مغادرتهم البلاد حقًّا. فإذا كان الوالدان مشمولَيْنِ بالضمان الاجتماعي، أو لديهما تأمين صحي، فإنّ البرنامج الصحي الإجباري سيتكفّل بالعلاج. وفي حال لم يكونا مشمولَيْنِ

بأحدهمـا، فيستعان باللجنـة الاستشاريـة الوطنية التي تُعنـى بالأطفال الذين يعانون نقصَ هرمون النمو، وهي جهة تُقدِّم العلاج مجّانًا منذ عام 1991م».

هـذه رواية تختلف عـن تلك التي ترويهـا عائلة ميسي؛ إذ قـال خورخي (والد ليـو): إنّ الضمان الاجتماعي ومؤسسة أسيندار توقفتـا عن دفع كامل التكاليف بعد سنتيـن من بدء العلاج. ثـمّ وافقت إدارة نادي نيولز علـى تغطية جزء من التكاليف (واحـدة من حقنتين)؛ لعلمهـا بالمستقبل الواعد الذي ينتظـر ليو. ولكن، وبصورة تدريجيـة، بدأت الدفعات تصل متأخرة. وفي ذلك يقول خورخي، الذي لم يألُ جهدًا في إيجاد حلّ للمشكلة: «لقد راجعناهم مرارًا للحصول على المال، لدرجة أنّ زوجتي ضاقت ذرعًا بذلك، وقالت: إنّها لن تُطالِب بأيّ مال بعد الآن، وهذا ما كان فعلًا».

يتذكّـر خورخـي الأمر قائلًا: «كان نـادي ريفر بلايت قـد افتتح مكتبًا في روزاريو. وكانت تلك فرصة للفتى، ووسيلة للضغط على نادي نيولز. فذهبنا إلى بوينوس آيرس حيث استعدّ ليو لعرض مهاراته وقدراته.

تـدرَّب ليو فـي موقع النادي بحـيّ بلغرانو، وحيـن أنزلوه إلـى الملعب في مباراتـه الأولـى، أدركوا مدى مهارتـه وتميُّزه فـي الحال، وأنّه لـم يكن مجرّد فتـى هزيل. ثمّ قالـوا لي: نريده. ولكـن، يتعيّن عليك البدء بإجـراءات انتقاله إلـى النادي بصورة رسمية، بعد موافقة نادي نيولز على التخلّي عنه. لم يرغب القائمـون على النادي الخوضَ في مشكلات مع نادي نيولز. لذا، لم نَمضِ قُدُمًا فـي الموضـوع. وحين علم إداريو نادي نيولز بالأمر طلبـوا إليَّ الإبقاء على ليو، وقدَّموا المزيد من الوعود. بعدها ظهر نادي برشلونة في دائرة الأحداث...».

وبعـد توضيـح الأمـر بصـورة أو أُخـرى، تَبيَّـن أنّ عائلة ميسـي تتفق مع شفارتـزن في «أنّ مسألـة نقص هرمون النمو وعلاجها لا تتعـدّى كونها مجرّد حكاية، وأنّ المهم حقًّا هو مهارات الفتى في كرة القدم».

فـي هـذه اللحظة، ينهض الطبيب عن مقعـده، ويخرج مـن وراء مكتبه، ويُطلِق العِنان لمجموعة من التصوّرات التي تجول في مخيّلته بشأن رجل شغوف بكـرة القدم، فيتحدّث عن مدى إعجابه بالركض السريع، والتحكّم في الكرة، وعن «قدرات ليو التي لا يستطيع أحد تحديدها وتعرُّف كُنهها، وعن غيرة سكان بوينوس آيرس (البورتينيوس) وغيظهم من أنّ لاعبًا عظيمًا مثله لم يخرج من رحـم مدينتهم؛ فهنـا يتعيّن عليك اللعب لأحـد قطبي العاصمـة إذا رغبْتَ في إحـراز النجاح. فباتيستوتا على سبيل المثال، كان لاعبًا لنيولز، لكنّ شهرته لم تبلغ الآفاق في الأرجنتين إلّا عندما لعب لبوكا جونيورز».

لنـدع عنّا كرة القدم، ولنعـد قليلًا إلى الوراء. فقد يكـون موضوع العلاج بهرمون النمو مجرّد حكاية تُحكى. ولكن، انظر إلى مقال نُشِر أخيرًا في صحيفة لا كابيتال يحمل عنوان «يريدون تجربة دواء ميسي على أطفالهم». ورد في هذا المقـال ما نصّه: «منذ أصبـح العلاج الذي تناوله ميسـي معروفًا للملأ، تحوَّل هرمون النمو ليصبح دواء سحريًّا، يمكنه مساعدة الأطفال الصغار على النمو.

يُعَـدّ موضـوع أجسام الأطفال الهزيلة هاجسًا يُـؤرِّق الأهل، خاصة عندما يذهـب هؤلاء الأطفال إلى الروضة، وتبدأ مقارنتهم بأقرانهم. إنّ تلك المقارنة تُعَدّ مغالطة ومجافاة للحقيقة؛ لأنّ معدل النمو غير ثابت.

وفي واقع الأمر، يُعزى سبب هذا الهزال إلى عوامل وراثية، وإلى سوء التغذية خـلال أول سنتيـن من عمر الطفل، أو إلى تأخّر في عملية التطوّر والنمو، وهو أمر لا يمكن علاجه، لكنّ كثيرًا من الآباء والأمهات يطلبون إلى الأطباء المتخصّصين الذين يُشرفون على حالة أبنائهم، العلاج نفسه الذي أُعطي لليو ميسي».

يحتـج الطبيب على هذه المسألة قائلًا: «تلك هـي الآثار السلبية للطريقة التـي تتنـاول بها وسائل الإعلام علاجًا أُعطي للاعب كـرة قدم مشهور، فضلًا

عـن طريقة الفهم المغلوطة التـي يتّبعها الأهل والناس بصـورة عامة. لم يكن ذلك ليحدث لو بقي الأمر محصورًا في علاقة الطبيب بالأهل والمريض.

يحتـم عليَّ واجبي أن أُنافِح عن الحقيقة الطبية التي تؤكِّد أنّ ذلك العلاج لا يفيـد الأطفال الذين لا يعانون نقصًا فـي الهرمونات، خاصة عند أخذ تكلفة العلاج المرتفعة (مقارنة بنتائجه غير المجدية) في الحسبان. لذا، يتعيّن على مَـنْ يعانـون نقصَ الهرمون الـذي كان يعانيه ليو، تناول هـذا العلاج. وما زلْتُ أذكر أنّ ليو بدأ بتناول العلاج عام 1998م، حين كان طوله 1,27 متر، ثمّ أصبح طولـه 1,69، الآن، بعـد أن أكمل علاجه فـي برشلونة. وكلّي يقيـن أنّه لم يكن لينمو بهذا الشكل لولا العلاج الذي تناوله».

الفصل الثامن

نجم عالمي في بلدة صغيرة

حوار مع ماريانو بيريزنيكي؛ الصحفي في صحيفة لا كابيتال

ما الذي يُمثّله ليو ميسي بالنسبة إلى مدينة روزاريو؟

«إنّه أفضل لاعب أنجبته المدينة. وهو يُمثِّل الأمل للأرجنتين بأكملها. إنّه أيقونة في كرة القدم. كلّنا ننتظر اليوم الذي يصبح فيه خليفة مارادونا».

ماذا يعرف الناس عنه في روزاريو؟

«إنّه ليس معروفًا هنا بالمعنى الحرفي للكلمة؛ فقد لعب كرة القدم في هذه المدينة ضمن فرق الفئات العمرية، وحتى الدرجة العاشرة. لم يصبح مشهورًا هنا؛ إذ لم يشاهده إلّا أولئك الذين لعبوا ضده. وقد سمع بعضنا عنه في تلك المدة، حينما أظهرت التوقّعات أنّه قادر على تحقيق ما يصبو إليه قريبًا. لقد مثَّل ذلك الأمر كابوسًا للأندية في روزاريو؛ فهم لم يكونوا على دراية بقيمة هذا الفتى الذي سيفقدونه فيما بعد.

هناك أمر لم يقم به ليو بعدُ؛ وهو اللعب هنا. إنّه من نتاج نادي نيولز. ونأمل أن نراه في ملاعبنا عاجلًا أم آجلًا. نستطيع رؤية مهاراته الآن عن

طريق التلفاز فقط حين يلعب لنادي برشلونة، وقد نحظى بمشاهدته في ملعب المونيمونتال ببوينوس آيرس عندما يشارك المنتخبَ الأرجنتيني في مبارياته».

متى قابلته أول مرّة؟

«كان ذلك أواخر عام 2000م، بعد عودته من برشلونة. أجريت معه مقابلة بكلّ سهولة. وقد ذهبنا حينها إلى نُصب العلم لالتقاط بعض الصور. لم يكن الناس يعرفونه. كان وقتها شخصًا عاديًا حاله حال الجميع». – كيف وجدت ليو؟

«إنّه فتى وديع، لا يتكلّم كثيرًا. لكنّه سرعان ما يتحوّل حال نزوله أرض الملعب؛ إذ يصبح شخصًا آخر مختلفًا في سلوكه وتحرّكاته، حالما تصبح الكرة بين قدميه. وفي واقع الأمر، فإنّ ليونيل ميسي الحقيقي يظهر على أرض الملعب، وكلّ ما ينبغي عليك فعله هو الجلوس والتمتع بلعبه».

بعد خمس سنوات، تغيّر كلّ شيء....

«كان ذلك بعد بطولة كأس العالَم لفئة الشباب دون سنّ العشرين عام 2005م. ففي هذا العام بدأت ظاهرة الولع بميسي. كانت الأجواء صاخبة. وشنَّت وسائل الإعلام هجومًا على بيته؛ الصحف، وقنوات التلفزة، ومحطات إذاعية وطنية ودولية، كلّها أرادت إجراء مقابلات معه والتحدث إليه، وكذلك أراد سكان المنطقة. كان يأتي معجبون كلّ يوم لتهنئته، أو طلب توقيعه. لماذا كلّ هذه الهالة حوله؟ لأنّ الأرجنتين بقَضّها وقضيضها كانت في انتظار شخص مثله منذ أمد طويل. وبينما كان الجميع يتحدث عن ريكيلمي وتيفيز وإيمار... ظهر ميسي على الساحة. لقد فاجأ الجميع بما فعله في بطولة كأس العالَم

للشباب. لقد أثبت حقًّا أنّه من طينة فريدة من لاعبي كرة القدم. وقد تُوِّج ملكًا على هولندا، حيث أُقيمت بطولة كأس العالَم للشباب».

ماذا يعني قدومه إلى روزاريو الآن؟

«عندما يأتي إلى هنا يُنظَر إليه بوصفه نجمًا عالميًّا في بلدة صغيرة. وقد أصبح يُمثِّل قيمة تسويقية مرتفعة؛ لأنّه وقَّع عقودًا مع شركات مشهورة على مستوى العالَم؛ إذ تحتاج الشركات إلى الترويج لمنتوجاتها، وهو ما يمكن لميسي أن يعمله، ويودّ الناس رؤيته. لكنّه يلجأ إلى عائلته وأصدقائه... ليستعيد قوته ونشاطه، وتستقيم حالته الذهنية؛ لكي تتناسب والحياة ذات المتطلّبات الكثيرة في برشلونة. لذا، فإنّ روزاريو هي المكان الذي يعيد فيه شحن بطارياته».

في رأيك، ما ملامح شخصية هذا الروزارينو (المنحدر من مدينة روزاريو)؟

«لا أحد يعرف شخصيته الحقيقية باستثناء المقرّبين إليه. لا يستطيع المرء معرفته حتى لو قرأ الكثير عنه. ذلك أمر ليس بالهين. يبدو لي أنّه متواضع لأبعد الحدود؛ إذ لم تُؤثِّر فيه النجومية أو تُغيِّره. إنّه صَلْد كالحديد».

وماذا عن سلوكه ومهاراته في مجال كرة القدم؟

«أعتقد أنّه من طينة لم يُجبَل عليها أحد منذ وُلِد مارادونا».

لنعمل على تحليل مهاراته.

«التضامن مع الفريق، الولاء، الهجوم بالكرة، الطاقة المتجدّدة المندفعة النادرة، فضلًا عن القدرة المذهلة على التسارع. إنّه يفعل ذلك كلّه بطريقة فريدة».

ماذا تتوقع له مستقبلًا؟

«ليو يعيش مستقبله حقًّا. وقد أثبت جدارته في كثير من البطولات التنافسية في إسبانيا وأوروبا، لكنّه لايزال شابًّا. لم يُحقِّق بعدُ ما يصبو إليه على الرغم من تسجيله أهدافًا رائعة كتلك التي سجّلها دييغو».

هل هو مارادونا الجديد؟

«إنّه ميسي بحقّ».

الفصل التاسع

في اتجاه برشلونة

السابع عشر من أيلول عام ٢٠٠٠م

العربية	الإسبانية (الأرجنتين)	الإسبانية (إسبانيا)
حارس مرمى	portero	Arquero
حافلة	autobus	Colectivo
فطائر دنماركية	bollo	Facture
قلم حبر	bolígrafo	Birome
خُفّ (شبشب)	chanclas de dedo	Ojotas
شقة	piso	Departamento
تنورة	falda	Pollera
دائري	esférico	Redonda
قميص (تي شيرت)	camiseta	Remera
معطف	abrigo	sobretodo

تعني كلمة (coger) باللغة الإسبانية يحضر، أو يمسك. أمّا عند الأرجنتينيين فتعني أمرًا بذيئًا، والأفضل لنا ألّا نذكره.

يقولون: إنّ اللغة في إسبانيا والأرجنتين هي عينها؛ أي كاستيليان (castellano)؛ وهو اسم يدل على اللغة الإسبانية الفصيحة. ولكن، توجد فروق كبيرة بين اللغة المستخدمة في إسبانيا وتلك المستخدمة في الأرجنتين. ولا يقتصر الأمر على الاختلاف في معنى الكلمات والتعبيرات المستخدمة في اللغة العامية فحسب، بل يشمل اختلاف طرائق العيش، وفهم الحياة في بعض الحالات. وبوجه عام، تنحدر غالبية العائلات الأرجنتينية من أصول إسبانية أو إيطالية. أمّا الآن، وبعد نحو قرن من وصول آخر الأسلاف من شبه الجزيرة الأيبيرية والجزمة الإيطالية (دلالة على خريطة إيطاليا) ليصبح (gallego) [إسباني بالعامية] أو (tano) [إيطالي بالعامية]، فقد تغيّرت الأوضاع على نحوٍ ملموس.

لقد أحدث الزمن هُوَّة، أفضت إلى ظهور ثقافات متباينة جدًّا؛ حتى عُدَّ ابتعاد شخص ما عن نمط الحياة الذي كان يحياه في بلده، وعودته إلى موطنه الأصلي، إنجازًا عظيمًا.

ممّا لا شكّ فيه أنّ ذلك يُعَدّ تحديًا صعبًا، فما بالك إذا كان الشخص المعني فتى بالكاد بلغ الثالثة عشرة من العمر! إنّ ترك عالم الطفولة، وبلدة المنشأ، والمدرسة، والأصدقاء، والفريق الذي تحبّ، وملاعب مالفيناس وبيلا فيستا، وجزءًا من العائلة؛ يتطلّب عزيمة كبيرة، خاصة إذا لم تكن هناك أيّ ضمانات للمستقبل.

يغادر ليو ميسي ووالده خورخي مدينة روزاريو في اتجاه برشلونة في السادس عشر من شهر أيلول عام 2000م.

لنعد إلى الوراء قليلًا؛ كي نتعرّف سبب صعود الأب وابنه طائرة الخطوط الأرجنتينية المتجهة عبر الأطلسي، وكيف قرّرا أن يُجرِّبا حظّهما في الأراضي الكاتالانية، وما يتوقّعانه في رحلتهما تلك.

بلغ ليو سنّ الثالثة عشرة، وهو يُعَدّ الآن معروفًا في مجال كرة القدم للفئات العمريـة. وقد خصَّصت بعض الصحف صفحتين لإجراء مقابلات معه، فضلًا عن الإشارة إليه في أثناء لعبه في كثير من بطولات الدوري المغمورة. علمًا بأنّه حصد الإعجاب في بوينوس آيرس بعد تجربة موفَّقة مع نادي ريفر بلايت. قبل ذلـك بسنتين، كان المدافع السابـق لنادي نيولز وريفر؛ فابيـان باسوالدو قد عمل وكيلًا لليو أشهرًا عدّة، في محاولة منه لوضع الفتى على المسار الصحيح، إلى أن جاء الوقت، وأدركت عائلة ميسي أن لا ضرورة لأحد في تلك السنّ لوكيل يُمثّلـه. ولكن، في أحد الأيام من عـام 2000م، جاء رجلان يُمثّلان شركة ماركا (شركة تُعنى ببيع اللاعبينَ وشرائهم، مقرّها الرئيس في روزاريو)، هما مارتن منتيـرو وفابيان سولديني، اللذان قَدَّما أنفسهما فـي بيت العائلة رقم 525، في إستادو دي إزراييل.

لا يـودّ خورخي؛ والـد ليونيل، الحديث عن هذيْـنِ الرجليْنِ، لأنّهما – كما سيُظهِـر سير تسلسل الأحداث في القصة- لم يفعلا شيئًا لمساعدة ابنه؛ حتى إنّهمـا سبَّبا له كثيرًا مـن المشكلات... وما زالت هنـاك قضايا عالقة وقضايا استئنـاف منظـورة فـي كثير مـن المحاكم إلـى يومنا هـذا. لندع عنّـا النزاع القضائي، ولنكمل القصة.

يريـد منتيـرو وسولديني تمثيـل ليونيل؛ فهمـا مقتنعانِ أنّ بإمـكان الفتى الصغيـر الحصولَ على مستقبل واعد مشرق مع أحد الأندية العريقة؛ سواء في إيطاليـا أو إسبانيا، في الإنتر أو الميـلان، أو ريال مدريد أو برشلونة. وقد أكَّدا أنّ لهمـا علاقات وصداقات في أماكن مرموقة. ومـع ذلك، فإنّ عائلة ميسي لا تنقـاد بسهولة وراء الوعـود الزائفة؛ إذ لن يكون هنـاك أيّ دفعات حتى يحظى الفتى بفرصة لتجربة حظّه في أوروبا.

لـم يَبْدُ الأمر مستحيلًا، لدى تذكُّر ما استطاع لياندرو دبريتيس الحصول عليه عندما تمكّن من السفر إلى أوروبا، والتدرُّب مع فريق الشباب في نادي آي سي ميلان. كلّ ما يتعيّن عليهم فعله هو التأكّد من أنّ تلك العلاقات والصداقات ليست مجرّد خدعة.

كان الرجـلان صادقيْـنِ؛ إذ اتصـل منتيـرو وسولديني في شهـر آب من عـام 2000م بهوريشيـو جاغيولـي، وهو أحد سـكان روزاريو، ويعمـل في مجال بيـع العقـارات وشرائها في برشلونة منذ سبعينيات القـرن الماضي، ويعمل مع وكيـل لاعبينَ يُدعى جوسيب ماريا منغويلا، وهـو المساهم رقم 2292 في نادي برشلونـة، ومستشار التنقّلات الخاص برئيس النـادي آنذاك خوان غاسبارت، الذي كان قد رشَّح نفسه لانتخابات رئاسة النادي التي أعقبت ذلك، لكنّه خسر أمام خوان لابورتا.

يتذكّر منغويلا ذلك قائلًا: «شاهدت تسجيلًا منزليًّا للفتى، وكان هوريشيو ومارتن وفابيان قد أكّدوا لي أنّه يستحق المشاهدة. لذا، اتصلت بتشارلي، الذي هو أحد الأصدقاء المقربين إليّ».

يضيـف كارلوس ريكساش، الملقـب بتشارلـي، الـذي كان مديـرًا فنيًّا للفريـق الأول لنـادي برشلونة حينها، قائلًا: أخبرني عـن فتى بارع جدًّا... مثل مارادونا. ظننته يتحدث عن فتى في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من العمر. فوجئـت حين عرفت سنّـه. كان يتعيّن عليـه أن يكون ظاهرة فعـلًا إذا أراد أن يلفـت انتباهنا. لم يكن من سياسة النـادي أن يُوقِّع أيّ عقود مع فتية من خارج كاتالونيا، فما بالك بفتى من خارج دول الاتحاد الأوروبي!

لقـد أكّدوا لـي أنّه حالـة فريدة من نوعهـا. ومع أنّنـي أسافر كثيـرًا إلى أمريـكا الجنوبيـة، فقد قرّرنـا أن نجلبـه إلى برشلونـة ليتـدرَّب أسابيع عدّة؛

ليتسنـى للمدرِّبين في النـادي مشاهدته على مَهَلٍ. كان ذلـك هو الحلّ الأمثل؛ إذ مـن الأفضل له ولنا القدوم إلى إسبانيا مع عائلته، بدلًا من ذهابنا نحن إلى الأرجنتيـن، واكتشـاف أنّه مريض، أو أنّه لا يستطيع اللعـب وقتئذٍ تحديدًا، فلا يكون وجودنا هناك ذا فائدة.

وبنـاءً على ما تقدَّم، سيصل ليونيل إلى عاصمة إقليم كاتالونيا في السابع عشـر من شهـر أيلول عـام 2000م، بصحبة والده وفابيـان سولديني، وسيكون هوريشيـو جاغيولي في استقبالهما بمطـار إل براتا؛ ليصطحبهم فيما بعد إلى فندق بلازا، الواقع في ساحة إسبانيا عند سفح تلّ مونتخويك، حيث سيلعب ليو مباراتـه الأولى - بعد سنوات عدّة- مع الفريق الأول في الملعب الأولمبي الواقع هنـاك. يمكـن مشاهدة المدينة من نوافذ الفندق. وفـي حال جرت الأمور على مـا يرام، وتمكّن ليو من الانضمام إلى صفـوف البارسا، فإنّها ستصبح موطنه الجديـد. سيكون هناك بيت ومـال ووظيفة لوالده، وربّما فريـق لشقيقه الأكبر رودريغو.

وقـد يبدو مـن غير المألـوف أن تضع عائلـة بأكملها الثقة بفتـى في سنّ الثالثـة عشـرة. لكنّ سيليا وخورخي كانـا قد فكّرا قبل الزواج فـي الهجرة إلى أستراليـا؛ بغيـة الحصول على حياة جديـدة في مكان جديد. لـم يكن حالهما سيئًـا، لكنّهما كانا على علم بأنّهما حقّقـا أقصى ما يمكن تحقيقه تقريبًا، وأنّه لم يكن بمقدورهما تحسين حياتهما في الأرجنتين على نحوٍ أفضل ممّا هي عليه الآن. وفي واقع الأمر، فقد كانا يبحثان عن فرصة جديدة لأطفالهما، ولعلّ هذه الفرصـة قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى منهما؛ فمن ناحية، يمكن لليو متابعة العـلاج في برشلونة، ومن ناحية أُخرى يمكنه تطوير مهاراته في نادٍ عريق يليق بالموهبـة التي يمتلكها. لكـنّ اتخاذ قرار مثل هذا أمر صعـب. وقد سأل أفراد العائلـة أنفسهم مرارًا عن مدى صحة القرار الذي هم على وشك اتخاذه. لذا،

تجمّــع أفــراد العائلة قبل المغادرة حــول طاولة، وتساءلوا عمّا يــودّون فعله، ثمّ توصّلوا إلى أنّه إذا امتنع أحدهم عن السفر، فإنّ الجميع سيبقون في روزاريو.

حُــدِّد موعد التجربة بعد ظهر يوم الإثنيــن الموافق للثامن عشر من شهر أيلول. وقد اعترت ليو حالة من الدهشة والذهول لدى رؤيته المرافق الرياضية؛ مــا حفز بعضهــم إلى التقاط صــورة له عند إحــدى بوّابات ملعــب مينيستادي (ملعــب فريقي الرديــف والشباب)، تمامًا كمــا تفعل جموع السيّــاح التي تزور ملعب نو كامب كلّ يوم. بعدئذٍ، توجّه ليو إلى إحدى غرف الملابس لتغيير ثيابه، ثــمّ الانضمام إلى فرق الفئــات العمرية التي تتدرَّب علــى الملعبيْنِ: رقم (2)، ورقم (3).

استمــر ليو -علــى مدار أسبوع- فــي التدرّب، ولعب مباريــات قصيرة مع فتية يماثلونه في العمر. وكان والده خورخي يتابع أداءه من المدرّجات بصمت، تمامًا كما كان يفعل في ملاعب روزاريو. لا يريد ليو أن يُخيِّب أمل والده؛ فأحرز خمسة أهداف في مباراة واحدة، ناهيك عن سادس لم يحتسبه الحكم.

يُذكَر أنّ خورخي وعد ليو باصطحابه لشراء بذلة رياضية في حال نجح في تسجيل ستة أهداف، وأنّ عليه الوفاء بذلك الوعد في نهاية المطاف.

يُجمِــع المدرِّبون كافــة ممّن شاهدوه على مهارته الفائقــة في اللعب، لكنّ القــرار النهائي بيــد ريكساش الموجود في النصف الآخر مــن الكرة الأرضية، فــي مدينة سيدني الأستراليــة، حيث تجري الألعاب الأولمبيــة. وكان ريكساش قــد ذهب هناك لمتابعــة مباريات كرة القدم، التي أسفــرت عن وصول إسبانيا والكاميــرون إلــى المبــاراة النهائية، التي فــازت بها الأخيرة بــركلات الجزاء الترجيحية؛ ما أدّى إلى تمديد مدة إقامة ليو في برشلونة حتى عودة شارلي في الثاني من شهر تشرين الأول.

وبذا، فقد بقيت مجريات الأمور مُبهَمة وغير واضحة، وكان لِزامًا الفصل فيهـا بأقرب وقت ممكن. وقد بدا ذلك الأمر قريبًا؛ إذ ستقام مباراة بين فريق الطلبــة الذين تتراوح أعمارهم مــن (14) إلى (15)، وفريق طلبة السنة الأولى علـى ملعب مينيستادي رقم (3)، يوم الثلاثـاء الموافق للثاني من شهر تشرين الأول، الساعــة الخامســة مســاءً. وكان تشارلي يترقَّب هذه المبــاراة باهتمام؛ لمشاهدة كيف يبلي ليو في مواجهة فريق الفتية ممّن يفوقونه سنًّا.

يتذكّــر ريكساش ذلــك قائلًا: «كنت قد أنهيت تنــاول الطعام توًّا، ووصلت إلــى الملعب بعد خمس دقائق من الموعد. كان الفريقان قـد بدأا اللعب فعلًا. كان عليَّ الركض من حول الملعب للوصول إلى الدكّة حيث يوجد المدرِّبون.

وقد تطلَّب منّي الأمــر سبع أو ثماني دقائق للالتفاف. وحين وصلت الدكّة كنــت قد اتخذت قراري. قلت لريفه وميغويلــي (مدرِّبي فريق الشباب): «لنوقِّع معــه العقــد حالًا. لقد أذهلني هذا الفتى؛ فمع أنّه لايــزال صبيًّا صغير الحجم، لكنه متميِّز، يملك ثقة عالية بالنفس، نشيط، سريع، ماهر، قادر على الاحتفاظ بالكرة في أثناء الركض بأقصى سرعة، مراوغ جيد لكلّ مَنْ يعترضه.

لم أجد صعوبة في اكتشاف ذلك؛ فمواهبه التي يعرفها الجميع الآن، كانت أكثــر وضوحًا حيــن كان في سنّ الثالثة عشرة. هنــاك دائمًا لاعبو كرة قدم في حاجــة إلى فريق يساندهم ليلمع نجمهم، لكنّه ليــس كذلك. وكنت دائمًا أجيب مَنْ يعزو إليَّ الفضل في اكتشافه بالقول: «لو أنّ الذي رآه كان من سكان المريخ لعرف أنّه مميَّز جدًّا».

وافــق المدير، وحُسِمــت الصفقة. وبعد ذلــك بيومين، يغــادر ليو ووالده بالطائــرة متوجّهيْنِ إلى بوينوســ آيرس تغمرهما فرحة عارمــة. وكان تشارلي ريكساش قد أكَّد بوساطة طرف ثالث أنّه سرعان ما ستُوجَّه إليهما دعوة للسفر إلى برشلونة مرّة أُخرى؛ للانتهاء من تفاصيل العقد.

لا يعرف خورخي تشارلي شخصيًا - حتى يومنا هذا - الظروف والملابسات التـي اكتنفت توقيع هذا العقد، لكنّـه يعترف أنّ سبب لعب ابنه لنادي برشلونة، هو عناد ذلك المدرِّب.

انتهت المغامرة على الطرف الآخر من المحيط الأطلسي على نحوٍ طيب. لكـنّ الأمور تصبح أكثر تعقيـدًا كلّما اقتربت من مراحلهـا النهائية؛ إذ لايزال هنــاك كثير من العقبـات لتخطّيها. يتذكّر ريكساشـ - المُلقَّب بفتى بدرالبس (أحـد أحيـاء برشلونة)، وأحـد رموز النـادي - اليومَ المشـكلات جميعًا التي واجهها، في أثناء جلوسه معنا في مقهى فندق الأميرة صوفيا القريب من ملعب نو كامب.

«كانـت أولـى المشكلات أنّه أجنبـي، والقوانين تمنـع أيّ طفل أجنبي من اللعـب في الدوري أو البطـولات الوطنية. كان ذلك بالنسبـة إلينا عائقًا كبيرًا. وتمثّلـت المشكلـة الثانية في أنّه لايـزال طفلًا. فقد ينتهي بـه المطاف في نادٍ آخر؛ سواء كان ذلك خياره، أو من جرّاء الإصابة، أو العمر. أمّا المشكلة الثالثة فتتعلّـق بوالديه؛ فما الذي سيفعلانه؟ يتعيّـن علينا إيجاد وظيفة لكلٍّ منهما في حال قرّرا الانتقال إلى إسبانيا.

وأخيرًا، فالفتى يعاني مشكلة في النمو، ويحتاج إلى العلاج».

يشـرح ريكساش كيف وازن بين السلبيات والإيجابيات، ليُقرِّر بعدها - مع زملائـه - أنّ عليهم المجازفة، وبأيّ ثمن، «وتوقيع العقـد؛ لأنّه بارع جدًّا». ومع ذلك، لم يكن جميع مَنْ في النادي مقتنعينَ بالأمر. وقد جرت العادة على طرح كثيـر من الأسئلة ساعة اتخـاذ القرار؛ فقد رأى بعضهـم أنّ ليو صغير الحجم هزيـل الجسـد، وأنّه مجرّد لاعب لافـت لا أكثر. وقد ردّ تشارلـي على مثل تلك الآراء والاعتراضـات بقولـه: «أحضروا لـي اللاعبين اللافتيـنَ الصغار كلّهم،

أريدهـم جميعًا في فريقي». حتى رئيس النادي، خـوان غاسبارت، طلب شرحًا وتفسيـرًا للموضوع؛ لمعرفـة إذا كان الأمـر يستحق العناية بصبـي في الثالثة عشرة من العمر وعائلته.

يـردّ تشارلي بالإيجـاب، موضِّحًا أنَّ هـذا الأمر يُعَدّ مجازفـة يتعيّن على النـادي خوضها. يمرّ الوقت في هذه الأثناء، فينتهـي شهر تشرين الأول، يتبعه تشرين الثاني من دون وصول القرار المنتظر.

سوف يتصل منغويلا بريكساش في الرابع من شهر كانون الأول، ويخطط للاجتماع به في مطعـم بجمعية بومبي ريال للتنس في مونتخويك. وفي الموعد المحـدَّد، حضـر هوريشيـو جاغيولي – الـذي كان يُمثِّل عائلـة ميسي حينها– الاجتمـاعَ أيضًـا. يبدو أنّه الأكثـر إصرارًا، ويتذكّر أنّه قـال: «لقد قطعنا شوطًا كبيرًا يا تشارلي. إمّا أن تأخذوه، وإمّا أن يذهب إلى مكان آخر....». ثمّ يضيف: «لم أكن أخدعه، فقد بدأنا حقًّا مفاوضات مع ريال مدريد».

يقول ريكساش: «لم يثقـوا بي ولا ببرشلونة. لقد أرادوا اتفاقًا مكتوبًا، وإلّا فإنّهم كانوا سيضعون حدًّا للمفاوضات. كنت مُصِرًّا على ألّا يفلت ذلك الصبي من يدي. لذا، تناولت منديلًا ورقيًّا، ثمّ كتبت شيئًا جعل النادي يوافق على توقيع العقـد مع ليو ميسي في حال استُجيب لشروطه. ذيَّلت توقيعي على المنديل، ثمّ أعطيته إيّاه».

وكـذا فعـل كلٌّ من منغويـلا وجاغيولي أيضًـا (حُفِظ المنديـل بعد ذلك، وأصبـح بمنزلـة قطعة أثرية)، وكان ذلك ميثاق شـرف، لكنّه لم يكن كافيًا؛ إذ تـودّ عائلة ميسي الحصـول على بعض الضمانات قبل حـزم حقائبها، ومغادرة برشلونة؛ بَدءًا بدفع تكاليف السفر، وانتهاءً بتوفير منزل ووظيفة لخورخي الذي سيترك عمله في مؤسسة أسيندار للحاق بابنه وبقية أفراد العائلة.

يعمل تشارلي ريكساش بجدّ لحلّ المشكلات العالقة، لكنّ الأمر ليس بالهيِّن؛ إذ «لم نستطع مناقشة مسألة تقديم عقد في البداية؛ فقد كان طفلًا سيلعب مع فرق الشباب. لكن، كان لزامًا علينا فعل ذلك، وهذا ما حدث فعلًا».

في الثامن من شهر كانون الثاني عام 2001م، جرى التوصّل إلى اتفاق نهائي في مطعم آخر في برشلونة يُدعى فيا فينيتو. وفيه التقى خوان لاكويفا الذي كان حينها مدير الكرة في النادي مع منسِّق أكاديمية الشباب خواكيم ريفه الذي يملك قدرة على استشراف المستقبل، ويودّ أن يبذل النادي جهدًا لإغراء ميسي. طلب ريفه تقريرًا من المتحمِّس ريكساش، الذي كتب ببساطة «إنّ ميسي لاعب خارق». وبناءً عليه، كُتِبَت رسالتان إلى خورخي ميسي؛ إحداهما من تشارلي تؤكِّد الاتفاقَ الذي أبرِم مع العائلة في برشلونة، والأُخرى من لاكويفا تتعلّق بالشروط المالية، ويشرح فيها التفاصيل الخاصة بالمنزل الذي سيُؤَجَّر لهم، والمدرسة، ومبلغ سبعة الملايين بيزيتا (40,000 دولار تقريبًا) التي سيحصل عليها الأب لقاء العمل في النادي، وهو مبلغ يساوي تقريبًا ما يحصل عليه اللاعب عادة. ولكن، في مثل هذا الحال، سيكتفي اللاعب بمنحة دراسية.

كانت الرسالة كافية لكي تحزم عائلة ميسي أمتعتها؛ إذ حطَّت العائلة بأكملها الرِّحالَ في مطار مقاطعة كاتالونيا، في الخامس عشر من شهر شباط عام 2001م، حيث كان شتاء برشلونة على أشدّه.

الفصل العاشر

مُغيِّر مجريات المباريات

حوار مع فيرناندو نيمبرو المُلقَّب بشيشيه، والمُعلِّق في قناة فوكس

لنتحدث عن ميسي، وعن انتقاله إلى إسبانيا.

«لم يتوقف، أو حتى يمرّ من بوينوس آيرس؛ فمطار إيزيزا الدولي الذي غادر منه إلى أوروبا لا يقع في المدينة. لقد غادر بوصفه صبيًّا يعاني مشكلة في النمو، لكنّ قدراته تفجَّرت في برشلونة. لم نكن نعرف أيّ شيء عنه. فقد خطفه منّا الأسبان. بعد ذلك عرفنا أنّه يوجد هناك (في إسبانيا) صبي أشول يمتلك مواهب وقدرات فائقة. ما حدث حينها يحدث الآن مرارًا؛ توقِّع الأندية الأوروبية الكبيرة مع لاعبينَ يافعينَ من أمريكا الجنوبية. لا يتطلّب الأمر أن يكون هؤلاء اللاعبونَ قد لعبوا ضمن فرق الدرجة الأولى، أو فازوا ببطولات عالمية حتى يتم شراؤهم أو التعاقد معهم؛ إذ تقوم الأندية بإخراجهم من أحد الأحياء العشوائية في البرازيل بوساطة الطائرات المروحية، ونقلهم إلى مدارس كرة القدم التابعة لها. إنّها هجرة جماعية للاعبينَ الموهوبينَ الصغار تعمل على تدمير بطولاتنا الدورية الوطنية».

ما تقييمك لميسي في الوقت الحالي؟

«يمكن تشبيه ميسي الآن بلا تيغازو (تعني حرفيًّا ضربة السوط)».

ماذا تقصد بذلك؟

«إنّـه لاعب قادر علـى زعزعة المنافس، وتغيير مجريـات المباراة بحركة واحـدة. لا شكّ في أنّ هناك لاعبـي كرة قدم ماهرين، لكنّهم يعجزون عن فعل ذلك طوال الدقائـق التسعين. في حين يستطيع هو بثّ الحماس بين الجماهير ومنتقديه على حدّ سواء بمراوغة واحدة أو تمويه.

ومـع ذلك، فنحـن الأرجنتينيين غيـر معتادين علـى مثل ذلـك؛ إذ أَلِفْنا مشاهـدة اللاعبيـنَ العظمـاء، المتكامليـنَ، المتناسقيـنَ، الذيـن يُسخِّـرون مواهبهم لمصلحة الفريق. لذا، فأمام ميسي المزيد لتعلُّمه».

ما الذي يتعيَّن عليه تعلُّمه؟

«يتعيَّـن عليـه أن يفهم أنّه جزء من كلّ، فيشارك زمـلاءَه الكرة، ويُمرِّرها بصـورة أسرع، ويعمل علـى صناعة الأهداف، وعدم الاعتقـاد أنّه لاعب يواجه العالَـم أجمع وحده. فـأداؤه يوحي أحيانًا بأنّه يريد الكـرة لنفسه فقط، ولا يودّ مشاركة أحد فيها. ما زال أمامه متّسع من الوقت للتعلّم، لكنّه يحتاج إلى مدرِّب قديـر وزملاء رائعين لينجح في ذلك. وهو يملك ذلك كلّه الآن في صرح عظيم مثل نادي برشلونة».

هل من شيء آخر يتعيَّن عليه تعلُّمه؟

«يجب أن يكون حذرًا حيال التسويق».

ماذا تقصد بذلك؟

«يجـب ألّا يفكِّـر أنّـه، إذ لم يؤدِّ جيـدًا فسيفقد عقود الترويـج للساعات، أو المشروبات، أو ما شابه».

لنُغيِّر الموضوع... ميسي ومارادونا؟

«لا مناص من المقارنة بينهما، فمارادونا وبيليه يُعَدّان أُنموذجيْنِ في كرة القـدم، لكنّ المقارنـة هنا غير عادلة. ويمكن عمل مقارنـة عندما ينهي ميسي مسيرته الكروية، لكنّها لن تكون دقيقة حينئذٍ أيضًا».

لماذا؟

«لأنّ اللاعبينَ اليوم يواجهون عقبات أكثر من تلك التي كانت قبل عشرين عامًـا. لقد أصبحت كرة القدم اليوم فـي حاجة إلى سرعة أكثر، ومجهود بدني أكبـر. وأصبح عدد المباريات وكَمّ المعلومـات أكبر؛ فنحن نعرف كلّ شيء عن أيّ شيء. لذا، فمن الصعب حدوث أمر مفاجئ أو استثنائي. لقد أضحى العالَم مكانًا أكثر تعقيدًا».

ذلك كلّه صحيح. ولكن، ألا توجد أوجه شبه بين كلا اللاعبيْنِ؟

«قطعًـا هنـاك تشابه فـي بعض الصفـات، مثـل: السرعـة، أو المراوغة الخاطفـة، لكنّ حركة ميسي تكون في اتجاه واحد دائمًا، خلافًا لمارادونا الذي كان ماهرًا في استخدام كلتا قدميه».

في رأيك، هل سيتفوَّق ميسي على مارادونا؟

«أتمنـى أن يصبح أفضل من مارادونا. فذلك سيكـون أمرًا رائعًا بالنسبة إلى كرة القدم في الأرجنتين. ولكن، ينبغي لميسي أولًا الفوز بكأس العالَم».

ما الذي يُخبّئه المستقبل لميسي؟

«مـن الصعب التنبّؤ بذلك، فعالَم كرة القدم يتسارع بوتيرة كبيرة، ويتغيّر بسرعة فائقة. كلّ شيء يتغيّر، ويتطوّر على نحوٍ محموم».

الفصل الحادي عشر

رخصة مشروطة

السادس من آذار عام 2001م

يظهر ليو في صورته المطبوعة على أول بطاقة تعريف يُصدِرها له نادي برشلونة بوجه ممتلئ وغرّة، فضلًا عن الابتسامة التي سرعان ما ستختفي؛ لأنّ الأمور لن تجري على أفضل حال بالنسبة إليه خلال الأشهر الأولى التي سيقضيها على الأراضي الكاتالونية، بعدما يمنحه الاتحاد الكاتالوني رخصة مشروطة لمزاولة كرة القدم في السادس من شهر آذار؛ أي بعد أسابيع عدّة على وصوله، ليصبح في اليوم اللاحق قادرًا على الظهور أول مرّة على أرضية ملعب أمبوستا، مرتديًا القميص رقم (9) للبلاوغرانا (اللونان: الأزرق والعنابي في اللغة الكاتالونية)؛ حتى إنّه قد يتمكّن من تسجيل هدف. لكنّ الأمر المُشكِل هو أنّه أجنبي؛ ما يعني منعه من اللعب في البطولات الوطنية، ومن ثَمّ فلن يحقّ له مشاركة فريق الأطفال (أ) في اللعب كما هو مُخطّط له. وهذا يحتم عليه الانضمام إلى فريق الأطفال (ب) الذي ينافس في البطولة المحلية لإقليم كاتالونيا. وقد زاد الأمر تعقيدًا أنّ الفرق في شهر آذار كانت قد شُكِّلت، والمنافسات قد بدأت. لذا، كان من الصعب – والظلم– سحب أحد الأطفال الذين بدؤوا الموسم مع الفريق لإفساح المجال لليو، على الرغم من موهبة هذا الأخير.

هناك أمر مُشكِل آخر يتمثَّل في أنّ نادي نيولز لا ينوي إتمام إجراءات الانتقال اللازمة حتى يتسنّى لنادي برشلونة تسجيل ليو لدى الاتحاد الإسباني لكرة القدم.

هذا ليس كلّ شيء؛ فالأسوأ لم يأتِ بعد. ففي الحادي والعشرين من شهر نيسان، قام مدافع من نادي تورتوسا بالتصدي له بصورة عنيفة، أفضت إلى كسر في ساقه اليسرى.

كانت تلك أول إصابة في مسيرته الكروية. وهو يحتاج الآن إلى تقويم، فجبيرة، ثمّ إعادة تأهيل؛ ما يعني أنّه لن يتمكّن من اللعب قبل السادس من شهر حزيران.

وقد تكرّر الأمر نفسه بعد أسبوع؛ إذ تعرّض لإصابة أُخرى، أفضت إلى حدوث تمزُّق في أربطة كاحله الأيسر، لكنّ المُتسبِّب هذه المرّة كان ليو نفسه؛ إذ تزحلقت قدمه في أثناء نزوله الدرج. ولحسن الحظ، فقد كانت إصابته أقل خطورة من سابقتها، وسوف يغيب - على إثرها - عن الملاعب ثلاثة أسابيع.

أمّا الخبر الجيد الوحيد المتعلّق بالصحة فمردّه الفحوص وصور الأشعة التي خضع لها على يد اختصاصيي الغدد الصماء وأطباء النادي؛ إذ قرَّر هؤلاء، بعد استيفائهم دراسة سجلّه الطبي ومشكلات النمو لديه، أن يُقلِّلوا جرعة العلاج بهرمون النمو تدريجيًّا. ويمكن لبرنامج تدريب خاص وحمية معيّنة أن يساعدا الصغير على النمو بصورة طبيعية. ومع هذا، فقد يُضطر - في نهاية المطاف - إلى تحمُّل الحقن سنوات أُخرى قادمة.

وفي حال استثنينا هذا الأمر، فإنّ بداية مشواره مع برشلونة كانت سيئة بامتياز، لدرجة أنّه عند نهاية الموسم، وفي خضم تلك الأحداث كلّها، لم يلعب

إلّا فــي مبارتين رسميتين فقط، ودورة ودية (إضافة إلى المباريات التدريبية). أضــف إلى ذلك كَـمّ المشكلات التي تعيَّـن على ليو وعائلتــه التعامل معها؛ ما أفضــى إلى تفاقُم الأمور وازديادها تعقيدًا. فبعـد انتقال عائلة ميسي إلى شقة علـى جـادة كارلوس الثالث - بعـد الإقامة في فندق رالي- بـدا الوضع على ما يـرام. إلّا أنّ التكيُّف مع بيئة المدرسة الجديدة وبرامج التدريس فيها كان أمرًا بالغ التعقيد.

التحـق ليو بمدرسة جون الثانــي والعشرين الحكومية الواقعة في حيّ ليس كورتـس قرب ملعب نو كامب. لايزال ذلك الفتى الذي لا يحفل بالدراسة؛ إذ لم يكمـل المستوى الرابع من التعليم الثانـوي الإجباري؛ نظرًا إلى زيادة التزاماته الكروية بصورة كبيرة، إضافة إلى أمور أُخرى. لكنّه مع ذلك، لم يشكِّل مصدر إزعـاج لمدرِّسيه؛ فقد كان طالبًــا جادًّا مهذَّبًا، يواظِب علــى التزام الهدوء في أثناء جلوسه على مقعده عند الزاوية.

وإذا كان ليـو قد تمكَّـن- بصعوبة- من التكيُّف مع مثـل هذا الوضع، لكنّ ذلك لا ينطبق على أصغر أفراد العائلة، ماريا سول؛ إذ لم تتمكَّن من التأقلم مع نمط الحياة الجديد.

قامـت العائلة بدراسة خياراتها، ثمّ اتخذت بعض القرارات لدى مغادرتها إسبانيــا فــي العطلة الصيفيــة، واجتماعها مــرّة أُخرى في روزاريـو. فقد قرَّر سيليا وخورخــي (اللذان اضطرا إلى العودة باكـرًا للأرجنتين من أجل العناية بشقيقــة سيليا بعد خضوعها لعملية جراحيــة) أن يبقى شقيقا ليو وشقيقته في الأرجنتيــن. فــي حين سألا ليو عمّا يودّ القيام به، ومــا إذا كان يريد العودة إلى برشلونة، أو الحياة في روزاريو.

لا تظهـر علـى مُحَيّا الصبي مشاعـر الحيرة أو التردّد؛ فمـن الواضح أنّه يريـد تحقيـق النجاح في برشلونة، ولا يودّ أن يقلق عليـه أحد. لذا، تجد العائلة نفسهـا مضطرة إلـى الانفصال عن بعضهـا بعضًا بعد خمسـة أشهر فقط من وصولهـا إلـى إسبانيـا؛ إذ سيقيـم بعضٌ منها على طـرف المحيـط (سيليا، وماتياس، وماريا سول، ورودريغو). في حين يستقر بعضٌ آخر (خورخي، وليو) على الطرف الآخر.

لقـد أصبـح الوضع أصعب مـن المتوقّع بالنسبة إلى ليو الـذي سيعود إلى برشلونة في العشرين من شهر آب، والذي بلغ الآن الرابعة عشرة من العمر.

انتهى فصل الصيف، وعادت المدرسة والتدريبات من جديد. ولأنّ موضوع الانتقـال المشروط بموافقة الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم لم يُحسَم بعدُ، فإنّ ليـو لـن يتمكّن من اللعـب إلّا في دوري المباريـات الودية. ما بيـده حيلة إلّا أن يبذل قصارى جهده في التدريبات، ويستثمر طاقته ورغبته في تحقيق الفوز في المباريات الودية التي يخوضهـا. كان ذلك أسلوبًا لاحظه عليه مدرِّبوه وزملاؤه من أعضاء الفريق (ب).

ولحسن الطالـع، فإنّ موسم الانتقالات بين الفرق يبدأ نهاية عام 2001م، ويستمـر حتـى مطلع عـام 2002م. وفي هذه الأثنـاء، يوقِّع خورخي عقـدًا ثانيًا بالنيابـة عن ابنه في كانون الأول، وهـو عقد بديل عن ذلك الذي وقَّعه في أيار، وقـد تضمّن تصويبًا لبعض المسائل، ولا سيّما الماديـة منها؛ نظرًا إلى الحالة الماديـة المتردية - نوعًا ما- التي كانت تمرّ بهـا العائلة بسبب تأخّر الدفعات، والمشكلات البيروقراطية.

يُذكَر أنّ ليو سيوقِّع ستة عقود يلتزم بها باللعب مع نادي برشلونة على مدار السنـوات القليلة المقبلة، ويُعَدّ ذلك دليلًا على التقدّم اللافت الذي أحرزه هذا

اللاعب، فضلًا عن المستجدات التي طرأت على أولويات النادي، والمشكلات الداخلية التي يعانيها. ومن ذلك، شعور المدير بالانزعاج لعدم إعلامه بالمفاوضات الجارية، ثمّ رميه العقد في سلّة المهملات، وكذا عدم تقبُّل بعض إداريي النادي لفكرة إنفاق مبالغ طائلة في سبيل التعاقد مع صبي صغير.

في نهاية المطاف، وصلت وثائق الفيفا في شهر شباط، وذلك أتاح للاتحاد الإسباني لكرة القدم المضي قُدُمًا في التصديق على عقد ليو. ففي السابع عشر من شهر شباط عام 2002م، وبعد سنة تقريبًا من وصوله إلى برشلونة أول مرّة، يُسمَح لليو بالمشاركة في البطولة؛ إذ لعب أمام فريق أسبلوغويس دي يوبريغات على ملعب كان فيداليت. ومع أنّه دخل الملعب في الشوط الثاني فقط، لكنه نجح في تسجيل ثلاثة أهداف لتصبح النتيجة النهائية (1-14). بعد ذلك بأقل من شهر، وفي التاسع والعشرين من شهر آذار تحديدًا، نال ليو أول لقب له مع فريق البارسا بعد فوزه على فريق إل برات (0-6). وبذا، تكون الأيام السيئة قد ولَّت، ويبدأ زمن الانتصارات المتوالية؛ كالفوز بدورة تايجن في سويسرا، والأهم من ذلك، الفوز بكأس مايستريللي في مدينة بيزا بإيطاليا، التي أقيمت فيها المباريات في المدة الممتدة بين السابع والعشرين من نيسان والسابع من أيار. فقد تغلَّب الفريق (ب) على معظم الفرق المشاركة، مثل: الإنتر، وكييفو، وبريشيا؛ وتعادل مع يوفنتوس، وتمكّن من هزيمة بارما في النهائي، ليتوَّج ليو بعدها بأفضل لاعب في البطولة، ويصبح فجأة لاعبًا عظيم الشأن.

يقول سيسك فابريغاس قائد فريق آرسنال الإنجليزي (انتقل إلى برشلونة في موسم 2011م-2012م) الذي كان زميلًا لليو حينئذٍ: «كنّا نعتقد أنّه أبكم، ثمّ اكتشفنا أنّه ليس كذلك، وأنّه يستطيع الكلام؛ وذلك بفضل البلاي ستيشن، وتلك الرحلة إلى إيطاليا.

وحتى تلك اللحظة، كان فكتور فاسكيز دائم الملاحظة لميسي، اللاعب في صفوف الفريق (ب)، الذي يدخل غرف تبديل الملابس، ويجلس في إحدى الزوايا ليبدِّل ثيابه، ثمّ يغادر من دون أن ينبس ببنت شفة. لقد تمكَّن هذا الفتى من كسب ثقة مَن حوله عندما كنّا في إيطاليا، ولا سيّما فكتور فاسكيز الذي كان يلقبِّه بِ «القزم».

أخذ ليو يتحدث مع فكتور بلهجة اللونفاردو؛ أي العامية الأرجنتينية، وكان من المستحيل فهمه إن فعل. ويُقِرّ المدرِّب تيتو فيلانوفا بأنّ كأس مايستريللي مثَّل فرصة لميسي مكَّنته من الاختلاط أكثر بزملائه في الفريق، وقضاء الوقت معًا، والتخلّص من حالة الخجل التي كانت تعتريه. يقول فيلانوفا: «فهو لم يكن خجولًا قطّ على أرض الملعب. وقد بدا صغير الحجم، مثل مارادونا في أثناء مقارعته اللاعبين».

لم يحظَ ميسي بمديح مدرِّبه فحسب، بل نال احترام أقرانه وتعاطفهم أيضًا. بعد تجاوز المرحلة العصيبة التي مرّ بها ميسي أول الأمر، ينتهي موسم 2001م–2002م على نحوٍ طيب؛ سواء في الوطن، أو في الغربة بعيدًا عنه. فقد اختُتِم هذا الموسم بالفوز على فريقي ريال مدريد وإسبانيول، في دورتي فياريال وسان غابرييل.

انضم ليو إلى الفريق (أ) في بداية موسم 2002م–2003م، وقد شارك في مباريات الدوري كلّها (30 مباراة)، فكان اللاعب الوحيد الذي حظي بذلك الشرف، واستطاع إحراز (36) هدفًا، متقدِّمًا بذلك على ما أحرزه المهاجم فكتور بخمسة أهداف؛ منها ثلاثة هاتريك (ثلاثة أهداف)، وواحد سوبر هاتريك (أربعة أهداف)، فضلًا عن تحقيق لقبين مهمّين (لا ليغا دي ديفيجن دي أونور، وهدّاف كأس كاتالونيا)، إضافة إلى ألقاب أُخرى، مثل: كأس لاديزلاو كوبالا التذكاري، والدورات الصيفية الثلاثية.

تساعـد مثل هذه الحقائق والأرقام علـى تقديم إيجاز وتقييم للحملة التي بدأها ميسي عندما كان لايزال في الخامسة عشرة من عمره. كان طوله حينها 1,62 متر، ووزنه 55 كيلوجرامًا. ومع أنّه كان أقصر لاعب في الفريق (أطولهم كان جيـرارد بيكيـه؛ 1,91 متر)، لكنه لم يكـن أصغرهم سنًّـا (سيبلغ رامون ماسـو فالاماخـو الخامسة عشرة في شهر تشريـن الأول القادم). وعلى الرغم مـن ذلك كلّه، مثَّل ميسي أحـد الأركان الرئيسة لذلك الفريق الموهوب، بقيادة أليكـس غارسيـا. وفي المقابـل، تخلَّف هذا اللاعب عـن المشاركة في مناسبة واحـدة، هـي بطولة كأس إسبانيا؛ إذ لم يتمكَّـن هو ولا فرانـك سونغو (نجل جاك؛ الحارس الكاميروني الذي لعب سابقًا لنادي ميتز الفرنسي، وديبورتيفو لا كورونيـا الإسباني) مـن المشاركة (مع أنّه شـارك اللاعبين الآخرين فرحة النصر)؛ لأنّ القوانين تنصّ على أنّ اللاعبين المولودين في إسبانيا، أو أولئك الذيـن يحملون الجنسية الإسبانية، هم فقط الذين يحقّ لهم المشاركة في تلك البطولـة تحديـدًا. وهي قوانين أفضـت إلى كثير من المشـكلات والأزمات في السنوات المقبلة.

الفصل الثاني عشر

قناع بويول

حوار مع أليكس غارسيا أحد مدربي ميسي

حُـدِّد مكان اللقاء عند حلبـة التزلّج في ملعب نو كامب. اللاعبون الشباب المحترفـون يلعبون، وهنـاك آخرون يواصلون أداء بعض التمارين المرهقة التي يرافقهـا صـدام عنيف على الطرف الآخر من الحاجـز الزجاجي الذي يفصل الحلبـة عـن المقصف والمرافـق الرياضية. يعـرف أليكس غارسيـا أحد تلك التماريـن جيدًا، وإن كان يمارس التمرين على أرضية مختلفة تمامًا. أليكس في الثانية والأربعين من العمر، كان لاعب وسط هدّافًا في النادي الكاتالوني (لعب أول مباراة له في الخامس من شهر كانون الأول عام 1990م، ضمن أشهر فريق مـرّ على النـادي: فريق الأحلام)، وعمل مدرِّبًا لفريـق الشباب في النادي مدّة تسـع سنوات (درَّب ميســي موسمًا كاملًا). وهو الآن يـدرِّب فريق نادي دينامو تيبليسي.

لنعـد قليلًا إلى بطولة موســم 2002م-2003م، مَن أبــرز اللاعبين الذين أشرفت على تدريبهم؟

«هذا هو عامي الثاني الذي ما زلت فيه مدرِّبًا للفريق (أ)، الذي ضمّ مجموعة من الفتية الموهوبين، أمثال: سيسك فابريغاس، وبيكيه، وفاسكيز، وليو».

كيف كان هذا الأخير؟

«كان متوقّد الذهن، ينتبه لكلّ شاردة وواردة، هادئًا، خجولًا، متحفِّظًا، راقيًا. لقد كان لاعبًا فريدًا ومتميِّزًا؛ إذ لم يتمكّن أحد من إيقافه حال حصوله على الكرة، وكانت مراوغاته فاصلة حاسمة. أذكر أيضًا أنّه كان يشعر بضيق شديد في حال لم تمرَّر له الكرة، أو تراجع أداؤه على نحوٍ لا يرقى إلى طموحه، لكنّه لم يكن يحتج على قرارات الحكّام، أو على أيّ خطأ ارتُكِب بحقّه، ولم يحاسب صاحبه على ذلك».

كيف كان تعامله مع بقية أفراد الفريق؟

«لقد كانوا يعتنون به كثيرًا، ويدافعون عنه؛ لأنّه كان بمنزلة أخيهم الأصغر، فضلًا عن تعرّضه كثيرًا للأذى من لاعبي الفرق المنافسة، وهذا ما دفع بيكيه وفاسكيز إلى مساندته دائمًا. لقد كان الجميع يدركون أهميته ودوره الفاعل في الفريق، وقدرته على حسم المباراة في أيّ لحظة».

هل نشبت بينكما أيّ مشكلات؟

«لا، أبدًا. كنت أدرك أنّه بعيد عن وطنه وعائلته، وأنّه يعيش هنا مع والده وحدهما. كنت أتخيل مدى الحنين الذي يشعر به تجاه وطنه وبلدته، وأسأله أحيانًا عن ذلك الأمر، لكنّه كان يتصرّف بصورة طبيعية، وكأنّ كلّ شيء على ما يرام. ولعلّ أبرز ما كان يتصف به، هو قدرته الفائقة على إخفاء مشاعره كلّها، وطموحه الذي لامس عنان السماء. ومع أنّه كان صغيرًا لم يتجاوز سنّ الخامسة عشرة بعدُ، لكنه كان على دراية بما يصبو إليه، وبوجود فرصة سانحة للعب مع فريق البارسا. لقد كان ليو يعي جيدًا معنى بذل التضحيات؛ سواء من طرفه، أو من طرف عائلته، ولم يكن يشأ إضاعة الفرصة التي أتيحت له. كان الشيء الوحيد الذي يضايقه فيما يخصّ كرة القدم – علمًا بأنّه لم يشتكِ

قـطّ مـن أيّ شيء، على الرغم مـن ظهور الامتعاض والضيق علـى مُحَيّاه– هو اللعـب فـي المكان الذي لا يناسبه. كنت أشركه فـي مواقع مختلفة من الملعب؛ حتـى أطوِّر مهاراته (وهـذا إجراء معتاد في فرق الشبـاب)، فتارة يكون لاعب وسط أو لاعب وسط متقدّمًا، وتارة أُخرى يكون لاعب جناح أيمن أو أيسر، لكنّه لـم يكن يحـبّ ذلك؛ فنراه يغـادر مكانه خلال دقائق معـدودات ليتمركز خلف المهاجمين. لم يكن شيء يردعه عن ذلك».

ما الذي يمكن أن تعلّمه لفتى مثله؟

«أعتقـد أنّه عرَّفنا كرة القدم التي تُلعَب فـي الشوارع، أو كما يسمّونها في الأرجنتيـن «لعـب الحواري»، التي تشمـل المراوغة والتمويه. وقـد حاولنا نحن بدورنا أن نغرس فيـه كرة القدم الهجومية التي نمارسها (الخاصة بالبارسا)، وتشمـل الاستحواذ على الكـرة وقتًا طويلًا، وبذل أقصى مجهـود، والتقدّم إلى الأمام بلمس الكرة مرّتين أو ثلاث، وتبادل الكرة في منتصف الملعب، والضغط علـى الخصـم في مناطقه؛ إذ يتعيّن على كلّ لاعـب أن يُظهِر جميع مهاراته في أثناء اللعب».

مـا أجمـل الصـور والذكريات التي لا تزال عالقة فـي مخيلتك عن ذلك الموسم المنصرم؟

«هناك كثير من الصور العالقة في مخيلتي عن ليو، لكنّ أكثرها روعة هي تلك المتعلّقة بالقناع».

لم لا ترويها لنا؟

«حـدث ذلك في آخر مباريات الـدوري، التي جمعت برشلونـة بإسبانيول علـى ملعب مينيستـادي. كنّا في حاجة إلـى تعادل على الأقلّ لنفـوز بالبطولة.

وبينما كنّا متقدّمين (0-1)، وقع فجأة تصادم بين ليو وأحد مدافعي الببغاوات (لقب نادي إسبانيول). فقد ليو الوعي لحظات، ونُقِل إلى المستشفى في سيارة إسعاف. قالوا: إنّه أُصيب بكسر في عظم الوجنة، وإنّه يحتاج إلى أسبوعين ليتعافى. لم يتمكّن من اللعب في المباراة النهائية لكأس كاتالونيا التي تقرَّر موعدها بعد أسبوعين فقط من ذلك. أحزنت تلك الأخبار الفريق بأكمله، خاصة أنّهم تمكّنوا من هزيمة إسبانيول بنتيجة (1-3)، وتُوِّجوا أبطالًا للدوري. حسنًا... يمرّ الأسبوع الأول، ويخبرنا أطباء النادي في الأسبوع الذي يليه أنّ بإمكان ليو التدرُّب إن ارتدى قناعًا واقيًا. كان لاعب الفريق الأول كارلوس بويول قد عانى قبلها بشهرين إصابةً مشابهةً، وآثر ارتداء واقٍ للوجه على إجراء عملية جراحية. ذهبنا لإحضار القناع لنتعرّف إذا كان بمقدور ميسي استخدامه أم لا. وافق الأطباء على الأمر، وسمحوا له باللعب في النهائي الذي أقيم في الرابع من شهر أيار بشرط ارتداء القناع».

ماذا حدث في المباراة النهائية؟

«بعد بدء المباراة، وقيام ليو بهجومين متواليين، لاحظت أنّه يرفع القناع قليلًا؛ فقياسات القناع لا تناسبه، ولا تتيح له الرؤية جيدًا. يقترب من الدكّة بعد دقيقتين، ثمّ يصرخ صوبي قائلًا: «إليك القناع يا كابتن»، ويرميه باتجاهي. فرددتُ قائلًا: «إن نزعته يا ليو، فسأخرجك من الملعب. تصرّفك سيوقعني في ورطة...». فردّ قائلًا: «لا، أرجوك يا كابتن، دعني ألعب قليلًا فقط». وفي هذه الأثناء، تمكّن من الاستحواذ على الكرة مرّتين في خمس دقائق، ثمّ سجّل هدفين. فقد استلم الكرة من منتصف الملعب في المرّة الأولى، ثمّ وصل مرمى الخصم، وراوغ الحارس مسجّلًا هدفه الأول. وفي المرّة الثانية تلقّى تمريرة عرضية من فرانك سونغو، ثمّ أنهاها في المرمى على نحوٍ رائع. كنّا متقدّمين

(0-3) مـع نهايـة الشـوط الأول، فقلتُ له: «لقـد قمت بواجبك تجـاه الفريق، استرح على الدكّة الآن».

يـا لهـا مـن قصـة جميلة! اصـدقني القـول الآن، هـل توقَّعْتَ أن يُحقّق ميسي ما حقَّقه؟

«نعـم. ولكن، ليس بهذه السرعة؛ فقـد كنتُ موقنًا أنّـه يمتلك الكثير من المواهـب، وأنّه سيتمكّن مـن اللعب مع الفريق الأول. ولكـن، أن تتفجَّر مواهبه وطاقاتـه بتلك السرعة، فهذا ما لم أتوقّعـه. لقد حدث كلّ شيء بسرعة كبيرة. لـذا، أعتقد أنّه سيتـرك بصمة وعلامة مميَّزة في هذا العصـر إذا لم يتعرّض لإصابة خطيرة».

الفصل الثالث عشر

الظهور الأول

السادس عشر من تشرين الثاني عام 2003م

إنّــه ملعــب دراغــاو الجميــل، بلونــه الأزرق المتبايــن مع أرضيــة الملعب الخضــراء؛ مدرّجاتــه المكشوفة تتيح إلقــاء نظرة على مدينة بورتــو بأضوائها البهية. تزيد المظلة البيضاء من بهاء أرضية الملعب.

بُنِــي هذا الملعب الذي صمَّمــه المهندس مانويل سالغــادو، ويتسع لاثنين وخمسيــن ألــف متفــرِّج، ليحلّ محــلّ الملعــب القديــم المُسمّى داســ إنتاس، ويستضيف بعض مباريات بطولة أُمم أوروبا لعام 2004م.

أُقيمت المباراة الافتتاحية للبطولة هناك، حيث واجهت البرتغالُ اليونانَ. إنّــه الملعب الــذي يحتضن عادة مباريات نــادي بورتو لكرة القــدم؛ وهو مكان جميــل ومضاء بصورة جيدة، تتناسب مع أول ظهور لليو الذي سيشارك الفريق الأول اللعــب، خاصة أنّه يصــادف يوم الأحد، السادس عشــر من شهر تشرين الثاني عام 2003م؛ وهو تاريخ افتتاح الملعب.

تجمَّعــت الحشود الهائلة التي حفزها الفضــول وحبّ الكرة إلى ترقُّب بدء مراســم افتتاح البطولــة، ومتابعة لوحات فنية رائعة لكــرة القدم في مدينتهم، وتجربة سحرها مباشرة، آملةً أن تمثّل ألوان ملابس فريقها فألًا حسنًا بالنسبة

إليهـم، ومتطلِّعةً إلى قضاء نصـف ساعة بأبصار شاخصة تجـاه السماء التي اشتعلت بالألعاب النارية.

تُعَـدّ مبـاراة اليوم حدثًا قليل الأهمية؛ فهي تفتقـر إلى كثير من فنون كرة القدم، وإلـى مشاعر الإثارة والحماس التي تـلازِم مدرّجات المشجّعين عادة، ناهيـك عن الأداء الممل الهزيل الذي رافق الحـدث والفريق المضيف، وانتهى بخروج هذا الأخير فائزًا بنتيجة (0-2).

يظهر ليونيل ميسي أول مرّة في الدقيقة الرابعة والسبعين. لقد كان التغيير الثالث الذي يجريه نادي برشلونة، الذي انضمّ إلى كوكبة الأبطال الذين يحتفلون بذلـك العرس الكروي البرتغالـي. ضمّت التشكيلـة – قسرًا- كثيـرًا من لاعبي الفريـق الرديف؛ إذ جرى استدعـاء اللاعبين الدوليين إلـى منتخبات بلادهم، للمشاركة في التصفيات المؤهّلة لبطولة أُمم أوروبا لعام 2004م، أو في المباريات الوديـة. إذن، لقد استُدعِـي الصغار الواعدون لرحلة البرتغـال، وهم: خواكيرا، وأوسـكار لوبيز، وأوليغيـر، وماركيز، وفيرناندو نافـارو، وتشافي، وروس، وسانتا ماريـا، وغابري، ولويس غارسيا، ولويس أنريكه، وإيكسبوزيتو، وتياغو، وجوردي، وأوريـول ريبرا، وميسي، الـذي كان قد أحرز في اليوم السابـق ثلاثة أهداف في أثناء مشاركته الفريق (أ) في غرانولرز (مدينة قريبة من برشلونة).

يدخل ليو بديلًا لنافارو، مرتديًا القميص رقم (14)، على أحرّ من الجمر للكشـف عن معدنه. وقد نجـح في ذلك مع أنّ مشاركته لم تتعـدَّ ربع ساعة؛ إذ هيَّـأ لزملائه فرصتين للتسجيل. يُعلِّق فرانك ريكارد - بعد المباراة- على ذلك قائلًا: «إنه فتى موهوب جدًّا، ولديه مستقبل واعد».

يبلـغ ليو من العمر ستـة عشر عامًا وأربعـة أشهر وثلاثـة وعشرين يومًا. ويصبـح بذلـك ثالث أصغر لاعـب في تاريخ النـادي يشارك الفريـق الأول في

مبارياته. وقد سبقه إلى ذلك كلّ من: بولينو إلكانتارا، الذي شارك أول مرّة في مباراة أمام نادي كاتاليا في الخامس والعشرين من شهر شباط عام 1912م، وكان يبلغ حينها خمسة عشر عامًا وأربعة أشهر وثمانية عشر يومًا، والنيجيري آرونا بابانغيدا الذي أشركه المدرِّب السابق للفريق لويس فان خال دقائق معدودات في مباراة أمام نادي إيه جي، أو في الهولندي عام 1998م، وهي مباراة ودية تحضيرية أُقيمت في هولندا، وكان عمره وقتئذٍ خمسة عشر عامًا وتسعة أشهر وثمانية عشر يومًا. لقد كان ذلك حقًّا مؤشِّرًا إيجابيًّا لأداء الفتى الصغير الذي وصل من الأرجنتين قبل سنتين ونصف السنة.

شكَّلت تلك الليلة الرائعة في بورتو استثناءً إلى حين؛ إذ تعيّن على ميسي الانتظار حتى شهر تموز من عام 2004م ليعاود اللعب مع الفريق الأول مرّة أُخرى. كان ذلك في الجولة الآسيوية للفريق التي شملت كوريا الجنوبية، واليابان، والصين.

وكان نادي برشلونة قد شهد تغييرات كثيرة قبل ذلك بمدة وجيزة؛ إذ تمكَّن خوان لابورتا من الفوز في انتخابات رئاسة النادي التي جرت يوم الخامس عشر من شهر حزيران عام 2003م. وكان فرانك ريكارد قد وصل لتدريب الفريق الأول، تبعه تقديم أمل النادي الجديد؛ رونالدينيو، الذي رحَّب به نحو 30,000 مشجع في نو كامب.

بعد انتهاء موسم 2002م-2003م الكارثي (الخروج من ربع نهائي دوري الأبطال على يد يوفنتوس، وكذا كأس الملك على يد فريق نوفيلدا القادم من الدرجة الثانية، واحتلال المركز السادس في الدوري بفارق اثنتين وعشرين نقطة عن صاحب اللقب ريال مدريد، وإقالة مدرِّبَيْنِ هما لويس فان خال، ورادومير آنتك، ورئيسَيْنِ للنادي هما خوان غاسبارت، تبعه أنريك رينا مدة انتقالية إلى حين إجراء الانتخابات)؛ يأمل المساهمون في النادي أن تتحسن

الأمــور، وأن تُردَم الهوّة بينهم وبين غريمهم التقليــدي ريال مدريد؛ ما يتطلّب من النـادي تصويب أوضاعه، وجلب مَن بإمكانه المساعدة على ذلك.

لم يقتصر التغيير على الفريق الأول فحسب، بل تعدّاه ليشمل فرق الفئات العمريــة. وقد بــدأت بوادر هــذا التغيير بإقالــة مدير الكرة خواكيــم ريفه من منصبــه، وتعيين جوسيب كولومر خلفًا لــه، الذي قام- في أثناء ولايته- بتعيين الأرجنتينــي أنخــل غوييرمو أويوســ مدرِّبًا لفريــق الشبــاب (ب)، الذي يضمّ لاعبينَ من مواليد عام 1987م.

وكان أويوسـ لاعب الجناح قــد لعب لأندية كوردوبــا، وخمنازيا دل بلاتا، وبوكا جونيــورز، وتشاكاريتــا، وإيفرتون (في تشيلــي)، وديبورتيفو تاكيرا (في فنزويلا) وريال كاستيا (في إسبانيا). وحين التقى هذا اللاعب ميسي سرعان مــا انسجما مع بعضهما بعضًا، حيث أخذا يتحدثان عن كرة القدم، وعن شغف ليو بنادي نيولز بالطبع. لقد فهم كلّ منهما الآخر بسرعة.

يظهر الانطبــاع الأول للمدرِّب الجديــد على الأراضــي اليابانية في بداية شهر آب من عام 2003م، حيث يوشك فريق الشباب (ب) أن يشارك في بطولة تويوتا الدولية للشباب دون سنّ (17) عامًا. يقول أويوس: «طلبت إلى اللاعبينَ أداء بعض التمرينات الخفيفة لحظة وصولي؛ بغية تليين العضلات. لم تكن تلك تماريــن صعبة أو شاقّة. لم أكد أصدق عيني بعدها بخمس دقائق. لقد سبق أن أخبرونــي عنه بالطبع. لكنّني لم أدرك أنّ الأمــور بلغت ذلك الحدّ الكبير؛ فقد كان ليو شرسًا حقًّا».

ترسّخــت هذه الفكرة في أثنــاء المباراة التي خاضهــا الفريق أمام فريق نــادي فينورد في إقليم إيتشه؛ إذ مرّت ربع ساعــة على البداية والبارسا متأخر بهدف. ليو يطلب الكرة، يتجاوز أربعة مدافعين وحارس المرمى، ثمّ يضع الكرة

علـى طبق من ذهب لزميله سونغو ليسجّل هـذا الأخير هدفًا. لا يُصدِّق أويوس عينيه؛ فهو من ناحية مشدوه من روح التعاون التي يتحلّى بها الصبي، ونأيه عن الأنانيـة التـي كانت ديدن مَن هـم في سنّه (أو أكبر منه سنًّـا)؛ وهو من ناحية أُخرى مبهور من الأداء الفني المتميِّز الذي رآه.

اختير ليو أفضل لاعب في البطولة؛ وهو لقب سيحظى به مرّة أُخرى. ولكن، فـي بطولة جاوميه سيرا التذكارية لكرة القدم التي ستقام في مدينة سيتغيس، وبطولـة سلفادور ريفاس ميرو التذكارية الثالثـة التي ستقام في سان فايسينت دي مونتالـت، فضلًا عـن دورة الصداقة التي ستشهدها مدينـة سان جورجيو ديلا ريشينيفيلدا أواخر آب، وهي مدينة تابعة لمقاطعة بوردينوني الإيطالية.

تمكّن فريق الشباب (ب) من التغلُّب على فريق بارما، وفريق مدينة فريوللي - فياتشينـزا- جيوليـا المستضيـف، وكذا فريق هانـزا روستـوك، وإنتراخت فرانكفورت، وتريفيزو. وأخيرًا حقّق فوزًا باهرًا على فريق يوفنتوس في المباراة النهائية بنتيجة (0-4).

لقـد تمكّن الفريق مـن تسجيل (35) هدفًـا، إلّا أنّ ليو يشعـر بالذنب ولا يسامـح نفسه من جـرّاء إضاعته ركلة جزاء. ومع أنّ الهـدف الذي أحرزه من ركلة جزاء في المباراة النهائية خفَّف من عقدة الذنب التي اعترته، لكن الخطأ الذي ارتكبه ما زال يؤرِّقه.

يحاول أويوس تهدئته في البداية، بقوله: إنّ حارس المرمى سيخبر أولاده وأحفاده أنّه صَدّ ركلة جزاء سدَّدها أفضل لاعب كرة قدم في العالَم. بعد ذلك، أخضـع أويوس ليو لتدريـب يومي يتضمّن التركيز علـى تسديد ركلات الجزاء، موضِّحًـا أنّه (ليو) قد يُسدِّد خمسـ أو ست ركلات في أثناء الموسم، وقد تكون إحداهـا حاسمة؛ سـواء أكان ذلك في مباراة مصيريـة، أم دورة مهمة. كلمات

سيتذكّرها ليو لاحقًا عندما يشارك منتخب الأرجنتين فرحة الفوز ببطولة كأس العالم لفئة الشباب دون سنّ العشرين، بفضل ركلتي جزاء يسجّلهما في المباراة النهائية.

يُذكَر أنّ الشراكة الناجحة بين أويوس وميسي (تعرّضا خلالها إلى خسارة واحدة فقط كانت أمام ريال مدريد في دورة خوزيه لويس رويز كاسادو سان التذكارية) لم تدم طويلًا على الرغم من ذلك كلّه؛ إذ اقتصرت على مرحلة الإعداد فقط. فمسؤولو النادي لا يساورهم أدنى شكّ في أنّ مستوى أداء ليو يفوق مستوى أداء أقرانه في الدوري الذي ينشط فيه، فيقرّرون ترقيته وترشيحه للعب مع فريق الشباب (أ) بصحبة جيرارد بيكيه.

هناك يبدأ نجم هذا اللاعب الفريد بالصعود؛ ففي موسم واحد فقط، حظي ليو بفرصة الانتقال من فريق الشباب (ب) إلى فريق الشباب (أ)، ثمّ من فريق البارسا المصنَّف من فرق الدرجة الثالثة إلى نظيره في الدرجة الثانية. ولا ننسى اللحظات العابرة التي سطع فيها نجمه مع الفريق الأول، وعودته إلى فريق الشباب لمساعدة زملائه السابقين. وهذا وصف مفصَّل لأداء ميسي واللحظات التي سطع فيها نجمه في أثناء مشاركته كل فريق من الفرق الثلاثة:

فريق الشباب (أ): وصل ليو في ثالث أيام الدوري. مكث حتى عيد الميلاد، ولعب في هذه الأثناء - بضعة أسابيع- مع فريق البارسا في دوري الدرجة الثالثة، ثمّ عاد في نهاية شهر أيار؛ للمشاركة في كأس الملك. لقد شارك في (11) مباراة من مباريات البطولة، أحرز خلالها (18) هدفًا، كان أحدها هدفًا رائعًا بحقّ. سجّل ميسي الهدف في مرمى ريال بيتيس خلال المباراة النهائية لدورة نيرخا؛ إذ وجد نفسه في منتصف الملعب، ولاحظ أنّ حارس المرمى متقدِّم عن مرماه، فسدَّد بقوة، لتنطلق الكرة كالقذيفة متخذة شكل القوس، ثمّ تستقر في شباك المرمى، معلِنة إحراز هدف، وتحقيق انتصار.

فريـق البارسا المصنَّف ضمن فرق الدرجة الثالثة: يعاني الفريق أوضاعًا صعبـة مـع نهاية شهر تشرين الثانـي من عـام 2003م؛ إذ تمكَّن فقط من جمع (9) نقـاط مـن (14) مباراة. ثمّ تتغيَّـر الحال حين تصلـه التعزيزات الممثَّلة فـي ميسي وإلفي القادميْنِ من فريـق الشباب (أ). يخوض اللاعبان مباراتهما الأولى مع الفريق محقِّقين له النصر على فريق يوروبا في التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني. وقد أبلى كلاهما بلاءً حسنًا، لكنّ اللحظة الفضلى تأتي في الرابـع من شهر كانون الثاني عام 2004م، حيث يلعـب الفريق أمام فريق نادي غرامينيت في سانتا كولوما. البلوغرانا متأخرون بهدف (2–1).

وفـي الدقيقة السابعـة والثمانين، يحين الوقت ليسطـع نجم ليو. فيسجّل هدفيـن بلمح البصر؛ أحدهما بضربة رأسيـة، والآخر بقدمه اليسرى (إضافة إلـى هدف التعادل قبل ذلك)، ويؤمِّن البرغـوث النصر لفريقه. لقد تمكَّن من إحـراز خمسة أهداف فـي عشر مباريـات، وأسهم في إنقـاذ الفريق من شبح الهبـوط، ليرحـل بعدها عاقدًا العزم علـى رفع سقف طموحه ومـا يصبو إليه؛ فمستواه يؤهِّله للعب في دوري الدرجة الثانية أو الأولى، وهو واثق من قدرته على إيجاد موطئ قدم له في مثل هذا الدوري، مع أنّه لايزال في السادسة عشرة من العمر.

فريق البارسـا المصنَّف ضمن فرق الدرجة الثانية: خاض ميسي مع هذا الفريـق – على أرضـه – مباراته الأولى في السادس عشر مـن شهر آذار، التي جمعتـه بفريق ماتاريو. وقد اعترف المدرِّب بيـري غراتاكيوس بضرورة إعداد برنامج تدريب خاص بليو؛ لأنّه سيضطر إلى مواجهة لاعبينَ أكبر منه، وأطول، وأقـوى، وأكثـر خبـرة. وأعرب عن ذهولـه من قدرة ليـو الفائقة علـى التأقلم والتكيّـف بسرعة مـع الفريق الجديد، الذي يضمّ زمـلاء مختلفين، وتشكيلات متنوعة، ويقدِّم مع ذلك أداءً مذهلًا.

لعب ليو خمس مباريات، حقّق الفوز في أولها فقط. ومع ذلك، فقد علّق غراتاكيوس على ذلك بقوله: إنّه كان يتأقلم وحسب، واستطاع بعدها الكشف عن قدراته. وهذا ما حدث حقًّا؛ إذ اعتاد - بعدئذٍ- اللعب في دوري الدرجة الثانية، وكان الأفضل في المباراة التي خاضها فريقه أمام فريق جيرونا، وذلك يعيدنا إلى المربع الأول كما في لعبة السلّم والثعبان؛ فريق الشباب (ب). يقول مدرِّبه في فريق الشباب خوان كارلوس بيريث روخو: «لو كان ليو شخصًا آخر لشعر بالانزعاج، لكنّه لم يفعل. كان لا يتردَّد في تقديم المساعدة للفريق (ب) كلّما تطلّب الأمر ذلك».

يتكرر الأمر نفسه في المباريات الثلاث الأخيرة من دوري عام 2003م-2004م؛ إذ لا تزال ثلاثة فرق تتصارع على اللقب، هي: البارسا، وإسبانيول، وبريميا دي مار. تَحدَّد اللقاء المصيري الذي سيجمع فريقه بفريق البارسا في الخامس عشر من شهر نيسان. وفي حال تمكَّن الببغاوات (إسبانيول) من الفوز في هذه المباراة، فإنّهم سيصبحون قاب قوسين أو أدنى من اللقب.

وفي واقع الأمر، فإنّ فريق البارسا يمرّ بوقت عصيب لا يحتمل أيّ خطأ إن أراد الحفاظ على فرصه قائمة حتى النهاية. يتفوّق ليو على نفسه، فيقود البارسا للتقدّم (1-2). وحين يحاول الخصم العودة إلى المباراة، وتعديل النتيجة، يردّ ميسي بطريقته الخاصة؛ هدف ثالث ينهي الأمور.

يحتفل الفريق بإحراز اللقب بعدها بأسبوعين. وقد أسهمت الأهداف الستة والثلاثون التي سجّلها في مباريات رسمية، وما مجموعه خمسون هدفًا (أحرز أربعة عشر هدفًا منها في مباريات ودية)، في ذيوع صيته، فضلًا عن فوزه بعَقد احترافي جديد. لم تكن المفاوضات التي سبقت توقيع العَقد سهلة؛

نظرًا إلى الخلافات التي دارت رحاها بين مسؤولي النادي وخورخي ميسي الذي تولّـى الموضوع شخصيًّا. وفي نهاية المطاف، تمكَّـن الطرفان من التوصُّل إلى اتفـاق. وكان مسؤولو النادي على يقيـن أنّ ليو سيحظى بخيارات أُخرى إن قرَّر الرحيـل، خاصة بعد خسارتهم سيسك فابريغاسـ لصالح نادي آرسنال خلال الفوضـى التي أعقبت إقالة خـوان غاسبارت، وهم لا يريـدون أن يكرِّر التاريخ نفسه مرّة أُخرى.

الفصل الرابع عشر

إنتاج محلي

حوار مع كريستينا كوبيرو؛ الصحفية في صحيفة إل موندو ديبورتيفو (عالم الرياضة)

ماذا يمثّل ليو ميسي بالنسبة إلى البارسا؟

«إنّه يمثّل لبرشلونة – والعالَم أجمع– نهاية الانتظار للاعب يخلف مارادونا. لاعب يمكنه الانضمام إلى قاعة المشاهير التي تحتضن لاعبينَ عظماء، أمثال بيليه ومارادونا وكرويف».

هل يُعَدّ ميسي مثالًا على اللاعبينَ الذين يمثّلون قيم النادي ومبادئه؟

«بلا شكّ. أعتقد أنّ برشلونة أكثر من مجرّد نادٍ (شعار نادي برشلونة) بالنسبة إليه. انظر إلى طريقة تعاقدهم معه؛ إذ كان يعاني مشكلة في النمو، لكنّهم قدَّموا له دعمًا كبيرًا. إنّ نظرتهم إليه تتعدّى نطاق كرة القدم. هناك شيء آخر، فلطالما فضّل برشلونة اللاعبينَ الموهوبينَ أصحاب المهارة، وكان ميسي منهم حقًّا. أضف إلى ذلك أنّه تدرَّج في التنقُّل واللعب – بين ظهرانينا– مع مختلف الفئات العمرية لفريق النادي. إنّه واحد منا؛ إنتاج محلي. لقد ترعرع على ثقافة البلاوغرانا. يقدِّر السكان في برشلونة ذلك الأمر. ولا ننسى أنّ من

العادات المتبعة هنا، الحرص على مشاهدة مباريات فريق النادي على اختلاف فئاته العمرية. لذا، فكثير من الناس يعرفون ليو مُذْ كان يلعب مع الفرق الشابة الفتيّة، ويدركون حجم الجهد الذي ينبغي أن يبذله اللاعب لبلوغ الفريق الأول. ذلك سبب يزيد من محبّة ليو في قلوب جماهير النادي».

متى قابلْتِ ميسي أول مرّة؟

«أعرفه مُذْ كان في سنّ السادسة عشرة. لقد تابعت حياته المهنية بأكملها؛ سواء مع فريق البارسا أو المنتخب الأرجنتيني.

فما زلت أتذكّر أول مرّة أجريت فيها حوارًا معه... كان فتى خجولًا، وقد فوجئت حين قال لي: إنّه لا يحبّ مشاهدة كرة القدم، بل ممارستها. ثمّ أَسَرَّ لي بحادثة أُخرى عندما كان في المجر؛ إذ بكى طوال الليل بعدما تعرّض للطرد في أول ظهور له مع الألبيسيليستي (لقب المنتخب الأرجنتيني الأول)».

كيف تغيَّرت حاله على مدى السنوات القليلة الماضية؟

«فيما يخصّ كرة القدم، أعتقد أنّه وصل درجة يستحقها، خاصة بعد هدفيه في مرمى فريقي خيتافي وإسبانيول. لقد تخلّص من عباءة مارادونا، وأصبحت له شخصيته الخاصة بليو ميسي. وسنحت له كثير من الفرص لإظهار جميع المهارات التي يمتلكها، والتي استمدّها من مارادونا بعد مشاهدته آلاف المرّات. لقد أظهر حقًّا أنّه ماهر فيما يفعل، وهذا يكفي. أمّا الآن فيمكنه العمل على تطوير شخصيته وصقلها؛ إذ لم يعد ذلك الصبي الذي يبكي عندما يحزن، أو يضرب الأرض بقدميه (علامة على عدم الرضا)، كما فعل مرّة بعد نهائي دور الأبطال في باريس عندما رفض أخذ ميدالية. لقد أصبح ناضجًا الآن؛ ففي حال اعترته حالة من الغضب، فإنّه يُعبِّر عن ذلك بالكلام، والبوح عن مكنونات نفسه، مثلما فعل عندما أهدى أهدافه إلى رونالدينو. وأصبح وضعه الاجتماعي

أفضـل حالًا من قبل. أعتقد أنّه يـدرِك الآن كُنْهَ ما يمثِّلـه، والأجواء الحماسية التـي يخلّفها وجوده، وقد ظهر ذلك جليًّا بعـد بطولة كوبا أمريكا الماضية التي أقيمـت في فنزويلا، حين كانـت المدرّجات بأكملها تصدح باسمـه. أعتقد أنّ الأمـر كان صادمًـا بالنسبة إليـه، وأنّه لن يعتاد عليه بسهولـة. لكنّ الجميل في هذا الأمـر أنّ الشهرة لم تغيِّره؛ فهو يتصرف على سجيّته كما كان في السابق، على الرغم من غياب الخصوصية. وأذكر في هذا المقام حادثة تعرّض لها قبل أشهر عدّة، حين ما كان في روزاريو يقود سيارته، ثمّ استوقفه طفل عند إحدى الإشـارات الضوئيـة، طالبًا منه صورة له. وقد يُخيَّل إلينـا أنّ ليو سيُنزِل زجاج السيارة، ثمّ يسمح للطفل بالتقاط صورة له بوساطة هاتفه. ولكن الأمور لم تجرِ على هذا النحو؛ إذ أوقف ليو سيارته، ثمّ نزل منها لالتقاط صورة له مع الفتى».

كيف تغيّر سلوكه في غرفة تبديل الملابس؟

«إنّـه ليس قائد الفريق، لكنّه كان القائد في كـرة القدم، ولا أحد يعارض ذلـك. يعرف زملاؤه في الفريق جيدًا ما قد يصـدر عنه من أفعال أو سلوكات، والكلّ يعرف المكانة الكبيرة التي يحظى بها».

أصبـح خـوان لابورتا ذات يـوم رئيسًا للنـادي، وكان يُشار إلـى رونالدينو حينها بأيقونة النادي، وهو وصفٌ ينطبق على ميسي الآن، فما الفرق بينهما؟

«لقـد كان رونالدينـو فنّانًا وصاحب خدعة بالكرة. أمّـا ليو فإنّه يمثِّل روح اللعبة؛ أي السرعة والمهارة».

الفصل الخامس عشر

شريط فيديو لصبي

التاسع والعشرون من حزيران عام ٢٠٠٤م

يروي هوغو توكاللي القصة الآتية: «أحضروا لي شريط فيديو لصبي يلعب لنـادي برشلونة. أعجبت كثيـرًا بقدراته، لكن ما أخشاه دائمًا أن يكون الشريط مرسـلًا مـن وكيل لأحـد اللاعبين. يضـاف إلى ذلـك أنّ الصبـي كان صغيرًا جـدًّا... لـذا، قلت لنفسي: لا، سأنتظـر بعض الوقت. أذهب إلـى فنلندا برفقة منتخـب للشباب دون سنّ (17). وبعد عودتي، أتعرَّف المزيد عن هذا اللاعب. أخبرني الجميع أمورًا رائعة عنه.

بعـد حين، ذهبـت لمقابلـة غروندونا (خوليـو غروندونا؛ رئيـس الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم)، واغتنمت الفرصة لرؤية الصبي في مباراتين وديتين لعب فيهما ضد منتخبي كلّ من الباراغواي والأوروغواي».

كان ذلـك الصبـي هو ليو ميسـي؛ لاعب غير معروف علـى الطرف الآخر مـن المحيط الأطلسي. أُرسِل الشريط المشهور إلى توكاللي (الذي كان مسؤولًا حينهـا عن شؤون الشباب في الاتحـاد الأرجنتيني) عن طريق كلاوديو فيفاس؛ مساعـد مارسيلو بييلسا (الملقب بالمجنون)، الذي كان حينها مدرِّبًا للمنتخب الأرجنتيني الأول، ويدرِّب الآن فريق نادي أتليتيكو بلباو الإسباني.

أصــاب فيفاس؛ اللاعب والمدرِّب السابق في نــادي نيولز، الفضول حيال ابــن مدينته، المجذوم السابق مثله تمامًا، الذي كان قد قابله مرارًا في مدرسة مالفينـاسـ لكـرة القدم، والـذي يحقِّق الآن نجاحـات باهرة فـي أوروبا. وصل الفضول لديه حدًّا جعله يقرِّر إرسال شريط فيديو يبرِز إبداعات ابن بلده، حتى يبتّ المدرِّبون في الأمر.

ينجــح الأمر، ويتقرَّر لاحقًــا تنظيم المباراتين الوديتيــن المقترحتين كي يــروه على أرض الواقــع. أرسِل الطلــب الأول إلى نادي برشلونة فــي شهر أيار، الــذي أخطأ القائمون عليــه في تهجئة اسم هذا اللاعــب؛ إذ طلبوا إلى النادي الاستغناء عن ليونيل ميكّي بعض الوقت، حتى يتسنّى له القدوم إلى الأرجنتين. رُفِض الطلب بأسلوب مهذَّب؛ فليو لايزال لديه التزامات في بطولة كأس الملك. يبــدو أنّ نهاية حزيران موعد مناسب أكثــر. لا يطيق الاتحاد الأرجنتيني صبرًا لرؤيــة هذا اللاعــب؛ فليو يعيش فــي إسبانيا منذ ثلاثة أعــوام، ويلعب مع فرق الشباب في البارسا، وهناك احتمــال أن يفقدوه (الاتحاد الأرجنتيني) لصالح الغضــب الأحمــر (لقب المنتخــب الإسباني). ذلــك احتمــال وارد، خاصة إذا عرفنــا أنّ مــدرِّب المنتخب الإسبانــي دون سنّ (16) عامًــا؛ جينيس مينيديز، كان قــد عرضــ على ليو اللعب لصالح إسبانيا حيــن قابله قبلها بعام في مدينة الباسيتــي خلال كأس إسبانيا. كان جواب ليو حينهــا: «لا، شكرًا»؛ إذ يشعر ليو أنّــه أرجنتيني حتى النخاع، مع أنّه يعيش في شبه الجزيرة الأيبيرية. ولكن، مَن يدري؟ فقد يغيِّر الفتى رأيه بعد شيء من الإلحاح. وعلى أيّ حال، فمن الأفضل قطع الطريق على الاتحاد الإسباني لكرة القدم.

يتذكّــر توكاللي ذلك الأمر قائــلًا: «لقد وصل يوم الإثنين للتدرُّب مع فريق الشبــاب دون ســنّ (20) عامًا. كان فتى خجولًا جــدًّا، لم يكن يعرف أحدًا، ولم

يكن أحد يعرفه». كان زملاؤه في الفريق أمثال بابلو زاباليتا، وأوسكار أوستاري، وإيزيكويل غاراي، على عكسه، معروفينَ في البطولات المحلية.

اتخذ ليو ركنًا في غرفة الملابس التابعة لملعب نادي أرجنتينو جونيورز، ولم يَنْبِس ببنت شفة. ثمّ انقلب حاله عندما حان الوقت للتدرُّب واللعب؛ فلم يغدُ خجولًا كما ظهر بادئ الأمر. ومع أنّ المدرِّب أُعجِب به وبقدراته وسرعته، لكنه لم يُعبِّر عن ذلك على أرض الواقع.

موعد المباراة المقرَّر الذي سيواجه فيها منتخب الباراغواي، هو التاسع والعشرون من شهر حزيران. لم يكن ليو ضمن تشكيلة الفريق الأساسية، ربّما بسبب عمره، أو احترامًا من المدرِّب للاعبينَ الذين يكبرونه سنًّا، أو تجنّبًا لأيّ ضغوط قد يتعرّض لها. يقترب منه توكاللي في الشوط الثاني؛ في الدقيقة الخمسين تحديدًا، والنتيجة تشير إلى تقدُّم منتخب الأرجنتين (0-3).

يضع توكاللي يده على كتف اللاعب الشاب، قائلًا: «اذهب مع الممرِّن المتوجِّه إلى الملعب». يفاجأ البرغوث بذلك ويتحمّس، ثمّ ينطلق نحو الملعب، مرتديًا قميصه الملوَّن بالأزرق السماوي والأبيض أول مرّة. وقد نجح ليو في إظهار قدراته منذ البداية؛ بالتلاعب بالخصم، وتسجيل هدف.

يقول توكاللي: «يمكنك ملاحظة الأمر في طريقة لعبه؛ فإذا كان جيدًا في التدريبات وحسب، فإنّه يصبح شيئًا مختلفًا في أثناء المباريات». تنتهي المباراة الودية بنتيجة (0-8)، بعد أن ترك ليو انطباعًا رائعًا لدى مدرِّبيه، لدرجة أنّ توكاللي تلقّى في تلك الليلة مكالمة من صديقه وسلفه في تدريب منتخب الشباب خوزيه بكرمان.

«سألني: أين عثرت على هذا الصبي؟ فقد كان ليو فتى رائعًا بنظره. ثمّ أضاف قائلًا: ستشركه ضمن تشكيلة الفريق الأساسية أمام منتخب الأوروغواي،

أليس كذلك؟ لكنّي لم أفعل؛ إذ لم يكن ضمن التشكيلة الأساسية في مباراتنا أمام منتخب الأوروغواي التي أُقيمت في مدينة كولونيا. لكنّه فاجأ الجميع مرّة أُخرى عندما نزل إلى أرض الملعب. في اليوم اللاحق الذي يصادف الرابع من تموز، كتبت مجلة أوليه الرياضية الصادرة في بوينوس آيرس ما نصّه: «ميسي، ذلك الشاب الرائع. أحرز هدفين، وأسهم في أربعة أهداف أُخرى، وكان أبرز اللاعبينَ المتألّقينَ في أثناء مسيرة النصر الذي حقّقناه على منتخب الأوروغواي بنتيجة (1-4)».

حقّقت تجربة ليو الثنائية نجاحًا باهرًا. فقد نال إعجاب الجميع. والآن، لا يراود توكاللي أيّ شكّ حيال ضمّه إلى الفريق المشارِك في تصفيات كأس العالَم للشباب دون سنّ العشرين عن قارة أمريكا الجنوبية، المزمَع إقامتها في شهر كانون الثاني القادم.

لنسرد بعض الحقائق والمعلومات الثانوية المتعلّقة بهذا الجانب: «كان ليو هو اللاعب الوحيد الذي يلعب خارج الأرجنتين، إذا استثنينا ماورو أندرياس زانوتي الذي يلعب لنادي تيرانا في إيطاليا. وإنّه الأصغر سنًّا؛ إذ كان في السابعة عشرة في الوقت الذي تراوحت فيه أعمار زملائه من (20-18)، فضلًا عن امتلاكهم الخبرة في مختلف مراحل البطولات في الأرجنتين.

في هذه الأثناء، تقرَّر إقامة تصفيات دول أمريكا الجنوبية بكولومبيا، في ثلاث من مدنها، هي: أرمينيان، ومانيزاليس، وبيريرا، الواقعة على طول الجهة الوسطى الجنوبية من جبال الأنديز، فيما يُسمّى «منطقة زراعة القهوة»، بعيدًا عن العاصمة بوغوتا.

تمتاز هذه المدن الثلاثة بارتفاعها الكبير عن سطح البحر – بدءًا بـِ (1650) مترًا في أرمينيان، وانتهاءً بـِ (2500) متر في مانيز اليس – وهو أمر يجد فيه الأرجنتينيون - تحديدًا - صعوبة في التكيُّف معه.

كان أول ظهور لميسي في المباراة التي خاضها فريقه أمام منتخب فنزويلا، التي أُقيمت في الثاني عشر من شهر كانون الثاني عام 2005م، في ملعب سنتانيريو دي أرمينيا.

ليو، كما جرت العادة، لم يكن اسمه مدرَجًا في التشكيلة الأساسية، لكنّه كان ضمن القائمة، ويجلس على مقاعد البدلاء. وفي الدقيقة الستين يحل مكان إيزيكويل لافيتزي، لاعب الوسط المتقدّم في نادي نابولي (انتقل إلى باريس سان جيرمان) المشهور بكثرة الوشم على جسمه. كان منتخب الأرجنتين متقدّمًا بهدف، ثمّ أصبحت النتيجة (2-0) بفضل ميسي الذي أحرز هدفًا بعد دخوله بثماني دقائق فقط. انتهت المباراة بفوز صريح للأرجنتين (3-0)، وإسهام لافت من ميسي. وقد تكرّر الأمر نفسه على ملعب بالوغراندي في مانيز اليس. ولكن، أمام منتخب بوليفيا هذه المرّة.

أدخل المدرِّب اللاعبَ الذي يحمل الرقم (18) مكان بارينتوس في بداية الشوط الثاني من المباراة؛ بغية تدعيم الجانب الهجومي. وما حدث بعدها كتبته صحيفة إيبوكا الأرجنتينية: «وبعدها بخمس دقائق، أظهر ميسي للجميع أنّه لاعب من الطراز الأول. فقد تناول الكرة في منتصف الملعب، وتجاوز الجميع ليضعها في الشبكة. لقد كان هدفًا رائعًا، لا بُدّ أن ينافِس على لقب أجمل هدف في تصفيات أمريكا الجنوبية المؤهّلة لكأس العالَم للشباب دون سنّ العشرين. وأضاف هدفًا ثالثًا في الدقيقة السابعة والخمسين لتصبح النتيجة (3-0)».

بعد هـذه المباراة بيومين، سيواجه الفريق منتخـب البيرو، حيث يشارك ميسـي في التشكيلـة الأساسية للمـرّة الأولـى. سيلعب ميسي ضمـن التشكيلة الأساسيـة في ثـلاث مباريات فقط. أمّا فـي بقية المباريـات، فإنّه سيلعب في الشـوط الثانـي. لماذا؟ يقـول توكاللي معلّـلاً ذلك: «كان هذا قـراري. لم يكن الفتـى قد انسجم بعـدُ مع المجموعة بصـورة كاملة، فقد تعـوَّد اللعب مع فرق الشبـاب في البارسا، ولم يكن بعدُ قد وصل درجـة التألق التي يفرضها أسلوب اللعـب في أمريـكا الجنوبية... كان التنافس بين الفـرق على أشدّه، وكان لاعبو هذه الفرق من مواليد عام 1985م، الذين يفوقونه سنًّا؛ إذ تشكّل السنتان فارقًا كبيـرًا، وتأثيرًا فاعلًا في الأداء والنتيجة. لذا، قرَّرت الزجّ به في هذا التوقيت؛ لكيلا أرهقه، أو ألقي بكثير من المسؤولية على كاهله».

آتـى هذا الخيار أُكله في المباراة الأخيرة التي خاضها الفريق مع منتخب البرازيل بمانيزاليس فـي السادس من شهر شباط. فقد حلّ ميسي مكان نيري كاردوزو في الدقيقة الخامسة والستين. وقبل انتهاء المباراة بعشر دقائق، تلقّى ميسـي تمريرة من بارينتوس استغلها أحسن استغلال، حيث وضع الكرة بمهارة فائقة في مرمى الخصم، مانحًا فريقه انتصارًا مشرِّفًا (2-1)، وكان ذلك أول هدف له في شباك الغريم الأزلي للأرجنتينيين.

تأهّلـت الأرجنتيـن لكأس العالَـم للشباب دون سنّ العشريـن في هولندا، بعـد احتلالها المركز الثالث في التصفيـات، خلف كلّ من كولومبيا والبرازيل. وقـد سجّل ميسـي خمسة أهداف احتل بهـا المركز الثاني في صـدارة هدّافي التصفيات بعد الكولومبي هوغو روداليغا الذي أحرز أحد عشر هدفًا.

يبلغ روداليغا التاسعة عشرة من العمر؛ وهو لاعب لا يقدِّم التنازلات؛ سواء علـى أرض الملعب، أو عند استفزاز الخصوم، حيث يعلِن دائمًا: «أنا أفضل من

ميسـي مـن دون شكّ، لكنّ الفرق الكبير بيننا هو أنّـه يلعب لنادي برشلونة، في حين ألعب أنا لنادي كوينديو».

يعلِّـق ليو على ذلك بتواضع قائلًا: «ليس لديّ ما أقوله، فأنا ألعب من أجل الفريـق». لكنّ الفيفا أنصفته، واختارته ضمـن أفضل أحد عشر لاعبًا في قارة أمريكا الجنوبية، وهذا إنجاز مقنع حتى الآن.

يعتـرف توكاللي بذلك قائلًا: «لقد أحببتـه، وأحببت قدرته على مضاعفة سرعتـه إلى حدّ كبير بعد انطلاقه بوقت قصيـر، فضلًا عن طريقته في تجاوز المنافسيـنَ، وقدرتـه على التحـرّك بسرعة كبيـرة دون فقدان الكـرة، وكأنّها ملتصقـة بقدمه. لقد استطـاع القيام بذلك كلّه على الرغم من جسمه النحيل، وتمكّن من تسجيـل كثير من الأهداف، ناهيك عن امتلاكه قدمًا يسرى جبّارة، جعلت من تسديداته قذائف صاروخية قوية جدًّا».

ومع ذلك، كانت مباراة الفريق أمام البرازيل هي الأخيرة لتوكاللي بوصفه مدرِّبًـا للمنتخب دون سنّ العشرين؛ فبكرمان يريده الآن مساعدًا له في تدريب المنتخـب الأرجنتيني الأول، الـذي يستعد للمشاركة في بطولة كأس العالَم عام 2006م المزمَع إقامتها في ألمانيا.

يستلم فرانشيسكو فيرارو الملقَّب ببانشو مسؤولية تدريب منتخب الشباب دون سنّ العشرين الذي سيلعب في هولندا في شهر حزيران. أدخل بانشو بعض التغييرات على الفريق في الأشهر الأربعة التي سبقت الانتقال إلى أوروبا؛ فجلب أغويرو؛ مهاجم مانشستر سيتي الذائع الصيت آنذاك (كان يلعب حينها لنادي إندبندينتي الأرجنتيني)، وغاغو (كان يلعب وقتئذٍ لبوكا جونيورز، ثمّ لعب لريال مدريد ولروما الإيطالي، ثمّ أُعير لفالنسيا الإسباني)، واستبعد كلًّا من بوزيللي وزانوتي. كما تعيَّن عليه جلب بديل لخوزيه سوزا؛ لاعِب إستوديانتس دي لا بلاتا

في اللحظة الأخيرة، بعدما كُسِرت يده اليسرى. وفي نهاية المطاف، تعيَّن عليه تغيير كثير من اللاعبينَ، تمامًا كما فعل سلفه من قبل، بسبب اضطرار كثير من اللاعبينَ إلى مشاركة أنديتهم اللعب في الأرجنتين.

أصبـح ميسي لاعبًـا أساسيًّا في فريق نـادي برشلونة، الـذي فاز ببطولة الـدوري، وأصبحت أنظـار الكثيرين تتطلّع إليه، آملـةً أن يصل إلى قمّة عطائه فـي هولندا. وكانت مسألـة النظر إلى منتخـب الأرجنتين بوصفـه أحد الفرق المرشَّحـة للظفر باللقب أمـرًا مؤكَّدًا. وهو حتمًا سيحـاول إضافة لقب خامس في تلك البطولة إلى سجلّ المنتخب الحافل بالبطولات؛ الذي فاز بثلاثة ألقاب من أصل أربعة بقيادة بكرمان (في قطر عام 1995م، وفي ماليزيا عام 1997م، وفـي الأرجنتين عام 2001م)، ولا ننسى بطولة عام 1979م في اليابان التي كان بطلها دييغو مارادونا.

جـاء يوم السبـت الحادي عشر مـن شهر حزيران؛ موعد مبـاراة الفريق مـع منتخب الولايات المتحدة على ملعب نادي تفنتـي بمدينة أنشخيدة. وكانت المفاجـأة؛ فميسـي لا يلعـب ضمن تشكيلة الفريـق الأساسية! إنّـه على مقاعد البدلاء، فخسرت الأرجنتين المباراة بنتيجة (0-1).

وعلى الرغم من تعثُّر الأرجنتين في بداية المشوار، إلّا أنّ ليو يحاول طمأنة الجميع بقوله: «ذهني صافٍ، وأعتقد أنّني جاهز للعب (90) دقيقة. ولكن، عليَّ احتـرام قرارات المدرِّب. سيتمكّـن الفريق من الدخول في أجواء البطولة؛ لأنّه يضمّ لاعبينَ جيدينَ. لدينا كلّ ما يلزم للتأهُّل».

يبدو أنّ ليو كان حاضر الذهن، وفي أوج تركيزه، وقد أثبت ذلك في مباراة الفريـق التي خاضها أمام منتخـب مصر، في الرابع عشر مـن شهر حزيران؛ إذ شـارك فيها بوصفه أحد لاعبـي التشكيلة الأساسية للفريق هذه المرّة. وبعد

تسجيله الهـدف الأول، وإضعافـه دفاعات المنتخب المصـري، أفسح المجال أمـام زاباليتا لتأكيد الانتصار. أمّا مباراة الفريق الثالثة التي جمعته بالمنتخب الألماني فكانت معقَّدة بعض الشيء؛ إذ إنّها تُحدِّد المتأهِّل للدور ثمن النهائي. تقدّمـت ألمانيا على الأرجنتين بنقطة، وكان التعادل يكفيها للتأهُّل. لكنّ ميسي كان مُصِـرًّا على ترك بصماته في هذه المباراة؛ فقد استلم الكرة من منتصف الملعب، وأخذ يراوغ المدافعينَ، ويُمرِّر الكرة بإتقان، ونجح أوبرمان في التمويه؛ بتـرك الكـرة تصل إلى نيـري كاردوزو الذي سجّل، وأهـدى فريقه هدف الفوز بنتيجـة (0-1). كانـت الطريق إلى المبـاراة النهائية حُبلـى بالعقبات؛ بدايةً، يتعيَّن على الفريق مواجهة منتخب كولومبيا، الفائز بتصفيات أمريكا الجنوبية. ثـمّ هناك معاناة ميسي من غياب اللاعبيـنَ الذين بمقدورهم التمرير له. ومع ذلـك، فقد تمكَّن من تحقيـق التعادل في الدقيقة السابعـة والخمسين، بعد أن كان «زارعـو القهوة» قد تقدّموا بالنتيجة. وقـد استطاع الفريق استعادة عافيته مـع دخول كلّ من: غاغـو، وبابلو فيتي، وإميليانو أريمنتيروسـ. ثمّ تمكَّن خوليو باروسـو من تجنيـب الفريق لعب شوطين إضافييـن بتسجيله هدفًا في الدقيقة الثالثة والتسعين.

والآن، تنتظرهـم إسبانيا في ربع النهائي. وقد كُتِب كثير عن هذه المباراة الحاسمـة التي كانت أنظار الجميع ترقبها بحماس شديد؛ فالإسبان هم أبطال أوروبـا، وكانوا قد وصلـوا إلى نهائي بطولة كأس العالَم لمـا دون سنّ العشرين قبلاً، لكنّهم خسروا أمام البرازيل.

وبالحديـث عن المواجهـات الثنائية، فهنـاك ترقّب كبيـر للصدام الذي سيضـع ميسـي وفابريغاس في المقدّمـة وجهًا لوجه؛ إنّهما شابـان في الثامنة عشـرة مـن العمـر (صادف اليـوم الذي سبـق المبـاراة عيد ميـلاد ميسي)، صديقان في برشلونة، ومنافسان على أرض الملعب.

يقـول الفتـى المعجزة كما تسميـه جماهير نـادي آرسنـال: «لقد شعرت بوجود رابط خفي يربطني بميسي منذ اليوم الأول الذي قابلته فيه بالأكاديمية. أمضيـت معه ثلاث سنـوات رائعة في تسجيل الأهداف، وإمـرار الكرة بطريقة واحـد- اثنين (أي، خـذ وهات). لقد أمضيت أوقاتًا مثيـرة بصحبته، كان من الرائع اللعب إلى جانبه».

يردّ ميسي: «سيسك صديقي المقرَّب، فقد تقابلنا في فريق بارسا للشباب. إنّـه لاعـب متكامل، ومثيـر للإعجاب، ويمتلك كثيـرًا من المهـارات الهجومية والدفاعيـة». ويؤكّد ميسي أنّه وفريقه يكنّون الاحتـرام للفريق الإسباني بقيادة سيسك ويورنتي.

كانت المباراة متكافئة؛ إذ تشير النتيجة إلى التعادل (1-1)، إلى أن تأتي الدقيقـة السبعون. حينهـا يسرح الفريـق الإسباني، ويسرِّع ليـو اللعب؛ فيقدِّم تمريـرة علـى طبق مـن ذهب لغوستافـو أوبرمـان، ويسجّل هـذا الأخير هدف التقـدُّم، وبعدهـا بدقيقتيـن، يرفع الكرة من فـوق المدافعيـن، ويسجّل هدفًا، لتنتهي المباراة بفوز منتخب الأرجنتين (3-1).

يعلّق مـدرِّب المنتخب الإسباني إينياكي سينز علـى الخسارة قائلًا: «لقد استحـق المنتخـب الأرجنتيني الفوز، لقـد لعب أفراده أفضل منّـا». ثمّ أضاف قائـلًا عن ميسـي: «إنّه لاعـب موهوب، ويتخذ قـرارات صائبة. إنّـه ينظر إلى حارس المرمى، ويعرف جيدًا ما يجب القيام به».

تجـري فـي مباريـات نصـف النهائـي مواجـه كلاسيكيـة بيـن منتخبي الأرجنتيـن والبرازيـل. فـاز كلّ مـن المنتخبين باللقـب أربع مـرّات من قبل، وتحضـر الآن ذكريـات المواجهات السابقة بينهما، كما فـي قطر عام 1995م، حين فـازت الأرجنتين باللقب بهدفي ليوناردو بياجينـي وفرانشيسكو غوريرو.

يرتـدي لاعبو المنتخب الأرجنتيني شارات سوداء على الذراع؛ حدادًا على وفاة إميليانـو مولينا، حارس مرمى نادي إندبنديتي والمنتخب الأرجنتيني دون سنّ السابعة عشرة، بعد تعرّضه لحادث سير وبقائه مدّة أسبوعين في غيبوبة.

مرّت ثمانـي دقائق على بداية المبـاراة، ثمّ يتقـدّم المنتخب الأرجنتيني بفضـل تسديدة قوية من ميسي أصابت بطـن العارضة، ودخلت المرمى، حيث لم تُجْدِ محاولات حارس المرمى ولا قفزته الرائعة شيئًا.

يعدِّل ريناتو النتيجة في الشوط الثاني. ولكن، في الدقيقة الأخيرة، يتجاوز ميســي خصومه للمرّة الألف، وترتدّ الكرة من أحد مدافعي البرازيل، فيستلمها زاباليتا مسجّلًا هدفًا. تأهّلـت الأرجنتين للمباراة النهائية التي ستقام الساعة الثامنـة مسـاء في اليـوم الثاني مـن شهر تموز علـى ملعب غالغنـوارد بمدينة أوتريخـت. نيجيريـا هـي الطرف الثاني فـي النهائي، حيث تمكنـت من تجاوز منتخـب المغرب في نصف النهائي. وقبـل المباراة بيوم، أهدت قناة تلفزيونية هولندية جائـزة القبقاب الذهبي إلى ميسي بوصفـه أفضل لاعب في البطولة. وفـي ذلك يقول: «أنا سعيـد جدًا، وشاكر لكم على الجائـزة. إنّني في الحقيقة متفاجـئ كثيرًا مـن كلّ شيء حدث لي هنا». وتستمر المفاجـأة في النهائي؛ إذ يسيطـر ميســي على الكرة في الدقيقة (38) عند الحافـة اليسرى من الملعب، ويبـدأ مراوغة علـى طول (45) ياردة، ثـمّ يدخل منطقة الجـزاء. يدرك ديلي أديلي أنّه عاجز عن أخذ الكرة من ليو، فيقوم بعرقلته، وحينئذٍ، لا يتردّد الحكم النرويجي تيري هوغ بالإعلان عن ركلة جزاء.

ينفِّـذ ليو ركلة الجـزاء بسلاسة ومهارة من دون تـردّد، وبقدمه اليسرى، علـى يمين حارس المرمى فانزيكين الذي يرتمـي على الجهة اليسرى، لتصبح النتيجـة (0–1). وفي الدقيقة (52) يعدِّل اللاعب النيجيري تشينيدو أوغبوكي

النتيجة. ثمّ يتعرّض أغويرو للعرقلة من منداي جيمس أمام المرمى في الدقيقة (73). فيتقدّم ليو لتسديد ركلة الجزاء الثانية، ويضعها على يسار المرمى بدقة، محرِزًا هدفًا آخر. تنتهي المباراة بنتيجة (1-2)، وتفوز الأرجنتين ببطولة كأس العالَم الخامسة لفئة الشباب دون سنّ العشرين. كان ليو ميسي حقًّا هو نجم البطولة.

تكتب صحيفة كلارين في اليوم المقبل: «ماذا يسعنا القول عنه؟ تختزل الصور التي التُقِطت عقب مباراة أمس الأمر برمّته؛ إنّه يحمل بيديه كأس أفضل لاعب، وكأس الهدّاف، وحول عنقه ميدالية ذهبية، وعلى كتفيه العلم المُوشّى باللونيْنِ: الأبيض، والأزرق الفاتح».

الفصل السادس عشر

كرة القدم لعبته من دون منازع

حوار مع فرانشيسكو فيرارو «بانشو»

تـرى فيه عبقرية المـدرِّب، وتسمع صوتـه اللطيف، وهو يُعـرَف في عالَم كـرة القدم باسـم بانشو، وله في هذا العالَم مسيرة وبـاع طويل يُحسَد عليهما؛ فقـد أمضى حياته الكروية متنقّلًا ما بين المنتخبات الوطنية للشباب، والأندية فـي أمريـكا الجنوبية وأوروبا على حدّ سـواء. لكنّ بعضًا مـن أفضل الذكريات التـي تحفل بها ذاكرته، تتأتّـى من الأيام التي عاشها في شهر حزيران من عام 2005م، حين قاد المنتخب الأرجنتيني للشباب دون سنّ العشرين للقب الخامس في البطولة.

«صحيح. أنا فخـور بذلك الانتصار؛ سواء أكان ذلك بصورة شخصية، أم بوصفـي جزءًا مـن الفريق. أنا فخور بمـا أنجزه الفتية، وباللاعبيـنَ من أمثال ميسي وأغويرو وغاغو، الذين صنعوا لأنفسهم مكانة وشهرة على مستوى العالَم».

هل تذكر أول مرّة رأيت فيها ميسي؟

«نعم، كان ذلك خلال تصفيات أمريكا الجنوبية في شهر كانون الثاني من عام 2005م. لقد كنت محظوظًا لقضائي أربعين يومًا مع الفريق. كان خوزيه بكرمان قد

طلب إليَّ تدريب فريق الشباب دون سنّ العشرين، وأراد منّي هوغو (مدرِّب الفريق توكاللي) أن أكون هناك إلى جانبه في كولومبيا لمتابعة سير الأمور».

كيف كان انطباعك الأول عنه؟

«إنّـه فتى لطيف مهذّب خجول، كان أصغـر أفراد الفريق سنًّا، وحين قَدِمَ مـن أوروبـا لم يستطع التكيُّف تمامًا مع المجموعة، ولـم يكن لديه طاقة وقدرة (جسديـة) للعـب مباراة كاملـة. لذا، بعد مناقشـة الأمر مع هوغـو، كنّا دائمًا نشركه في الشوط الثاني، حيث يمكنه صنع الفارق».

لـم تشركـه أيضًا فـي المبـاراة الأولـى بهولندا أمـام منتخـب الولايات المتحدة....

«لقـد كان يعانـي إصابةً خفيفـة. لذا، أبقيتـه على مقاعد البـدلاء، لكنّه لعـب ضمن التشكيلـة الأساسية – من دون منـازع– منذ المبـاراة الثانية أمام منتخب مصر. فقد تطوّر أداؤه (بدنيًّا، ونفسيًّا) بصورة ملحوظة بعد عودته من برشلونـة. وكان قد لعب للمرّة الأولى مـع الفريق الأول هناك، وقد بدا أكثر قوّة وقدرة على خوض المباريات الفاصلة. لعب في خط الوسط، ولكن ليس كصانع ألعاب؛ فخطورته تكمن في أثناء وجوده بمنتصف ملعب الخصم، وقد تظهر في أيِّ لحظة. لقد صنع حضوره في الفريق فرقًا كبيرًا».

وكيف كان تعامله مع بقية أفراد الفريق؟

«لقد كان سعيدًا، ويصبح أكثر سعادة عندما يدخل الملعب، ويستحوذ على الكـرة. كان يشـارك أغويرو الغرفـة نفسها، ولم يتسبَّب فـي إزعاجه قطّ. على العكس تمامًا؛ فقـد لاحظ الجميع أنّهما كانا سعيدَيْنِ ومتوافقَيْنِ. كانا يراعيان زملاءهما والقائمينَ على الفريق، ويحترمان الجميع. لقد زيَّنا الفريق بالرزانة،

ولـم يحاولا لفت الانتبـاه؛ إذ كانا متواضعيْنِ جدًّا. وفي واقـع الأمر، فقد تميّزا باحترام الآخرين، وحسن التعامل مع الجميع. علمًا بأنّ أفراد الفريق كافة كانوا أشخاصًا طيّبين».

قلْتَ: إنّ ميسي كان دائمًا يشعر بالسعادة لحظة دخوله الملعب وحيازته الكرة. في رأيك، ما تفسير ذلك؟

«هـذا صحيح، أؤكّد لـك أنّ ليو يحبّ اللعب كثيرًا، وكـرة القدم هي لعبته (دميتـه) المفضلـة. إنّـه يستمتع بهـا كثيرًا، ويستطيـع التحكّم فيهـا بطريقة لا مثيـل لهـا. ما يفعله فـي أرض الملعب أمر غيـر مألوف؛ إذ يخيَّـل للرائي أنّ الكـرة ملتصقة بقدمه، فتراه يشـق طريقه بها مسرِعًا نحو الأمام، ملاحِظًا كلّ مـا يجري حوله. فهو يقرأ اللعبـة، ويتوقّع أحداثها ومجرياتها. ذلك أمر صعب، فقط اللاعبون العظماء قادرون على عمل ذلك».

هل تَعُدّ مارادونا مثلًا أحد هؤلاء العظماء؟

«يمثِّـل دييغـو ظاهـرة لن تتكـرّر. صحيـح أنّ الجميع يقارن بيـن الاثنين (مارادونـا وميسـي) منذ مدّة، خاصة بعـد الهدف الذي سجّلـه ليو في مرمى خيتافـي. كلّ ما أستطيع قوله: إنّ كلًّا منهمـا يمتلك موهبة عظيمة. لكنّ ميسي ليس في حاجة إلى أن يقارَن بأيّ أحد؛ فهو لاعب فريد عبقري عظيم قادر على إحداث المفاجأة في أيّ مباراة، وهذا ما جعل الجماهير مغرَمة به».

مـاذا كان يعنـي كأس العالَـم للشـباب دون سـنّ العشـرين بالنسـبة إلى ميسي؟

«لقـد كانت هـذه البطولة الشرارةَ التي فجّرت قدراتـه ومواهبه ومهاراته بوصفـه لاعبًـا؛ إذ كانت فرصته لكي يصبـح معروفًا في مختلـف أنحاء العالَم

تقريبًـا ، خاصــة أنّ الكثيريــنَ في الأرجنتين لــم يعرفوا عن مهاراتــه شيئًا قبل بطولــة كأس العالَم في هولندا. لقد عاد من هناك نجمًا محبوبًا؛ ففوزه بجائزة أفضل لاعب، وإحرازه لقب الهدّاف، وحسمه المباراة النهائية بهدفين، كلّ ذلك جعل منه نجمًا، ولاعبًا محترِفًا طالما انتظرته أمّة بأكملها».

تلـك الأمّــة كانت أيضًـا تنتظر أن يشــارك فريقه اللعب أمــام ألمانيا في بطولــة كأس العالَم عام 2006م، لكنّه بقي علــى مقاعد البدلاء. لقد اصطحبْتَ في هذه البطولة الفتيةَ الذين تدربوا مع الفريق، وعهدتك تعرف خوزيه بكرمان منذ زمن طويل، فما الذي حدث في تلك المباراة؟

«كنّــا قد استنفدنا فرص التبديل بسبــب إصابة باتو (لقب حارس المرمى في ذلــك الحين روبرتــو أبودنزيري)، عندئذٍ، قرّر بكرمان اللعــب بأسلوب مختلف؛ ما يعني الاستعانة بلاعب مختلف، والقيام بخطط (تكتيكات) مختلفة. لكن، ليس لدي أدنــى شــكّ في أنّ بكرمان هو مــن أفضل مدرِّبي فرق الشباب. لــم يكن هنــاك أحد غيره قادر على مساعدة فتى في الثامنة عشرة، مثل ميسي، ليظهِر أفضل ما لديه».

لندع الجدل جانبًا، ولنتحدث عن أداء ميسي بعد بطولة كأس العالَم.

«أعتقد أنّه يطوّر مهاراته باستمرار، وهو تطوّر لا يعرف الحدود. لكنّه - في الوقــت نفسه- يحافظ على أسلوبه في اللعــب، محاولًا عدم لفت الانتباه. لا يحبّ هذا الفتى أن يقوِّمه أحد، فهو لا يفعل شيئًا من دون سبب، ويحبّ أن يلعب بسلام. ويحرص على البقــاء قرب أحبّائه؛ أبويه وشقيقيــه وشقيقته، الذين يعملون على حمايته ودعمه، تمامًا كما فعلوا بهولندا في أثناء بطولة كأس العالَم».

الفصل السابع عشر

صديق ميسي

حوار مع بابلو زاباليتا

تصف سيليا، والدة ليو، بابلو زاباليتا قائلة: «إنّه شخص طيب جدًّا». وهي تشعر الآن بفرحة غامرة؛ لأنّ ابنها يحظى باهتمام قائد منتخب الشباب دون سنّ العشرين (الفائز ببطولة كأس العالَم)، الذي أصبح جناحًا في نادي إسبانيول، ويلعب مع نادي مانشستر سيتي.

نشأ في إريسيفيز، وبدأ حياته الكروية مع نادي سان لورينزو الأرجنتيني، قبل أن ينتقل إلى اللعب في أوروبا. ومع أنّه لايزال في السادسة والعشرين من العمر، لكن الجميع يَعُدّونه لاعبًا مخضرمًا -وبكلمات أُخرى- شخصًا موثوقًا.

متى قابلْتَ ليو؟

«في منتخب الشباب دون سنّ العشرين عندما فزنا ببطولة كأس العالَم في هولندا، التي كانت تجربة مميّزة، وجعلتنا نشعر جميعًا بنشوة الانتصار. حينئذٍ، بدأت صداقتي الجميلة معه. أصبحنا كذلك مقرَّبيْنِ من الكون (أغويرو)، وأوسكار (أوستاري). لقد شكّلنا فريقًا عظيمًا...».

لماذا عددْتَ ذلك الأمر مميّزًا؟

«كانـت تسود بين ظهرانينـا أجواء رائعة، وتربطنا صداقـة متينة، وأردنا جميعًا تحقيق الفوز...».

لكنّ ليو واجه صعوبة في الاندماج مع المجموعة.

«لا أعتقـد ذلك... كان أصل المشكلة يكمن في عـدم معرفة الآخرين به. فقد سافر إلى إسبانيا صغيرًا، وسلك هناك طريقًا مختلفًا. وفي المقابل، ينتقل اللاعبـون فـي الأرجنتين إلى اللعب مـع الفريق الأول في سـنّ مبكّرة؛ وهو أمر يجعلهـم يكبرون بسرعة، ويجدون النسق والأسلـوب المناسب. ومع أنّ ليو جاء مـن برشلونة، لكنّه لم يستغرق زمنًا طويلًا في التكيُّف مع الوضع الجديد، وكان جاهزًا للعب عندما سافرنا إلى هولندا، وأصبح العالَم مهوَّسًا بطريقة لعبه».

كانت هناك لحظات مهمة أيضًا بعد انتهاء بطولة كأس العالم تلك.

«لقد أقمنـا في الغرفة نفسها ببودابست لدى مشاركته المنتخب الأول في اللعب أول مرّة، لم تكن مباراة جيدة لليو. إحدى اللحظات السعيدة التي جمعتنا معًا كانت الفوز بالميدالية الذهبية في أولمبياد بكين».

كيف أصبحت علاقتك به الآن وأنت تعيش في مانشستر؟

«نتحـدث كثيرًا بالهاتف، ونلتقـي حينما يتجمّع أفـراد المنتخب الوطني. عندما كنت أسكن في برشلونة، كنّا نرتاد مطعمًا أرجنتينيًّا. أمّا طبقنا المفضّل فـكان شرائح اللحم المتقنة الصنع. كنّـا نلتقي في أوقات أُخرى، نشرب المتة، ونتحـدث عن أحوال كـرة القدم؛ سواء في الدوري الأرجنتينـي، أو فيما يخصّ المنتخب الوطني، أو ما يجري في إسبانيا».

ما رأيك في ميسي «الصديق»؟

«إنّـه شاب عادي جدًّا. يحبّ قضاء وقتـه في المنزل، ويحبّ عائلته كثيرًا. أعتقد أنّ حياته إنسانًا أفضل منها بوصفه لاعب كرة قدم».

وكيف تراه لاعبًا؟

«إنّـه جوهرة؛ إذ حباه الله بقدرة مذهلة علـى التحكّم في الكرة. وقد أثار إعجابـي بتحرّكه السريع بالكرة. إنّ ما يفعلـه أمر خارق؛ الطريقة التي يتجاوز بهـا اللاعبينَ الآخرينَ، والتصاق الكرة الدائـم بقدمه. يمكنه التحليق بفريقه عاليًا مثلما شاهدنا أكثر من مرّة، ويمكنه حسم نتائج المباريات سريعًا، فضلًا عـن تحرُّره من الضغوط بصـورة لا تصدَّق. أداء ليو شبيه بـأداء مارادونا، مع أنّ دييغـو حالة فريدة مـن نوعها، ومن الجنون مقارنة أحدهما بالآخر. بوصفي صديقه، فأنا سعيد جدًّا أنّه يؤدي على نحو طيب».

ماذا عنيت بقولك: إنّ حياته إنسانًا أفضل منها بوصفه لاعب كرة قدم؟

«قلـت ذلك لأدلِّـل على مدى تواضعه؛ فهـو لم يتغيّر مُذْ عرفتـه. لم تنسِه الشهرة نفسه، ولم يؤثّر فيه المديح والإطراء على نحوٍ سلبي. إنّه لايزال صديقًا رائعًا».

الفصل الثامن عشر

مسلسل طويل

الثالث من تشرين الأول عام 2005م

تبدأ الليغا (اسم الدوري الإسباني) مشوارها لموسم 2005م – 2006م في السادس والعشرين من شهر آب. تضم الليغا الخامسة والسبعون بطلًا جديدًا، هو روبينيو الذي يمثِّل جوهرةً في تاج ريال مدريد، ولاعبًا ينتظَر منه الكثير إلى جانب اللاعبينَ البرازيليينَ الآخرينَ الموجودينَ، أمثال رونالدينو، ورونالدو.

إنّ ما يميِّز الدوري الإسباني حقًّا، هو الصراع الأزلي بين ناديي برشلونة وريال مدريد. يلعب حامل اللقب مباراته الأولى خارج الديار أمام فريق نادي آلافيز على أرض ملعب ميندِيسوروسا. غاب ميسي عن هذه المباراة، وذلك أمر مستغرب، خاصة إذا عرفنا أنّ الشاب الأرجنتيني كان -بلا منازع- نجم مباراة كأس خوان غامبر التي أُقيمت قبلها بيومين.

يصدر النادي بيانًا رسميًّا يوضِّح ملابسات هذا الأمر:

«قـرَّر نادي برشلونة عدم إشراك ليو ميسي في المباراة التي سيخوضها الفريق أمام فريق نادي آلافيز احترازًا؛ من جرّاء مشكلة قانونية عالقة سيُعمَل على حلّها قريبًا بما يوافِق القوانين الاتحادية المتعلّقة باللاعبينَ المنحدرينَ من دولٍ خارج الاتحاد الأوروبي».

مـا الذي حدث؟ في الثامن من تموز، عدَّل الاتحـاد الإسباني لكرة القدم قوانينـه العامة المتعلقـة باللاعبينَ المجنَّسيـن؛ أي اللاعبينَ الذين ينحدرون من دولٍ خارج الاتحـاد الأوروبي، وتتراوح أعمارهم من (19-17) عامًا، الذين تمـت ترقيتهم مـن فرق الشباب في النوادي الإسبانيـة. يسمح التعديل الجديد للاعبيـنَ الشبّان المعنييـن بمشاركة أنديتهم في الـدوري؛ حتى لو تجاوز عدد اللاعبيـنَ الأجانب المسموح بمشاركتهـم في التشكيلة الحدَّ المقرَّر، وهو ثلاثة لاعبينَ. يلبّـي ميسي جميع المعايير المنصوص عليهـا في القانون الجديد، ما يعنـي أنّ بإمكانه اللعب مـع أنّ التشكيلة تضم ثلاثة لاعبيـنَ من خارج الاتحاد الأوروبـي، هـم: رونالدينـو، وإيتو، وماركيز. ولكـن، يتعيّـن أولًا عرض القانون الجديـد - الـذي انتقدته أندية معيّنة لمحاباته برشلونة وميسي- على كلّ من: رابطـة المحترفينَ لكرة القدم، والمجلس الأعلـى للرياضة للتصديق عليه، ما يعنـي أنّه «بالنظر إلى الظرف المؤقت، فقـد أوصت الدائرة القانونية في نادي برشلونة بعدم السماح له باللعب».

إنّـه سيناريـو معقّـد بعض الشـيء، ولا سيّمـا أنّ ميسي لعب مبـاراة مع الفريـق الأول في دوري أبطال أوروبا لموسم 2004م-2005م أمام فريق شاختار دونيتسـك، وشـارك في سبع مباريات فـي الدوري، مـن دون أن يمتلك رخصة احترافيـة، أو وثائق خاصـة بالاتحاد الأوروبي، فكلّ مـا كان يمتلكه هو عقد مع فريـق الشبـاب والفريق الثاني بالنادي. كان أول ظهور لـه في ديربي كاتالونيا، حيث خاض مـع الفريق مباراة جمعته بفريق نادي إسبانيول، وذلك يوم السبت الموافـق للسادس عشر من شهر تشرين الأول عام 2004م، في الملعب الأولمبي بمونتخويك؛ إذ دخل بديلًا لديكو، ولمس الكرة بعدها - أول مرّة- بعشر دقائق مـن تمريرة لبيليتي. لقد كان يقوم بعمل جيد، ولكـن لا شيء استثنائي يستحق الذكـر. ومـع ذلك، فقد كانت ليلـة مميّزة بالنسبة إليه مـن دون شكّ؛ إذ أخبر

صحيفة لا كابيتال ذات مرّة أنّ هدفه «الوصول إلى الفريق الأول»، مع أنّه كان يقصد حينئذٍ بالفريق الأول فريقه المفضل؛ نيولز.

لعب ليو مباراته الأولى، وتمكّن أيضًا من تسجيل هدفه الأول في الدوري. كان ذلك في الأول من شهر أيار عام 2005م، فقد أشارت اللوحة الإلكترونية في ملعب كامب نو إلى تقدّم البارسا على الباسيتي بهدف يتيم. يقرِّر فرانك ريكارد سحب صامويل إيتو من الملعب، ويدخل مكانه ميسي في مكان لم يعتد هذا الأخير على اللعب فيه؛ هو مركز الوسط المتقدّم. يستغل اللاعب الصغير - كان يبلغ حينها (17) عامًا، و(10) أشهر - تمريرة من رونالدينو، ويتغلّب على حارس المرمى فالبوينا بتسديدة مركزة. إنّها لحظة نشوة خالصة، وليو لا يعرف ماذا يفعل، وينتهي به المطاف مرفوعًا على كتفي زميله روني (رونالدينو)، وهو يصرخ فرحًا. إنّه أصغر لاعب في تاريخ النادي يسجّل هدفًا في الدوري (رقم قياسي سيُحطَّم في العشرين من شهر تشرين الأول عام 2007م بتسجيل بويان كركيتش هدفًا في مرمى فياريال).

لقد سارت أموره مع الفريق الأول على نحوٍ جيد حتى الآن، ولكن تلك المباراة التي جرت في الأول من أيار ستكون المباراة الرسمية الأخيرة للأرجنتيني في ذلك الموسم. علمًا بأنّ الفريق ضَمِنَ لقبه السابع عشر في المسابقة قبل نهاية الدوري.

يبدأ موسم 2005م-2006م، وميسي لا يلعب، ولا حتى في مباراة بطولة كأس الملك أمام ريال بيتيس؛ فنجده على مقاعد البدلاء في مباراة الذهاب، وغائب عن التشكيلة في مباراة العودة. كان هناك خطب ما، حتى قبل صدور الإعلان الرسمي عن النادي، ومجلس الإدارة على دراية بالأمر؛ فميسي مسألة معلّقة. تبدأ الشكاوى تنهال على النادي. لماذا لم تُحَلّ هذه المشكلة مسبقًا؟

لمـاذا تقاعسـ النادي عن مسألـة تجنيسه على الرغم من وجـود قانون يسمح للأرجنتينييـن بالجمع بين الجنسيتين الأرجنتينيـة والإسبانية بعد سنتين من العيش في إسبانيا؟

مـع توالي الأخبار التي تشير إلى احتمال عـدم تمكُّن ميسي من اللعب في الـدوري، بدأت تظهر اقتراحات وحلول بديلة، مثل التنازل عنه لفريق آخر لديه مكان للاعب من خارج الاتحاد الأوروبي. إلّا أنّ هذا الاقتراح رُفِض فوره.

بعـد ذلك، سَرَتْ إشاعـات بأنّ أندية أوروبية ترغب فـي استثمار طاقاته، والإفـادة مـن خبراته، ومنهـا نادي الإنتـر. لم يُخْـفِ رئيس النـادي الإيطالي ماسيمو موراتـي يومًا إعجابه بهذا اللاعب، باستثنـاء العرض المادي المغري الـذي قدَّمه لخورخي ميسي؛ وهو أمر استخدمه هذا الأخير للضغط على إدارة برشلونة لحلّ المشكلة.

في تلك الأثناء، وفي الحادي والثلاثين من شهر آب (آخر يوم لقيد اللاعبينَ الجُدد)، يُجدِّد برشلونة رخصة ميسي بوصفه لاعبًا شابًّا مجنَّسًا من لاعبي فريق النـادي المصنَّف ضمن فـرق دوري الدرجة الثانية. وفي السادس عشر من شهر أيلول، انتشر خبرٌ مفاده أنّ هذا اللاعب قد وقَّع عقدًا احترافيًّا مع النادي.

تبلـغ مدّة هذا العقد تسـع سنوات؛ أي إنّه ينتهي عام 2014م. وقد صرَّحت مصـادر مختلفـة بأنّ أجره سيرتفـع ليصبح ثلاثة ملايين يورو فـي العام، وأنّ قيمة فسخ العقد تبلغ (150) مليون يورو.

كانـت أخبـار الاتفاق قـد تسرَّبت فعليًّا فـي شهر حزيـران؛ إذ ذكر الموقع الإلكتروني الرسمي للنادي ما يلي، في الثلاثين من هذا الشهر، وفي أثناء مشاركة ليـو المنتخبَ الأرجنتيني في بطولة كأس العالَم للشباب دون سنّ العشرين: «بعد أسبـوع من عيد ميـلاده الثامن عشر، يتلقى ليو ميسي أفضـل هداياه؛ فقد توجّه

سكرتير النادي تيكستي بيغريستين برفقة والد ميسي إلى مدينة أوتريخت بهولندا للاتفاق على عقد جديد، يضمن بقاءه في النادي حتى عام 2010م».

هناك تأويلات عدّة للتضارب الحاصل على مستوى التواريخ؛ إذ يقول بعضهم: إنّ ميسي ببساطة قبل العرض، ولا سيّما أنّ القانون يَعُدُّه بالغًا الآن، في حين ادّعى آخرون أنّ بنود العقد تعرّضت للتعديل في شهر أيلول؛ لأنّ والد ميسي لم يكن راضيًا عن بعض الفقرات المتعلّقة بالحوافز، وزعموا أنّ مدّة العقد أصبحت تسع سنوات بدلًا من السنوات الخمس المعتادة. ويرى بعضٌ آخر أنّ الاتفاق الذي وُقِّع في شهر أيلول كان مبدئيًّا فقط، وأنّه سيوقَّع عقد احتراف في الموسم المقبل يتناغم مع القوانين الجديدة التي سيعمَل بها لاحقًا.

يؤكِّد واقع الأمر أنّ الأخبار المتعلّقة بتجديد العقد لا تُجدي نفعًا، وإنّما تضيف حلقة جديدة إلى المسلسل الطويل الذي سيأخذ منحى جديدًا في العشرين من شهر أيلول. فقد صوَّتت أغلبية ساحقة من أعضاء لجنة المحترفينَ لكرة القدم ضد القانون الجديد؛ أي إنّ اقتراحات الاتحاد الإسباني لكرة القدم، وجمعية اللاعبينَ الإسبانية، المتعلّقة باللاعبينَ المجنَّسين لن ترى النور. وفي هذه الأثناء، تحدث الأشخاص الذين يشاطرون رئيس نادي برشلونة الرأي عن مؤامرة على النادي حاكتها بعض قوى كرة القدم الإسبانية. وما هو مؤكَّد حتى الآن أنّ ميسي لا يستطيع اللعب في الدوري. ولكن، بإمكانه اللعب في دوري أبطال أوروبا من دون أيّ مشكلة.

وافق الاتحاد الأوروبي لكرة القدم على مشاركة ميسي في مسابقاته وبطولاته بعد فحص الأوراق التي أرسلها النادي، وها هو ذا يعترف بالتجنيس الممنوح له. لا شيء غير عادي في الأمر؛ فميسي كان قد لعب كثيرًا من المباريات في المنافسات الأوروبية في الموسم المنصرم. حتى إنّ نجمه سطع في أول ظهور أوروبي رسمي له في المباراة التي جمعت البارسا بأقوى منافسيه

عـن المجموعة (ج)؛ نادي فيردر بريمن الألماني؛ إذ شارك في الشوط الثاني، وحصـل علـى ركلة جـزاء نفَّذهـا رونالدينو بنجـاح، ليقضي بذلك علـى آمال الألمـان بالعودة إلى المبـاراة. كانت تلك لحظة مهمة، تدل علـى أنّه سيشارك لاعبـي الفريـق الأصلاء مباراتهم المقبلـة أمام فريق أودينيـزي في كامب نو. ولكن، في اليوم المقبل، السادس والعشرين من شهر أيلول، تصل أخبار جديدة تضع حدًّا للمشكلات السابقة جميعها؛ فعند الساعة الواحدة ظهرًا، يقف ليونيل أندرياسـ ميسي كوشيتيني أمـام رئيس محكمة الأحـوال الشخصية، القاضي فيرنانـدو البيرتي فيسينو، ويقسِـم إنه «لا يتخلى عن جنسيته الأرجنتينية، وإنّه يقسم بالولاء للملك، وبالطاعة للدستور والقوانين الإسبانية، وإنّه يختار الإقامة المدنية الكاتالونية، وإنّه يلتمس إدراجه في السجلّ المدني الإسباني».

خلاصـة القول هـي إنّ ليو حصل على الجنسيـة الإسبانية، فأصبح بذلك مواطنًـا في الاتحاد الأوروبي. بعد ذلك، قـدَّم البارسا الوثائق اللازمة للاتحاد الإسبانـي، وجاء الـردّ سريعًا بالموافقـة: «بموجب صلاحيـات الجهة المخوّلة (الاتحاد)، يحقّ للاعب المذكور أعلاه اللعب لناديه، آخذين جنسيته الإسبانية النافذة في الحسبان فيما يخصّ أيّ مصلحة».

فـي الأول من شهر تشرين الأول؛ أي بعد خمسة أيام من انطلاق الدوري، تمكَّـن ليـو من مشاركة فريقـه اللعب في مباراتـه أمام ريـال سرقسطة. وهذه المـرّة، وبعـد أن زال حمل ثقيل عن كاهله، عاملته جماهيـر كامب نو العريضة - ذلـك السبت- كما لو كان بطلًا قوميًّا. لايزال البارسا متأخرًا بهدفين. وعلى الرغـم من نزول ليو في الشوط الثاني، لكن لـم يحقِّق أيّ معجزات، خلافًا لما اعتـاده فريق المـدرِّب ريكارد، سوى تعديـل لكفة النتيجة قبـل نهاية المباراة. فالأمور بخواتيمها، ولكن ليس هذه المرّة.

بعـد يومين؛ أي يـوم الإثنين الموافِق الثالث من شهـر تشرين الأول، يرسِل خصـم البارسا؛ المقبل نادي ديبورتيفو لا كورونيا، رسالة إلى رابطة المحترفين لكرة القدم، ونسخة منها إلى لجنة المسابقات في الاتحاد الإسباني لكرة القدم، يلتمس فيها حكمًا بإصدار طلب للتحقيق في عملية التجنيس التي خضع لها لاعب البارسا. وفيما يأتي نصّ الرسالة: «لقد تمكّن اللاعب المذكور من الحصول على الرخصة الوطنية (أي إنّها أُعطيت) بعد انقضاء الوقت المخصّص لذلك، الذي ينتهي في الحادي والثلاثين من شهر آب، ويستمرّ حتى شهر كانون الأول».

يكمـن جوهر الطلـب في «إعـادة ترسيخ مبـادئ المساواة فـي المنافسة، التـي يعتقَـد أنّها قد تعرَّضـت للانتهاك، على الرغـم من أنّ هـذه المسألة التي تنضـوي على مخالفة صارخـة ستنتهي حال إتمام التحقيـق». يذهب المسؤولون فـي نـادي آلافيز، الذين كانوا قد هـدّدوا مسبقًا بالتصعيد، إلـى ما هو أبعد من ذلـك؛ فيقدِّمون التماسًا لرابطة المحترفينَ لكرة القـدم لمنع ميسي من اللعب. وجهـة نظرهـم تقـول: إنّ الرخصة التـي حصل عليهـا باطلة وملغـاة «في نظر القانـون». لمـاذا؟ لأنّ «برشلونة مـا كان بمقدوره أن ينجح فـي إصدار الرخصة قبل آخر موعد لاستصدار هذه الرخصة؛ أي في الحادي والثلاثين من شهر آب، لأن اللاعـب كان لايـزال حينها أجنبيًّـا»، ويخبرنا خافيير تيباسـ، الذي لا يعمل مستشـارًا قانونيًّا لنادي آلافيز فحسب، بل نائبًـا لرئيس رابطة المحترفينّ لكرة القـدم أيضًا. يضيف تيباس: «لقد مُنِحَ الآن الجنسية الإسبانية، وتمكّن ناديه من استصدار رخصة له بتاريخ سابق؛ هو الحادي والثلاثون من آب على أمل إشراكه في الفريق، على الرغم من انتهاء الوقت المحدَّد لانتقال اللاعبينَ الجُدد».

وبعبـارة أُخرى؛ فـإنّ ليو لا يستطيـع البقاء واللعب اعتمـادًا على تصريح الإقامـة - الممنوح له - في دول الاتحـاد الأوروبي حتى شهر كانون الثاني. عدا ذلك، يسأل تيباس: «بالعودة إلى العقد الموقَّع، كيف لميسي أن يلعب مع الفريق الأول برخصة لعب خاصة بفريق الشباب فقط؟».

ينفـد صبـر خـوان لابورتا، فيعلِـن الآتـي: «لدينـا أسباب قانونيـة كافية لإشراكـه. لا أدري مـاذا يريدون أكثـر من ذلك، حاولنا القيام بـكلّ شيء وَفقًا للقوانيـن. والآن، وبعـد أن حصـل اللاعب علـى الجنسية الإسبانيـة، ما زالوا يختلقـون المشكلات. لا أدري لِمَ يصرون على محاولة تدمير المستقبل المهني لهذا اللاعب. إنّهم يختلقون المشكلات لمنع ميسي من اللعب للبارسا».

يقوم رئيس البلاوغرانا بهجوم معاكس، ضاربًا مثلًا من الماضي: «لا أريد أن أُفكِّر في مثل هذا اليوم، حيث يُنادى بالديمقراطية والحريات، الذي نضطر فيه إلى نبش الماضي، كما حصل في قضية دي ستيفانو».

لِنُنْعِش ذاكرتنـا ببعض التفاصيل الصغيرة: وصـل ألفريدو دي ستيفانو، الملقَّـب بالسهـم الأشقر، إلى إسبانيـا قادمًا من الأرجنتين عـام 1953م للعب فـي نادي برشلونـة، ولكن تدخُّل أشخاص ذوي مناصب عليـا حوَّل المسألة إلى شـأن وطني، ما أدّى إلى إلغـاء التوقيع على العقد؛ حتى إنّ مجلس المستشارينَ تدخَّـل في الموضوع، وقرَّر أنّه بالنظر إلى أهميـة هذا اللاعب، فلا يَحِقّ منحه إقامـة كاتالونية حصرية، واقترح عوضًـا عن ذلك رأيًا (عادلًا) مفاده أن يلعب دي ستيفانو للبارسا وريال مدريد بالتناوب (الموسم الأول مع البارسا، والثاني مع الريال، وهَلُمَّ جَرًّا). ولحسن طالع الريال، فقد رفض برشلونة ذلك الرأي.

لكـنّ الماضي لا يعاود مطاردة البارسا هـذه المرّة، ولا يتعدّى الأمر الذي يؤرِّق لابورتا مجرّد أشباح لن تعاود الظهور مجدَّدًا. ما هو أكيد أنّ قضية ميسي احتلّت العناوين الرئيسة لصفحات الجرائد الرياضية في مختلف أنحاء البلاد، وتسبَّبت في فضيحة بالأرجنتين.

صـدر أول قرار عـن لجنة المنافسات فـي الاتحاد الإسبانـي لكرة القدم فـي الثامـن عشر من شهر تشرين الأول، وقد نصّ علـى أنّه «بالنظر إلى عملية

التجنيس التي قام بها اللاعب، يحقّ له مواصلة اللعب بوصفه إسبانيًّا». أثار القرار سخط نادي ديبورتيفو وآلافيز، وتبع ذلك استئناف واعتراض على استئناف، وقرارات ومناقشات حادّة. ولكن، في غمرة ذلك كلّه، فقد واصل ليو اللعبَ. فباستثناء مباراة الفريق أمام ديبورتيفو- حين قرّر ريكارد إراحته بعد عودته توًّا من مشاركة فريق منتخبه الوطني، وبعدما هدَّد ديبورتيفو بالاعتراض في حال مشاركته - فقد واصل صاحب القميص رقم (19) المشاركةَ في مباريات الدوري، وبذل أقصى جهده.

استمرّت القضية بين أخذ وردّ حتى العام المقبل، لكنّها لم تُلْقِ بظلالها على أرض الملعب. يسجّل البرغوث ظهوره الأول في ملعب سانتياغو بيرنابيو في التاسع عشر من شهر تشرين الثاني؛ إنّه الكلاسيكو الأول بالنسبة إليه. بعد ذلك بأقلّ من شهر؛ في الرابع عشر من شهر كانون الأول تحديدًا، تُوِّج ميسي في كامب نو بوصفه أفضل لاعب دون سنّ العشرين، ونال جائزة الفتى الذهبي التي تمنحها مجلة توتو سبورت الصادرة في تورينو لأفضل لاعب من هذه الفئة؛ إذ تفوَّق على منافسه واين روني، حيث حصل هذا الأخير على (127) نقطة، في حين حصل ليو على (225) نقطة، وذلك بفضل إنجازاته في كأس العالَم للشباب. كان ذلك اعترافًا جديدًا بقدراته؛ وهو اعتراف جاء في وقته، فبطولة كأس العالَم ستقام في ألمانيا بعد ستة أشهر، وإن تلك النجاحات حوَّلت البرغوث إلى شخص مرغوب فيه من الرعاة.

فمن ماكدونالدز إلى بيبسي، ومن شركة ريبسول الإسبانية للنفط والغاز إلى شركة لا سيرينيسيما لمنتجات الألبان، ومن شركة ليز للرقائق إلى أحذية ستوركمان، ومن غاربارينو للأجهزة الكهربائية إلى ماستر كارد؛ تهافت عشرات الرعاة للحصول على خدمات ميسي، الذي كان توًّا قد ظهر بصحبة مارادونا. يظهر الاثنان وهما يوقِّعان على تلفاز معًا، مع عبارة: «انظر على ماذا يوقِّعان، إنّهما الأفضل».

يلعب ليو بكلّ شيء. «كرة قدم: 30 بيزو. كرة مضرب: 12 بيزو. كيلوجرام من البرتقال: 3 بيزو»، كان ذلك إعلان لبطاقة ماستر كارد، يظهر فيه اللاعب الشاب، وهو يلهو بكرة قدم وكرة مضرب وبرتقالة؛ ما يعني –بالنسبة إليه– «أنّ هناك أملاً بعد دييغو لا يقدَّر بثمن».

ثمّ نراه يلعب مع أطفال يخيِّم الحزن على ملامحهم في إعلان لعلكة بوبالو، ثمّ يرقص بالكرة على ألحان موسيقا التانغو في إعلان لبيبسي. كلّ ذلك لا يقارن بالحملات الأخيرة، مثل الإعلان الذي يظهر فيه على شكل المخلِّص الذي ينزل من السماء، للترويج لمنتوجات شركة إيه ستايل الإيطالية للقبعات والملابس الرياضية، أو تلك الحملة التي يظهر فيها على شكل عجوز (جدة) تحبّ لعب كرة القدم في إعلان صوَّره نهاية عام 2007م لصالح شركة طيران إير يوروبا.

من غير المنطقي إضاعة الوقت بالوصف؛ إذ يمكن دخول موقع يوتيوب بسهولة لمشاهدة كيف استغل المعلنون صورة الساحر ميسي ومهارته في بيع أيّ شيء، وكلّ شيء.

ومع نهاية عام 2005م، وبداية عام 2006م، أصبح من الواضح أنّ ميسي شخص مرغوب فيه في مختلف أرجاء العالَم، وهو أمر أثبتته أيضًا الحرب التي نشبت بين شركة نايكي (عملاق صناعة الملابس الرياضية في أمريكا)، والشركة الألمانية ذات الخطوط الثلاثة؛ أديداس.

الفصل التاسع عشر

أجواء جديدة

حوار مع فيرناندو سولاناس، مدير التسويق الرياضي لشركة أديداس، فرع شبه الجزيرة الأيبيرية

هل صحيح أنّ صراع عملاقي الألبسة والأدوات الرياضية؛ نايكي وأديداس على ميسي وصل إلى المحاكم؟

«نعم، ولكن دعني أخبرك بالقصة من بدايتها. لقد أجريت أول اتصال بخورخي؛ والد ليونيل ووكيل أعماله، عام 2003م. وكان ميسي حينها ملتزمًا بعقد مع شركة نايكي، يتضمّن منحه أدوات رياضية فقط لقاء الإفادة من صورته في ترويج منتوجات الشركة. وقد أخبرني خورخي بأنّهما راضيان عن علاقتهما بالشركة الأمريكية التي كانت قد تعاقدت معه قبل ذلك بسنتين، حينما كان ميسي في سنّ الرابعة عشرة، ويلعب مع فريق الشباب في نادي برشلونة. لم يخطر على باله – وقتئذٍ- التعامل مع راعٍ جديد. لكنّني رغبت في إبقاء قنوات الاتصال مفتوحة معهما، فقمت في العام المقبل (العام الأخير الذي ينتهي فيه عقد شركة نايكي معهما) بالتحدث إليه مجدَّدًا، موضِّحًا له أنّ بإمكانه تحقيق أرباح مجزية إذا وافق على التفاوض معنا».

دعني أُوضِّح الأمر؛ في عام 2003م، عندما كان ميسي لايزال في سنّ السادسة عشرة، أرادت إحدى الشركات العالمية مثل أديداس «خطفه» من المنافس...

«من واجبنا اكتشاف نجوم المستقبل. لذا، فإنّنا نتعامل مع الخبراء، كلّ في مجاله. لقد مارست كرة القدم فيما مضى، وهي رياضة أُحبّها جدًّا، وأعتقد أنّ بإمكاني تمييز اللاعب الجيد حينما أراه. ولكن، عندما يكون الأمر متعلّقًا بلاعب تودّ الشركة الإفادة من مواهبه وقدراته واستثمارها، فأنا لا أثق إلّا بآراء المدرِّبين والكشّافين وصيّادي المواهب؛ أي بالأشخاص الذين يعملون مع اللاعبينَ الشباب. وقبل خمس سنوات، كان كلّ هؤلاء يقولون: إنّ ميسي هو جوهرة فريق الشباب في نادي برشلونة. لقد توقّعوا تفجُّر موهبته... لم يكن لديَّ أيّ وقت لأضيِّعه».

مفهوم، لنكمل القصة إذن...

«حالما انتهى العقد مع نايكي، قرَّر خورخي عدم توقيع عقد جديد مع أيّ شركة. لكنّه ظلّ يحصل على المنتوجات الرياضية من نايكي؛ لأنّها أحد رعاة نادي برشلونة. وفي الوقت نفسه، فإنّه يودّ التمهُّل قبل الموافقة على أيّ صفقة لابنه.

لقد شاهدت ليو يلعب في بطولة كأس العالَم للشباب عام 2005م، مستخدِمًا أدوات من ماركة نايكي، وهو يلعب الآن مع الفريق الأول في البارسا، وتجري الأمور على ما يرام في هولندا بالنسبة إليه. أعتقد أنّه تلقّى في ذلك الحين عروضًا مثيرة للاهتمام من أندية أوروبية أُخرى مثل يوفنتوس».

وماذا حدث بشأن عقد الرعاية؟

«لقد وقَّع خورخي خطاب حسن نيات مع شركة نايكي قبل يومين من مغادرته هولندا، إلّا أنّ الأمور تعقَّدت بعد ذلك؛ ما دفع الطرفين إلى إجراء

محادثـات على مـدار أشهر عـدّة. ولكن، مـن دون التوصُّل إلى اتفـاق... حتى تدخَّلت شركتنا.

قدَّمنا عرضًا ماديًّا مغريًا للشركة، فضلًا عن منحها حقّ تمثيل منتوجاتها فـي بطولة كأس العالَم في ألمانيا. وفي شهر كانون الثاني من عام 2006م، وُقِّع عقد يمتد حتى عام 2010م».

يقولـون: إنّ المبلـغ السـنوي الـذي تضـمّنه عقدكم، هـو أكبـر بخمس مـرّات ممّـا عرضـته نايكـي... إذن، نحن نتحدث عـن أكثر من مليـون دولار، أليس كذلك؟

«تبقى الأرقام سرية دائمًا؛ فنحن لا نستطيع كشف شروط العقد».

حسـنًا، دعنـا نكمل القصـة؛ لأنّ المعركة بين أديداس ونايكي بدأت من هنـا. لمـاذا اعترضـت نايكي على ارتداء ميسـي بعضًـا من المنتوجـات التي تحمـل ماركـة بريداتور الخاصـة بأديداس أول مرّة، وذلك فـي بطولة كأس الملك حينما سـجّل هدفًا في مرمى ريال سرقسـطة، ثمّ صرَّحت بأنّ «ميسي لديه اتفاق معنا، وسنبذل كلّ ما في وسعنا لنجعله يحترم ذلك الاتفاق»؟

«نعـم. فقـد رفعت نايكـي المسألة إلـى المحكمة، ثمّ حكـم القاضي على ميسي بوجوب ارتداء منتوجات شركة نايكي عند اللعب، من باب عدم المساس بالحقوق التي تدعيها الشركة الأمريكية».

ولكن، أنتم مَن كسب المعركة في نهاية المطاف، أليس كذلك؟

«لا أُسمّـي ما حصل بالمعركة، لكنّ الإجابـة عن سؤالك هي: بلى؛ إذ نفى آخـر حكـم صـادر أيّ التزامات لميسي تجـاه نايكي. ومنذ ذلـك الحين، بدأنا العمل مع ليو بصورة تدريجية».

ما الذي يمثّله ميسي بالنسبة إلى عالَم كرة القدم وتسويق المنتوجات الرياضية؟

«يمثّل ليو شيئًا آخر جديدًا؛ جوًّا جديدًا، مارادونا الجديد. إنّه يشبه الرسوم المتحرّكة عندما يكون على أرض الملعب. إنّه باختصار شخص جذّاب جدًّا».

لا أحد يُنكِر حضوره على مستوى كرة القدم. ولكن، ماذا عن شخصيته... ألم يكن فتى خجولًا متواضعًا؟

«لقد أحبَّه الناس لذلك تحديدًا؛ فهو شخص عادي، يحبّ قضاء الوقت مع عائلته وأصدقائه، واللعب بلعبته الإلكترونية (البلاي ستيشن)، ولا يكترث للضجة التي يسبِّبها حضوره. بساطته هي نقطة قوته؛ فغالبًا ما نلاحِظ أنّ نجوم الرياضة يعيشون في عالَم خاصّ بهم بعيدًا عنّا. إلّا أنّ ليو الخجول كان قريبًا من المشجعينَ كافة».

لنتحدث عن حملتكم «لا للمستحيل»، التي كان ميسي أحد المشتركينَ الرئيسينَ فيها.

«إنّها قصص حقيقية يرويها النجوم المشاركون معنا. الفكرة هي إخبار المستهلك أن لا شيء مستحيل. وفي حالة ليو، فإنّه يقوم بسرد قصة حياته؛ صبي في سنّ الحادية عشرة، بنيته توحي بأنّه في الثامنة، لكنّه لا يدع ذلك يقف عائقًا أمام تحقيق النجاح. يمكن تحقيق المستحيل بالمثابرة والجلد والعزيمة. ليو مثال حيّ على ذلك. لا ننسى أنّه عبر المحيط، ثمّ وصل إلى برشلونة عندما كان في سنّ الثالثة عشرة، ثمّ أصبح نجمًا كرويًّا عالميًّا بعدما تدرَّج من فرق الشباب».

ماذا يمثّل ميسي؟

«الأصالة».

في أيّ الأماكن كان حضوره مؤثّرًا؟

«لديه حضور لافت في أمريكا الجنوبية وإسبانيا وآسيا، خاصة اليابان».

ولماذا اليابان تحديدًا؟

«لأنّه صغير البنية. يبدو الأمر سخيفًا، لكنّه واقعي؛ إذ يحبّ اليابانيون التشبُّه باللاعب الصغير صاحب المهارات الكروية الفذّة».

كيف هو الحال في أوروبا؟

«لقد أخذت صورته تنتشر على نحوٍ مطرد. لديه حضور قوي في إنجلترا على سبيل المثال، وذلك بفضل المباريات التي خاضها في دوري الأبطال أمام تشيلسي ومانشستر يونايتد».

ألا تخشى أن يتسبَّب تناوله المتزايد والتعرُّض لأخباره بوسائل الإعلام في التأثير فيه سلبًا، على غرار ما أصاب حالات عدّة فيما مضى؟

«يتعيّن علينا الاهتمام به جيدًا، ومعاملته معاملة حسنة».

الفصل العشرون

نجم المباراة

الثاني والعشرون من شباط عام 2006م

الجوّ بارد جدًّا في لندن التي ستقام فيها مباراة الذهاب لربع نهائي دوري الأبطـال على ملعب ستامفـورد بريدج. لقد كانت أرضية الملعب موحلة؛ ما أثار الكثير من الجدل في الصحافة. فالأجواء مشحونة جدًّا، وإنجليزية بامتياز.

يجمـع اللقـاء فريقيْـنِ علـى طرفـي نقيض، همـا: تشيلسـي بأسلوبـه العقلانـي الدفاعـي الذي يمتاز بالقـوة والاندفاع، ويُعَدّ أكثر الفـرق إقناعًا في أوروبـا. وبرشلونة؛ الفريـق ذو المواهب المتعدِّدة، المبـدع، الذي يتميَّز بلمسة استعراضية.

يقـدِّم البارسـا نموذجًا جذّابًا لكـرة القدم، لكنّه يكـون أحيانًا هشًّا سهل الانكســار. يتصدَّر كلا الفريقيْنِ الدوري، كلّ في بلده، وقد قدَّما أداءً مبهِرًا في نهاية عام 2005م.

يبدأ العام المقبل بالوتيرة نفسها، لكنّ تشيلسي يقع في المحظور؛ إذ تتلقّى شباكه ثلاثة أهداف على ميدان نادي مدلزبرو في أثناء بطولة الدوري، ويفاجَأ بإقصائه من كأس الاتحاد الإنجليزي على يد كولشيستر المغمور. وفي المقابل، فقـد عانى البارسا في الآونة الأخيرة غياب إيتو الذي يشارك منتخب بلاده في

بطولة كأس الأمم الإفريقية، فضلًا عن الإصابة التي تعرّض لها تشافي؛ إذ أفضى ذلك كلّه إلى إقصائهم من بطولة كأس الملك على يد ريال سرقسطة، وأدّى غياب رونالدينو إلى خسارة الفريق مباراتين في الدوري. تُعَدّ الهزيمة أمام فالنسيا أمرًا قاسيًا؛ نظرًا إلى قرب ترتيب هذا الأخير من البارسا، وذلك قلَّص فارق النقاط إلى ست.

لندع الظروف المحيطة جانبًا، فنحن بصدد الحديث عن مباراة تَعِدُ بالكثير من المفاجآت المثيرة للاهتمام؛ فنجد فيها تنافسًا ثنائيًّا بين صاحب الكرة الذهبية رونالدينو، ووصيفه فرانك لامبارد، وبين أفضل لاعب في إفريقيا إيتو، ووصيفه دروغبا. ولا ننسى المنافسة الثنائية بين المدرِّبيْن؛ إذ لدينا على الطرف الأول جوزيه مورينيو، ذو الشخصية العاطفية الهستيرية، يقابله على الطرف الثاني ريكارد، الهادئ المتزن، إنّهما شخصيتان على النقيض تمامًا.

هناك أيضًا موضوع الثأر الحاضر دائمًا في كرة القدم؛ فالكلّ ما زال يذكر الهزيمة والأهداف الثلاثة التي سجّلها البلوز في غضون التسع عشرة دقيقة في مرمى البلاوغرانا، في الثامن من شهر آذار عام 2005م، خلال مباراة العودة لدور الستة عشر من دوري الأبطال. وكانت مباراة الذهاب قد انتهت بتقدُّم طفيف للبارسا بنتيجة (1-2) على ملعبه، لكنّه أصبح يلهث – من دون جدوى- وراء التعادل بعد ارتكاب بعض لاعبيه عددًا من الأخطاء الدفاعية التي برَّرها ريكارد لاحقًا بقلّة الخبرة وغياب التركيز.

وعلى الرغم من المجهود الذي بذله رونالدينيو، وشلال الفرص الضائعة، فإنّ فريق البارسا ذاك، الذي كان يَعُدّ نفسه فريق الأحلام الجديد في النادي، اضطر إلى رؤية منظر مورينيو الذي اندفع إلى أرض الملعب بعد إطلاق صافرة النهاية، وبدأ بتوزيع القبلات في الهواء على أنصاره. وقد رافق ذلك تعرّض

بعض اللاعبينَ للإهانة، فضلًا عن التدافع والمشاحنات بين اللاعبينَ ورجال الأمن، وهي أمور تورَّط فيها الجميع، حتى المدرِّب الهولندي.

كانت رحلة العودة إلى الديار مريرة، وقد حُلِّلت الأخطاء مرارًا وتكرارًا، واتُّهِم حكم اللقاء بيير لويجي كولينا (من الصحافة الإسبانية) بالتغاضي عن ركلات جزاء، فضلًا عن عدم مشاهدته اعتداء كارفاليو على فالديز الذي أدى إلى تسجيل جون تيري هدفًا، لتصبح النتيجة (2-4) لصالح تشيلسي؛ أي إنّه اتُّهِم بمحاباة النادي اللندني.

من المعروف أنّ التاريخ يكون حاضرًا في مناسبات مثل هذه. ويطلق العنان لكثير من العناوين على صفحات الجرائد الرياضية جميعها، ويُوجِد ما يشبه مسلسلًا تلفزيونيًّا دراميًّا يُدعى «الانتقام».

يزداد التوتر بين اللاعبينَ الذين ينزلون إلى أرضية الملعب الساعة 8:45 مساء. ثمّ تُعلَن تشكيلة الفريقيْنِ؛ يغيب دروغبا عن التشكيلة الأساسية لتشيلسي، ويسدّ مكانه في الهجوم هرنان كريسبو، في حين تتأكّد مشاركة آسيير ديل أورنو وكلود ماكيليلي في الخط الخلفي. بينما ينضم تياغو موتا إلى أدميلسون في خط وسط البارسا. يجلس أندرياس انيستا على مقاعد البدلاء، مع أنّه لعب ضمن التشكيلة الأساسية في الآونة الأخيرة. بعد قليل، يدخل ليو ميسي الملعب، بقميصه الأصفر البرّاق الذي يحمل الرقم (30)، ويبدو حينئذٍ - بالنسبة إلى الكثيرينَ- مجرّد صبي كبير. كيف سيتعامل مع هذا النوع من التوتر الذي يُعَدّ شديد الوقْع حتى على بعض اللاعبينَ المخضرمينَ؟ يبدو أنّه لا يشعر بالضغط أو الانفعال. هل ذلك ناتج من نقص في الانضباط لدى هذا اللاعب الشاب؟ أو أنّه - ببساطة - لا يخشى تلك الأجواء؟

تأتي الإجابة في الدقيقة الثالثة، عندما يُسدِّد الأرجنتيني تسديدته الأولى على مرمى بيتر تشيك، ويتصدّى لها هذا الأخير بسهولة. لا شكّ في أنّ ليو ليس خائفًا. وهو يُثبِت ذلك باستمرار في الدقائق التي تلي حين يجري في كلّ موضع متاح مثل فأر صغير. إنّه يوجد في كلّ مكان، يحاول اختطاف الكرة، ويُمرِّر بدقة، ويعمل مع زملائه جيدًا، ويحقق أول فرصة حقيقية، ويزرع بذور الخوف في دفاعات تشيلسي. ثمّ نراه يُشكِّل كابوسًا لديل أورنو، الذي يقوم بدوره بعرقلة ليو في الدقيقة الحادية والثلاثين، تاركًا علامة على الجورب الأيمن لهذا الأخير. لكنّ البرغوث لا يُحذِّر أو يعترض. يستمر اللعب. ولكن، بعد ست دقائق، يؤدي تدخُّل عنيف من المدافع الباسكي إلى تلقّيه بطاقة حمراء، تاركًا تشيلسي تُكمِل المباراة بعشرة لاعبينَ. ما الذي يحدث؟ يسيطر ميسي على الكرة في منتصف ملعب الخصم، ويحافظ عليها على الرغم من التدخُّل القوي والصراع (كتفًا لكتف) مع روبن، وينجح هذا الأخير في انتزاع الكرة، لكنّ اللاعب الصغير لا يستسلم. فيُلاحِق روبن إلى حدود الملعب، ويحاول التغلُّب عليه من الجهات كلّها. وفي نهاية المطاف، يُفجِّر قدرًا غير متوقّع من الطاقة، ويحصل على الكرة قرب الراية الركنية. روبن أمامه الآن، لكنّ ليو ينجح في إمرار الكرة من بين قدميه، وعندها يصدمه القطار.

يشرح اللاعب الأرجنتيني لاحقًا ما حدث بقوله: «لقد شاهدت المدافع متجهًا نحوي بسرعة وإصرار، فحاولت أن أقفز مبتعدًا عنه، لكنّني لم أنجح». يسقط صاحب القميص الأصفر على الأرض بصحبة ديل أورنو، فيتحلّق بقية اللاعبينَ حولهما متسبِّبين في جلبة. وفي هذه الأثناء، يدخل روبن وغوديونسن في جدال مع الحكم المساعد. يحدث احتكاك بين ديكو، ورونالدينو بديل أورنو. ثمّ يوشك بويول أن يدخل في عراك بالأيدي مع روبن. يحاول موتا وأدميلسون تهدئة الأجواء. يتجادل جون تيري مع الحكم النرويجي تيري هوغ، بينما يهمس

رونـي بشيء في أذن هذا الأخير. ثـمّ تأتي البطاقة الحمراء، فيحتج ديل أورنو، ويصفِّق موتا، ويعترض ماكيليلي.

تُستأنَف المباراة من جديد، في حين يحاول مورينيو إعادة ترتيب أوراقه؛ فيسحب جو كـول، ويُقحِم الظهير الأيمن جيريمـي، ويُغيِّر موقع فيريرا، بحيث يتمكّـن مـن مراقبة ميسي. ولكـن، لا شيء يتغيّر؛ فلا العنـف ولا الضرب الذي تعرّض له اللاعب الشاب أثَّر في عزيمتـه وحماسه، فيستمرّ في السيطرة على اللقـاء؛ لا يهـدأ، ولا يلقي بالًا لحنق لاعبـي البلوز، ويستمر فـي أدائه الملحمي المنفـرد. ثمّ نراه يُقوّي دعائم الجهة اليمنى من الملعب، صانِعًا فرصًا خطيرة لزميليه ديكو ورونالدينو، لكنّهما يفشلان في استغلالها.

يعانـي ليـو عزلة شديدة، ويفشل فـي إحداث تأثير ملموس دون دعم من رفاقـه. في غضون ذلك، نرى تشيلسي (المنقوص العدد) يلتزم بالخطة التي رسمهـا مدرِّبه بحذافيرهـا: «أريد التعـادل السلبي وحسـب». لديهم الآن عذر مناسـب للتمترس والتموضع في منطقتهـم الخلفية وتحيُّـن الفرصة للهجوم. تشيلسـي يسيطر على المبـاراة، ولا ينتظر كثيرًا قبـل أن يُترجِم تلك السيطرة لمصلحتـه. يتقدّم الفريق الإنجليزي في الدقيقة الثامنة والخمسين بعد الدعم الـذي حصل عليه بدخول دروغبا فـي الشوط الثاني. موتا يحوِّل الكرة خطأً في مرمـاه عند محاولتـه إبعاد الضربة الحـرّة التي نفَّذها لامبـارد. على البارسا قلب الطاولة الآن. ومـرّة أُخرى يظهر ميسي باذلًا أقصى جهده، ومُحمِّسًا بقية أفراد الفريق، ومُتجاهِلًا صافرات الاستهجان التي تطلقها الجماهير كلّما لمس الكرة. يتجاوز الدفاع بسرعة، ويُهيِّئ تمريرات رائعة، لكن لا أحد في الاستقبال. يركن تسديدة خفيفة من على حافة منطقة الجزاء، لكنّها تلمس القائم الأيسر للحارس وتخرج. يقف مصعوقًا، ثمّ يرتسم على مُحيّاه تعبير مليء بالسخرية،

كأنّـه يسأل نفسه: ماذا عليَّ أن أفعل أكثر مـن ذلك؟ إنّه الأكثر عزيمة، وأخيرًا يستمد الفريق بعضًا منها، فيساندونه.

يقلب تيـري الموازين لمصلحة البارسا في الدقيقـة السبعين حين يُحوِّل الركلـة الحرّة التـي نفَّذها رونالدينو فـي شباك بيتر تشيك، ويعـادل النتيجة. بعدهـا يبـدأ البارسـا بلعب كرة قدم حقيقيـة، وصنع فرص. يظهـر ميسي من جديد، يُمرِّر تمريرة ذهبية للارسون الذي دخل محلّ موتا. بعدها بثلاث دقائق، يرتمـي تيري على الأرجنتينـي داخل منطقة الجزاء؛ لمنعه مـن السيطرة على الكـرة. هل هنالك ركلة جزاء؟ الحكم لا يُعلِن عـن شيء. وفي الدقيقة التاسعة والسبعين، يُحوِّل إيتو برأسه تمريرة من ماركيز إلى داخل الشباك. لقد نجحوا.

كانـت تلـك أول هزيمة يتعرّض لهـا فريق جوزيه مورينيو علـى أرضه من أصـل (49) مبـاراة (38 فوزًا، و11 تعادلًا). لكنّه لا يتقبّـل ذلك على نحوٍ جيد؛ فيلقـي باللوم علـى الحكم وليو، قائلًا: «هل أنا ممتعض من طرد ديل أورنو؟ هل شاهدتـم المباراة؟ أنا أخالـف أصحاب القرار الرأي، اكتـب ذلك إن شئت... لكـن، ماذا عسانـا نفعل؟ نطالبهم بالتراجع عن البطاقـة الحمراء التي تلقّاها ديل أورنـو؟ أو إيقاف ميسي بتهمة التمثيل؟ لم يُغيِّر شيئًا من النتيجة... فلنكن صريحينَ، لقد قـام ميسي بالتمثيل. كاتالونيا بلاد تعج بالثقافة، وأنتم تعرفون ذلك. وقد تردّدت على المسارح كثيرًا، ولمست مستوى الأداء المتميِّز لديهم في التمثيل. لقد تعلَّم ميسي من الأفضل...».

وفي المقابـل، قال إيتو: «من الواضح أنّ كلّ مَن يدّعي أنّ ميسي كان يُمثِّل لم يشاهـد ما حدث فعلًا». ويُصِرّ ريكارد على ذلك قائلًا: «لقد كانوا يضربونه مـن كلّ حدب وصـوب». أمّا ميسي فقـال ببساطة: «أعاني جرحًـا على مستوى الركبـة، وآخـر في الفخذ، وآخر فـي قدمي. وأعاني كدمات فـي مختلف أنحاء جسمي، لكنّني لا أشعر بالألم؛ لأنّنا فزنا. لقد كانت حقًّا مباراة خارقة».

يتفق الآخرون على احترام المجهود الذي بذله، بَدءًا بزملائه الذين يعانقونه وهو يَهِمّ بمغادرة الملعب، وانتهاءً بأنصار النادي الذين جاؤوا إلى لندن، وأخذوا يـرددون اسمه. ثمّ تنهال عليه الأوصاف في اليوم المقبل كالمطر؛ فتارة يتحدث أنصاره عن «التفاني»، وتارة عن «العبقري»، وأُخرى عن «اللاعب الماهر»، و«كنز البارسـا»، و«ولادة نجم عظيم»، و«الأفضل»، و«الأشجع»، و«الأفضل في المباراة». يقارَن أداء ميسي – بالنظر إلى سنّه وهدوء أعصابه- بأداء بيليه في بطولة كأس العالَم عام 1958م التي أقيمت في السويد، وبأداء مارادونا في بطولة كأس العالَم للشبـاب عام 1979م، وبأداء كرويف في المباراة التـي خاضها فريقه أمام فريق بنفيـكا عام 1969م، وبجـورج بست. لقد كان يتلقّى المديح مـن كلّ مكان، وكأنّه اجتاز امتحان الرجولة بسهولة وتفوّق، وهو أمر استمتع به الفريق بالمعية.

أُقيمـت مباراة الإيـاب بكامب نو فـي السابع من شهـر آذار. وفيها تمكّن ميســي من انتزاع الكرة من روبن في الدقيقة الثالثة والعشرين، لينطلق بعدها، لكنّـه يضع يده على ركبته اليسرى فجأة، ثمّ يقع على الأرض. قال لاحقًا: «كنت قـد أحسست بألم بعد الاصطـدام بويليام غالاس، لكنّني قرّرت إكمال الهجوم. وبعد ثوانٍ معدودة أدركت أنّني لا أستطيع ذلك».

لـم يتعرّض ليو، وقتئـذٍ، لأيّ خشونة فـي التعامل أو ضـرب من الخصم، لكنّـه كان مُلقـى علـى أرضية الملعب. إنّـه متجهّم من شدّة الألـم، يداه تثبتان شعـره من الخلف، وتغطيان وجهه؛ كي لا يرى أحـد نظرة الخوف التي اعترته. يُطبِـق الصمـت على الجمهور. ثـمّ يناظِر زمـلاؤه بعضهم بعضًـا بحزن. وفي نهايـة المطاف، يغادر أرض الملعب منفعـلاً، ويحضنه ريكارد في موقف يزخر بالمشاعـر الجيّاشـة. إنّها لحظـة مؤثّرة في لاعـب ينال تصفيـق تسعين ألف مشجـع في كامب نو؛ لا نظير شفقة، بل لأنّـه مهندس الانتصار الذي تحقّق في ستامفورد بريدج.

هنـاك تمـزُّق بمقـدار أربعـة سنتيمتـرات في الجـزء العلوي مـن عضلة العرقـوب اليسرى. يقول أطباء النادي: إنّ عملية الشفاء ستستغرق مدّة تتراوح مـن أربعة إلى ستة أسابيع. لكنّ الحـظ يجانِب ميسي؛ فعندما حان وقت عودته إلـى الملاعب، ظهرت مشـكلات جديدة في الموضع نفسه، وهـو لايزال يحسّ بألـم. كان مـن المفترض أن يلعب أمام فياريال، لكنّه لم يتمكّن من ذلك، وكذا أمـام ميلان في نصف نهائي دوري الأبطال، لكنّه لن يكون موجودًا آنذاك. وقد طـال الأمر ليصل إلى تسعة وسبعين يومًا من دون لعب، وهو الآن يشاهِد نهائي دوري الأبطال من على المدرّجات.

كان هنالك حديث عن إمكانية لعبه مدّة قصيرة في تلك المناسبة المهمة التي جمعت البارسا بنادي آرسنال على ملعب فرنسا بباريس، ربّما لبضع دقائق فـي آخر المباراة. ولكن، على الرغم مـن أنّه كان قد تعافى من إصابته بصورة كبيـرة، إلّا أنّ ريكارد لا يخاطـر بالزج به. يفوز زملاؤه فـي المباراة، ويرفعون الكأس للمـرة الثانية في تاريخ النـادي. يشعر ليو بالحـزن والوحدة، ولا ينزل للحصول على ميداليته.

الفصل الحادي والعشرين

جمال أخّاذ

حوار مع سانتياغو سيغورولا، الصحفي في صحيفة ماركا

«جوهـر كـرة القدم يتجسد في جسـم لاعب صغير، فتى فـي سنّ الثامنة عشـرة، ليس مشهورًا كفايـةً، لدرجة أنّه قد يمرّ بجانبك في الشارع من دون أن تلحظـه. اسمه ليو ميسـي، ولدينا الحق كلّه في الاعتقـاد أنّنا في حضرة لاعب استثنائي؛ وهو اللاعب الأكثر تألّقًا منذ سنوات».

كانت تلك السطور الأولى من المقالة التي كتبْتَها في اليوم اللاحق لمباراة تشيلسي وبرشلونة. لماذا أُعجبت بميسي إلى تلك الدرجة؟

«لأنّ أداءه كان مميَّـزًا، وحـوى مختلـف المهارات والأساليـب الفنية التي تسحر المشاهد، وتجعله يتفكّر في الأعجوبة المسمّاة كرة القدم. ولأنّها لم تبدُ كمبـاراة يخوضها فتى في سـنّ الثامنة عشرة، فهو لم يـذق طعم العظمة وأوج الشهـرة بعدُ. في تلـك المباراة، ظهر ميسـي قبل أن يظهـر البارسا؛ فقد كان مفاجئًـا، ماهرًا، سريعًا، عبقريًا، فضـلًا عن إظهاره قدرًا كبيرًا من الشجاعة. لقد كان نجم المباراة الذي صنع الفارق، وحقّق الفوز فيها. لقد بهر الجماهير، وكان أداؤه من أفضل ما رأيْتُ طوال حياتي».

وهل رأيت كثيرًا من اللاعبين هناك؟

«رأيت مارادونا حين كان في أوج عطائه، ورأيت راؤول في أول ظهور له... لكن، لا أحد من اللاعبينَ الذين سبق لي رؤيتهم في الملعب كان بمثل تلك القوة والشجاعة».

ما الصفة التي لفتت انتباهك أكثر؟

«السرعة ولا شكّ. فالكل يرغب أن يكون سريعًا في كرة القدم الحديثة، لكنّ السرعة تؤدي إلى الاصطدام. يبهرني ميسي في كيفية قدرته على اتخاذ كثير من القرارات بسرعة كبيرة دون أن يخطئ... نعم، قد لا يملك مخيّلة مثل التي كانت لدى رونالدينو، أو اللاعبينَ البرازيليينَ العظماء، وقد لا يملك بصيرة مارادونا وأسلوبه في اللعب، لكن لديه جمال فائق للصوت».

هل هناك أيّ صفات أُخرى؟

«إنّه اللاعب الوحيد القادر على حسم المباراة بصرف النظر عن مكان وجوده في الملعب. وقد أثبت ذلك في المباراة التي جمعت فريقه بفريق سرقسطة؛ فقد كان في منتصف الملعب، وظهره صوب المرمى، لكنّه تمكّن من التسجيل في نهاية المطاف. إنّه أفضل مَنْ رأيتُ إذا تحدثنا عن الالتفاف، حتى إنّه أفضل من مارادونا. يستطيع المراوغة، ويلعب الكرة بأسلوب واحد- اثنين، ويمكنه التهديف بسهولة... إنّه نتاج أكاديمية عالمية جديدة ترعى اللاعبينَ الشباب. إنّه يمثّل نموذجًا مثيرًا للاهتمام؛ فجذوره الأرجنتينية حاضرة باستمرار. ولكن، في الوقت نفسه، فهو ينتمي إلى ثقافة وأسلوب لعب خاصّيْنِ بمدرسة برشلونة بامتياز. إنّه مثال حيّ على الأداء الرائع الذي حقّقه نادي برشلونة في أكاديمية الشباب منذ قضية بوسمان».

كيف تغيّر ميسي عقب المباراة؟

«إنّــه لم يتغيّر، ولكنّه أصبح أكثر أهمية. فميسي الآن أحد قادة كرة القدم في نادي برشلونة، وإنه يقود منتخبه الوطني أيضًا».

ماذا تتوقّع أن تحمل السنوات القادمة له؟

«مــا يقلقني هو إمكانيــة أن يخسر ميسي سرعته. فمــاذا سيحدث عندما يتقــدّم بــه الزمن. وما مدى تأثيــر ذلك في تماسكه وسرعتــه؟ لا أعرف... هل سينتهــي به المطاف مثل رونالدو الذي أصبح يظهر بصورة أقل في المباريات، ولا يستطيــع الركض أكثر من عشرين متــرًا؟ من الصعب التكهُّن بما سيحدث، وبتأثير ذلك في الجوانب المادية والمناحي التجارية. لطالما أثّرت الشعبية في اللاعبيــنَ. إنّها تفرض عليهم أن يكونوا الأفضل في العالَم في كلّ لحظة. وذلك أمر مستحيل؛ فاللاعب العظيم هو مَنْ يعرف حدوده».

إذن، فالخطر الحقيقي - في نهاية المطاف- يكمن في الإعلانات والغرور؟

«لا أعتقــد أنّ اللاعبينَ جاهــزون للتعامل مع الضغط الهائل الذي تصنعه الصحافــة، والنقّــاد، والنجــاح، والمجد والشهــرة، والسفــر، ومطالب الرعاة التجاريــة. قد تكون تلك عوامــل ملهية، وقد تجعلك تركن إلــى روتين يومي في اللعــب. لــذا، يتعيّن على لاعبي كــرة القدم معرفــة أنّ الأمر يشبــه الاصطدام بشاحنــة، حقًّا، إنّه أمــر صعب. أصعب من بعض ركلات آسيير ديل أورنو على ملعب ستامفورد بريدج».

الفصل الثاني والعشرون

صعب جدًّا

حوار مع أسيير ديل أورنو

مدافع، وُلِد في التاسع عشر من شهر كانون الثاني عام 1981م، في منطقة باراكالـدو التابعة لمقاطعـة فيسكايـا الباسكية. وفيما يأتـي بطاقته (وصفه) التعريفية:

الطول: 1,81 متر. - الوزن: 72 كيلوجرامًا.

الظهـور الأول: التاسع مـن شهر أيلول عام 2000م، في مبـاراة ديبورتيفو أمام أتليتيكو بلباو (0-2).

السجلّ الرياضي:

- 1999م-2005م: نادي أتليتيكو بلباو.
- 2005م-2006م: تشيلسي.
- 2006م-2007م: فالنسيا.
- 2007م-2008م: أتليتيكو بلباو.
- 2008م-2010م: فالنسيا.

- 2010م: ريال بلد الوليد.
- 2010م–2011م: ليفانتي.
- عشر مباريات دولية مع المنتخب الإسباني.

الألقاب:

الدوري الإنجليزي، موسم (2005م–2006م).

الدرع الخيرية الإنجليزية، عام 2005م.

تلك هي سيرته الذاتية، لكنّ الظهير الأيسر السابق لنادي تشيلسي لديه المزيد ليقوله.

ما الذي حصل في مباراة ثمن النهائي من دوري الأبطال لموسم (2005م – 2006م) بين تشيلسي وبرشلونة على ملعب ستامفورد بريدج؟

«لقد كانت مباراة خاصة بالنظر إلى ما حصل في الموسم السابق؛ إذ كانت الأجواء مشحونة، وكان باستطاعة الجميع الشعور بذلك. كنّا واثقين جدًّا من أنفسنا؛ فمورينيو قد هيّأنا لتلك المواجهة بكل تفاصيلها، في محاولة للتصدي لأيّ من مناورات البارسا. كان لدينا لاعبونَ أمثال ماكيليلي ولامبارد وإيسيان في منتصف الملعب، يعملون على تأمين الحماية لخط الدفاع، لكنّ ميسي تمكّن من اختراقه مرارًا. وقد واجهْتُه مرّتين أو ثلاث مرّات، وحاولت إيقافه بكلّ ما أوتيْتُ من مهارة وخبرة».

هل فاجأك ميسي؟ فلربّما لم تكن تتوقّع أن تواجه صبيًّا بمثل تلك المهارة؟

«هنالك دائمًا لاعب يسبِّب متاعب على غير المتوقّع في كلّ مباراة».

ارتكبْتَ خطأً في حقّه في الدقيقة الحادية والثلاثين، نلْتَ على إثره بطاقة صفراء. هل كان ذلك بسبب شيء ارتكبه ضدك؟

«لا، لقد كان مجرّد حادث عابر في أثناء المباراة. بصراحة، لا أذكر التفاصيل».

هل يمكن تصنيف ميسي من المهاجمينَ الذين يتعمّدون استفزاز المدافعينَ؟

«لا، إنّه لا يقوم بذلك. فهو لا يقول شيئًا على الإطلاق. تحدث الكثير من محاولات الاستفزاز بين المهاجمينَ والمدافعينَ، لكنّه لا يتبع ذلك الأسلوب أبدًا».

لننتقل إلى الحديث عن الدقيقة السادسة والثلاثين من الشوط الأول.

«كان ميسي قد مرَّر الكرة من بين قدمي روبن بجانب الراية الركنية. وقد حاولت التصدي له، لكنّه نجح في تجاوزي. رأيته بعدها يتلوّى على الأرض، فقام الحكم بطردي. كان ميسي دقيقًا وذكيًّا؛ ما جعل الأمر يبدو كأنّه تدخُّل خشن جدًّا، لكنّه في الواقع كان لا شيء».

إذن، كان جوزيه مورينيو محقًّا عندما صرَّح بعد المباراة بأنَّ ليو مَثَّلَ على نحوٍ متقن؟

«لقد بالغ ليو من دون شكّ».

دعنا من حديث الماضي، ولنتحدث عن صفات ميسي من وجهة نظرك بوصفه ظهيرًا أيسر.

«إنّ ما يميِّز ميسي هو قدرته على التقدّم بالكرة إلى الأمام بصورة فائقة سريعة، كأنّها ملتصقة بقدمه. وتمنحه سرعته القدرةَ على تغيير الاتجاه، ومفاجأة اللاعب الموكل بمراقبته في تلك اللحظة تحديدًا».

كيف يمكن إيقاف ميسي؟

«الأمر معقَّد؛ صعب، صعب جدًّا. ويعتمد ذلك على الموقف الذي تواجهه، والوحي الذي ينزل عليه... إذ من الصعب إيقافه عندما يراوغ من خط الجانب باتجـاه منتصف الملعب. فهـو يمتلك السرعة والمهارة، اللتيْـنِ تُشكِّلان مأزقًا كبيرًا لأيّ مدافع».

هل من نصيحةٍ لزملائك معشر المدافعينَ؟ «لا أعرف... كلّ ما أستطيع قولـه هو إنّه يتعيّن على المدافعينَ عدم تـرك مسافات بين بعضهم بعضًا، وأن يكونوا عدّائينَ سريعينَ، وينتبهوا إلى تمركزهم».

الفصل الثالث والعشرون

ولا دقيقة واحدة

الثلاثون من حزيران عام 2006م

يوجد عدد من اللاعبينَ الآخرين الذين سطع نجمهم في أعالي السماء، وعلى رأسهم رونالدينيو؛ إذ يعتقد المراقبون والجمهور أنّه سيكون الأفضل. ويتوقّع الكثيرون أن يُتوَّج بلقب أفضل لاعب في بطولة كأس العالَم، إلى جانب فوزه بلقب الهدّاف؛ فغالبية المدرِّبينَ واللاعبينَ، والصحف وقنوات التلفزة، تُرشِّح البرازيل لخطف اللقب، ناهيك عن أسباب أُخرى. يُعَدّ الرهان على لاعب البارسا صاحب القميص رقم (10) منطقيًّا ومضمونًا؛ فقد أنهى توًّا موسمًا رائعًا، تُوِّج خلاله بجائزة الكرة الذهبية لأفضل لاعب في العالَم، عدا لقب الدوري الإسباني، ودوري أبطال أوروبا مع ناديه. كلّ ما تبقّى عليه فعله ليُتوَّج ملكًا لكرة القدم، هو الفوز بكأس العالَم للمرّة الثانية في مسيرته.

يوجد أيضًا لاعبون آخرون يُنتظَر منهم الكثير، أمثال زميل ليو في الفريق؛ رونالدو الذي يتوقَّع أن ينتفض مرّة أُخرى؛ وديفيد بيكام اللاعب الألمعي في عالم كرة القدم؛ وزيدان الذي يخوض آخر تحدٍّ له في مسيرته الكروية. ويوجد لاعبون منافسون لهم. ولكن، بدرجة أقلّ، مثل: فيغو، وبالاك، وتوريس، وفان نيستلروي، وديل بييرو.

وفيمـا يخصّ المنتخب الأرجنتيني، فالاسم الذي يتردّد على كلّ لسان هو خوان رومـان ريكلمي؛ البالغ من العمر الثامنة والعشرين، والمولود في بوينوس آيرس، وهـو لاعب وسط مهاجم في نـادي فياريال، ولم يسبق لـه الفوز بكأس العالَم من قبل، ولكنّ ذلك لم يمنع خوزيه بكرمان من وضع كامل ثقته به.

بني منتخب الإلبيسيليستي حول ريكلمي، كما اعتمد أداء المنتخب على ما يبذله من مجهود في المباراة. إنّه من نوعية اللاعبينَ الهادئينَ، وتتمثَّل مهمته في قيادة الفريق. لذا، يتعيّن عليه أن يكون صُلبًا، وأن يُبدِع في اللعب، فضلًا عن التحرُّك بين خطوط الفريق؛ لتزويد المهاجمينَ بالتمريرات الحاسمة.

أمّـا ميسي فهـو ينتمي حاليًّا إلى فئة نجوم الصـف الثاني، أو بالأصح إلى اللاعبيـنَ الشبّـان الواعدينَ. وقد نُصِّـب كمارادونا الجديـد، وينبغي أن يكون كأس العالَـم فرصته السانحة لمفاجأة العالَم أجمع وهو لايزال في سنّ الثامنة عشرة، وذلك بعدما اشتُهِر عالميًّا عقب مباراة ستامفورد بريدج.

اختاره المشجعون إلـى جانب البرتغالي كريستيانـو رونالدو والإكوادوري لويـس فالنسيا، من ضمن سـتة لاعبينَ مرشحينَ لجائـزة أفضل لاعب صاعد فـي كأس العالَم (رُشِّـح الثلاثة الآخرون من الفيفا، وهـم: سيسك فابريغاس، والسويسـري ترانكويلـو بارنيتا، والألمانـي لوكاس بودولسكـي). وقد مُنِح هذا اللقب أول مرّة في الأول من شهر كانون الثاني عام 1985م. وكان يتعيّن على أيّ لاعـب يودّ المنافسة، الظهور على الملاعب الألمانية، وإثبات قدراته في مجال: الأسلوب، والشخصية، واللعب النظيف، والشغف بكرة القدم.

يريد الأرجنتينيون رؤية ميسي في التشكيلة الأساسية، وهم يعلّقون آمالهم كلّهـا عليه؛ إذ يريدون تأكيـدًا للقصص الرائعة القادمة مـن أوروبا عن خليفة مارادونـا، ويريدونـه متجسّدًا في قميص المنتخب الوطنـي. فهم يحلمون منذ

أيـام الفتى الذهبي (لقـب مارادونا) بقدوم لاعب متميِّـز؛ لاعب ساحر مبدع، يحبّونـه ويمجِّدونه بالطريقـة نفسها التي أحبّوا بها دييغـو ومجّدوه، وما زالوا. وكان هـذا الأخير قد طالب منـذ أشهر بمنح ميسي القميصـ رقم (10)، وهو قميص كان قد سُحِب من الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم؛ تكريمًا لمارادونا.

صحيـح أنّ ليـو ترعرع بعيدًا عن بلده، لكنّه عاد فـي الأشهر الأخيرة، بعد تعافيـه مـن الإصابة التي لحقت به في مباراة فريقه أمـام تشيلسي؛ إذ أُتيح له الوقت للظهور، والقيام بمقابلات، وتصوير إعلانات تتعلّق ببطولة كأس العالَم. وقـد راهنـت شـركات أرجنتينيـة وعالمية عليـه؛ للاستفادة من هـذا الحدث العالمي. وكانت أديداس إحدى تلك الشركات، حيث قامت بإلصاق صور كبيرة تحمـل صوره على مبانٍ عملاقة، بَدءًا بروما، ومرورًا ببرلين، وانتهاءً ببوينوس آيرس.

حظي ليو بشهرة واسعة – عشيّة انطلاق البطولة– فاقت ما حظي به جميع زملائـه في الفريق؛ مـن ناحية ترويجية على الأقلّ. لا شـكّ في أنّه حصل على تغطيـة إعلامية أكثـر ممّا ناله أيّ عضـو من أعضـاء الإلبيسيليستي الآخرين. ولكـن، من شأن ذلك الترويج إيجـاد الغيرة، وهو أمر يُعَدّ عائقًا آخر أمام تقبُّل اللاعب الصغير بوصفه أحد أعضاء فريق بكرمان.

ناصـب أعضاء الفريق العداء لميسي أخيرًا؛ مـن جرّاء نجاحه في بطولة كأسـ العالَـم للشباب. ففـي مباراته الأولى مـع المنتخب الوطنـي الأول، التي أُقيمـت في بودابست علـى الملعب المُسمّـى فيرينك بوشكاشـ تكريمًا للاعب المجري الشهير، يوم السابع عشر من شهر آب عام 2005م، وكانت مباراة ودية أمـام المنتخب المجري؛ يدخل ليو بديلًا لماكسي لوبيـز في الدقيقة الخامسة والستيـن، إلّا أنّه لـم يمكث على أرضـ الملعب سوى أربعين ثانيـة فقط؛ فعند

لمسته الثانية للكرة، قام بمراوغة فانزاك، لكنّ هذا الأخير مسكه من قميصه الجديد ذي الرقم (18)، فرفع ميسي ذراعه محاولًا التملُّص من خصمه. عندئذٍ، حدث التصادم، وأصابت ذراعه وجه المدافع. ولم يتردّد الحكم الألماني ماركوس ميرك في إشهار البطاقة الحمراء له بداعي ضربه الخصمَ بمرفقه.

لاعبو المنتخب الأرجنتيني لا يصدّقون أعينهم، فزميلهم الصغير يُطرَد في أول ظهور دولي له. لم يتخيّل ليو حدوث ذلك، وسيُمضي ما تبقّى من زمن المباراة، وهو في حالة بكاء شديد. يعتقد مدرِّبه وزملاؤه في الفريق أنّ الحكم قد بالغ في قراره، لكنّ كلمات المواساة تلك لم تُجدِ نفعًا معه.

بعد الظهور الأول المرير، سيخوض ليو مباريات جديدة من شأنها مساعدته على نسيان مسألة الطرد، والانسجام أكثر مع الفريق. لكنّ ذلك ليس أمرًا سهلًا. فالأمر جلي وواضح؛ إذ تغلِب على ميسي صفة الخجل، وهو لا يتحدث إلى زملائه، أو إلى الطاقم الفني إلّا نادرًا.

توجد مواقف كثيرة تُثبِت ذلك الأمر. فعلى سبيل المثال، حين دعا المدرِّب أعضاء الفريق إلى حفل شواء أرجنتيني تقليدي، في أثناء وجودهم بمعسكر مدريد؛ بغية زيادة الترابط والألفة بينهم، لم ينبس ليو ببنت شفة، ولا حتى لطلب بعض اللحم. لقد كان صمته باديًا للعيان، وباعثًا على القلق. حتى إنّ ميسي لا يخرج عن صمته للقيام بالواجبات والمهام الرسمية المتوقّعة منه.

حادثة أُخرى تؤكِّد هذا الأمر؛ فقد كان من المتعارف عليه في عيد الميلاد، أن يَحضر اللاعبون لزيارة مدرِّبهم بعد قضاء بعض الوقت مع عائلاتهم، لكنّ ميسي لم يحضر. يضاف إلى ذلك أنّ الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم يجد دائمًا صعوبة في معرفة مكان وجوده.

وعــلاوة على ذلــك، لا يلتزم هــذا الفتــى بالتسلســل الإداري للفريق، ولا بالأعــراف التي تُعَــدّ أساسية في كرة القدم الأرجنيتينة. إنّــه ليس متمرّدًا، ولا مثيرًا للمشكلات، ولا يقصد شيئًا من تصرفاته، إنّه كذلك وحسب. فعلى سبيل المثــال، في التدريبات التي سبقت ظهــوره الأول مع المنتخب، صادف غابرييل هاينــزه وجهًا لوجــه. وقد تكرَّر هذا الأمــر أكثر من مرّة، لكــنّ ميسي تجاهله. فيبــدأ هاينزه، المدافع الحالي لنــادي أوليمبيك مرسيليا، بالغليان، ويوشك أن ينتقــم لكبريائه المجــروح. عندئذٍ، يضطر بكرمان إلــى التدخُّل لحماية الفتى الصغيــر، وكبرياء أحد لاعبيه. تلك حادثة ستتكرّر مــع لاعبينَ آخرينَ في مقرّ إقامــة الفريق بمدينة نوريمبيــرغ الألمانية. أقلّ ما يمكــن أن يقال عن أسلوب لاعــب برشلونة الشاب: إنّه خالٍ من الاحترام. ولكن، بصرف النظر عن مسألة الطرائق المتعارفة والضاربة في القدم، فعلينا التنويه بأنّ ميسي لايزال صغيرًا جــدًّا. فبمقارنة بسيطة، حتى مارادونا لم يُخْتَر ضمن تشكيلة المنتخب الوطني المشــارك فــي بطولة كأس العالَم لعــام 1978م، بقيادة كارلوس بيلاردو (ورد خطــأ اسم سيــزار بيلاردو، وربّمــا اختلط الأمــر على الكاتب، فظنّــه المدرِّب سيــزار مينوتــي الفائز بكأس العالَم عــام 1986م رفقة المنتخــب الأرجنتيني) عندما كان في سنّ الثامنة عشرة، على الرغم من أنّه كان نجمًا صاعدًا. ميسي الآن في ألمانيا. ولكن، ينبغي للمرء تذكُّر أنّ المنتخب الأول المشارك في بطولة كأس العالَم، لم يضم في صفوفه لاعبًا في الثامنة عشرة منذ ثلاثينيات القرن الماضي.

هنالــك درس كان يتعيّن على اللاعبيــنَ الذين جلسوا طواعيــة على دكّة البدلاء أن يتعلّموه؛ هو ضرورة حماية المواهب الصاعدة بأيّ ثمن، وعدم إلقاء ثقــل الهزيمة على كاهلهم. فقد يُشكِّل ذلك خطــرًا عليهم، خاصة أنّ التاريخ - في مثل هذه الحالة- لا يرحم أحدًا.

فعلت الإصابة التي تعرّض لها ميسي في السابع من شهر آذار الشيء نفسه؛ فعلى الرغم من تحسُّن حالة ميسي ظاهريًا، ولعبه كثيرًا من المباريات الودية قبل بطولة كأس العالَم، إلّا أنّ بعض المطلعينَ رأوا أنّه لايزال يعاني مشكلات عضلية. أمّا بالنسبة إلى حالته النفسية فميسي سعيد بخوض تجربته الأولى ببطولة كأس العالَم. لذا، نجده يؤكّد في تصريحاته التي تسبق البطولة ما يقوله الجميع: البرازيليون، بقيادة زميله رونالدينيو، هم المرشحون لنيل اللقب، «لكن لدينا فريق جيد نحن أيضًا. يضم المنتخب الوطني لاعبينَ رائعينَ جدًّا. طبعًا سنتعامل مع الأمر خطوة خطوة، وستكون لكلّ مباراة أهميتها. سنواجه خصومًا أقوياء، وستكون المباريات كلّها معقَّدة. لكنّني أُومن بأنّ الأرجنتين قادرة على الفوز ببطولة كأس العالَم».

أوقعت القرعة منتخب الإلبيسيليستي في المجموعة الثالثة، التي سُمِّيت بمجموعة الموت منذ بَدء هذه العملية، وهي تضم ساحل العاج، وصربيا ومنتينيغرو، وهولندا. لن يكون المشوار سهلًا، خاصة أنّ الكارثة التي وقعت في بطولة كأس العالَم السابقة، في كوريا الجنوبية واليابان، ما زالت حاضرة في الأذهان.

تقام المباراة الأولى أمام ساحل العاج في العاشر من شهر حزيران، الساعة التاسعة مساء في مدينة هامبورغ. يُذكَر أنّ ميسي أُصيب بكدمة خلال حصة تدريبية قبل ذلك بخمسة أيام، ما جعل مشاركته في المباراة أمرًا صعبًا. لذا، قرَّر المدرِّب إراحته والإفادة منه في المباريات القادمة، فهو - بعيدًا عن كلّ شيء - غير مقتنع أنّه مستعِدّ للعب بما نسبته 100٪. حتى إنّ المدرِّب قال: «لا نَعِد بأمر قد يجعلكم تتوقّعون أيّ شيء. لقد لمسنا تطوّرًا مع كلّ حصّة تدريبية. حالته تتحسّن شيئًا فشيئًا. نحن ممتنون للجهد الذي بذله كي يتمكّن من الحضور معنا إلى هنا».

لا يـزال ميسي حبيس الدكّة، وهو يشاهد كريسبو يسجّل هدفه الدولي رقم (30)، بعـد أن مارس هوايته في استغـلال الفرص. ثمّ نـراه يراقب مجريات الأمور باهتمام، خاصة حينما ينزل الإلهام على ريكيلمي؛ إذ يرسِل هذا الأخير تمريـرة دقيقة على الرغـم من أنّه يلتفـت ناحية المدرّجات. ويـرى (الأرنب) سافيـولا، غير المراقب يحوِّل التمريرة بلمسة واحـدة إلى هدف خدع الحارس تيزييه. يواصل ميسي مراقبة الأفيال (لقب منتخب ساحل العاج) وهم يحاولون العـودة إلى المباراة، ويصنعون الفرصة تلو الأُخرى. ولكن، من دون أن يتمكّنوا مـن التسجيـل، إلّا أنّهم نجحوا في ذلـك قبل نهاية المبـاراة بقليل؛ بهدف من دروغبـا كالعادة، ونجحوا في اختـراق الدفاع الأرجنتيني الـذي يقوده المتميِّز أيالا، لتنتهي المباراة بفوز الأرجنتين (1-2).

لقـد كان أداء الإلبيسيليستي مبشِّرًا، حتى من دون ليو. يعلِّق بكرمان على المباراة قائلًا: «كرة القدم بالنسبة إليَّ لا تتغيّر. أتوقّع أمورًا معيّنة من فريقي، وأنـا هنـا لا أتحدث عن رغبات بحتة، بل أحلِّل مجريـات الأحداث فحسب. لقد قدَّمْنا أداءً جيدًا تميَّز بالتركيز على الجانب الدفاعي، قياسًا على أنّ تلك كانت مباراتنا الأولى، وتمكَّنّا من إيقاف اللاعبينَ الخطرينَ في منتخب ساحل العاج. صحيح أنّنا لم نقدِّم أداءً متميِّزًا، ولكنّ حقيقة أنّنا لم نفقد أعصابنا كانت أمرًا جيدًا جدًّا».

نقرأ من كلام المدرِّب هذا أنّه راضٍ عن نتائج الفريق حتى هذه اللحظة، ويبدو ذلك جليًّا حينما زجّ بالتشكيلة ذاتها – باستثناء إقحام لوتشو غونزاليس مـكان إيستيبان كامبياسو- في المباراة الثانية أمام منتخب صربيا ومنتينغرو، مـع أنّ هـذه الأخيرة خسـرت مباراتها الأولى أمـام هولنـدا، وأنّ المدرِّب كان يَعُدّها المنافس الأصعب في المجموعة.

أُقيمت المباراة في السادس عشر من شهر حزيران في مدينة غيلسين كيرشن، وميسي على الدكّة مرّة أُخرى. يجلس كارلوس تيفيز إلى جانبه، وينتظر خمسًا وستين دقيقة، يشاهِد في أثنائها فريقه وهو يسجّل ثلاثة أهداف، ثمّ يسأل نفسه: كم هدفًا كان سيُسجِّل لو قُدِّر له أن يلعب؟

ينهض بعدها على قدميه، مرتديًا القميص الأصفر العاكس، ثمّ يقوم بعمليات الإحماء على الخط. الإحماء علامة مبشِّرة، إلّا أنّه يعود إلى مقاعد الدكّة، ملتزِمًا بتعليمات المدرِّب وإيماءاته، وأخيرًا يَسمح له هوغو توكاللي، مساعد المدرِّب، بارتداء القميص الأزرق رقم (19). تسنح أول مشاركة له في بطولة كأس العالَم في الدقيقة الرابعة والسبعين؛ إذ يدخل مكان ماكسي رودريغيز، وينضم إلى التشكيلة رفيقه الشاب الآخر كارلوس تيفيز.

يقوم مارادونا الجالس على مقاعد المدرّجات برفع يديه في الهواء، يصرخ ويشجع ميسي برفقة الآلاف من أنصار المنتخب الأرجنتيني، مردِّدين: «هيّا... هيّا... ميسي... ميسي». ثمّ يرفع أحدهم لوحة تظهر عليها صورة البرغوث وإلى جانبه كأس العالَم. وقد كتب تحتها عبارة «هذا هو حلمي». في حين يلوِّح آخرون بلافتة كُتِب عليها: «إنّه أرجنتيني، إنّه المنقذ». وتلوِّح فتاة صغيرة بلافتة مخاطبة بكرمان: «خوزيه، أشرك ميسي، (أرجوك)»، وهو رجاء تحقَّق أخيرًا.

كان أداء الإلبيسيليستي جيدًا حتى تلك اللحظة، أداء كفيل بإسكات المنتقدين، لكنّ الأمور تتغيّر حين يدخل البرغوث؛ إذ يرغم صاحب الرقم (19) فريقه المستكين على الاستفاقة، ويجعل أفراده يتحرّكون من جديد، ويسرِّعون من أدائهم شيئًا فشيئًا. وما أن يمرِّروا له الكرة، حتى ينطلق كالسهم، وكلّ ما يريده هو وضعها في مرمى الخصم. يذهل الجميع من طريقة تجاوزه اللاعبينَ.

يكسب الفريق ركلة حرّة، فيندفع ميسي بسرعة متّجهًا إلى شمال منطقة الجزاء. وبعد أن يصل إلى خط النهاية، يرفع رأسه، ثمّ يرسِل الكرة إلى القائم البعيد بمحاذاة خط المرمى في زاوية مثالية بالنسبة إلى كريسبو، الذي يتوقّع بدوره ردّة فعل الدفاع الصربي، فيمدّ قدمه ليضع الكرة في المرمى، رافعًا غلّة فريقه إلى أربعة أهداف. وفي الدقيقة السابعة والثمانين، يمرِّر تيفيز الكرة إلى كريسبو، الذي يعيدها بدوره إلى تيفيز، فيقوم هذا الأخير – كان قد سجّل الهدف الخامس – بإمرار الكرة إلى ميسي بمنتهى اللا أنانية. وحينئذٍ، ينطلق ليو من الجهة اليمنى، ثمّ يتخلّص من أحد المدافعينَ، ليضع الكرة بين القائم ويد حارس المرمى. يقف ميسي للإشارة إلى اللاعب الذي أهداه تمريرة الهدف، فيأتي كريسبو مسرعًا ويحضنه، في الوقت الذي جُنَّ فيه جنون الجمهور.

يا لها من بداية رائعة في بطولة كأس العالَم بالنسبة إليه! لكنّه يقلِّل بعد ذلك من الأمر بقوله: «لم أكن أُفكِّر في ظهوري الأول. كنت أُفكِّر في الفوز بمباراة راودتني رغبة شديدة في المشاركة فيها. أصدقكم القول: إنّني لم أُفكِّر بعدُ في أنّني قد شاركت في هذه البطولة، وإنّني حقَّقت اليوم حلمًا».

ماذا الآن؟ على بكرمان اتخاذ قرار، وحلّ معضلة؛ فقد كتب بيب غوارديولا في صحيفة إل باييس: «تريد البلاد من المدرِّب أن يشرِك ميسي من البداية، لا أن ينتظر حتى الدقيقة الرابعة والسبعين. وإنّ الصحافة، التي تلاحِظ جيدًا صاحبَ الأداء الأفضل من اللاعبينَ، تريده أيضًا. إنّه لاعب ترغب البلدان كلّها والصحافة جمعاء في أن يلعب ضمن منتخباتها الوطنية. إنّه فقط (بكرمان) يعرف ماذا سيفعل بهذا العبقري. لا يوجد شكّ في أنّ ميسي سيؤدي في مباراة كاملة بالطريقة نفسها التي أدى بها خلال ربع ساعة. كان الوضع أمسِ كالأمّ التي تخبِّئ الحلويات جيدًا في مكان بعيد عن ابنها، لكنّها تعطيه منها حين يشرع في البكاء. تلك حيلة مضمونة النجاح، حتى ولو ربع ساعة».

كان القرار سهلًا في نهاية المطاف، وأصبح الوضع أخفّ وطأة؛ فالمباراة الأخيرة في المجموعة الثالثة أمام منتخب هولندا أصبحت أقلّ أهمية؛ إذ نجح الفريقان في التأهّل إلى دور الستة عشر، وما عليهما الآن سوى تحديد المتصدِّر. يمكن لبكرمان الآن اصطياد عصفورين بحجر واحد؛ إشراك ميسي وتيفيز في التشكيلة الأساسية، وإراحة كريسبو وسافيولا وتجنّب حصولهما على بطاقات صفراء، ما قد يعني غيابهما عن الدور القادم. المهم أنّ الجميع راضٍ بذلك، خاصة مَنْ يريد رؤية العبقري الصغير القادم من روزاريو يلعب مجدَّدًا.

إنّه اليوم الحادي والعشرون من شهر حزيران، ومدرّجات ملعب فالدستاديون بفرانكفورت تحفل بالجماهير المحتشدة، التي تترقَّب ظهور ميسي، خاصة يوهان كرويف، وميشيل بلاتيني، وفرانس بكنباور، ولا ننسى طبعًا دييغو مارادونا الذي يرتدي قميص الإلبيسيليستي ولا شكّ. وبعبارة أُخرى، فإنّ صفوة الصفوة من اللاعبينَ الذين شاركوا في بطولات سابقة لكأس العالَم، هم في انتظار ليو.

كان ليو آخر مَنْ نزل من حافلة الفريق، وهو يضع سمّاعتي جهاز الآيبود في أذنيه، وآخر مَنْ بدَّل ثيابه، بعد أن ألقى نظرة على الملعب، وتحدث إلى زميليه في برشلونة فان برونكهوست وفان بوميل اللذيْنِ سيشاركانه اللعب مع المنتخب البرتقالي، وآخر مَنْ بدأ عملية الإحماء.

حان وقت دخول الملعب، وما زال ميسي ينتظر في الصف بمنتهى الاحترام. يرتدي في قدميه زوج أحذية من صنع أديداس، مصمَّم خصيصًا ليتناسب مع هالة الظهور في مثل هذه البطولة. كُتِب على الحذاء اسم ليو، ورُسِمت الشمس التي تُميِّز العلم الأرجنتيني، وعبارة «يد الرب» (قال مارادونا بعد تسجيله هدفًا بيده في مرمى منتخب إنجلترا في كأس العالَم عام 1986م: إنّ يد الرب هي مَنْ سجّلته)، والتاريخ 22 حزيران 1986م.

كان اليـوم اللاحق للمباراة يصادف الذكـرى العشرين لتسجيل مارادونا هدفين في مرمى منتخـب إنجلترا في بطولة كأس العالَم عام 1986م؛ أحدهما باليد، والآخر بالقدم.

كانـت أنظار الجماهيـر مصوَّبة نحـو الملعب، في انتظـار العجائب التي سيصنعهـا ميسي هذه المرّة؛ فإذا استطـاع أن يعيث بدفاع الخصوم دمارًا في غضون ربع ساعة فقط، فمَنْ يدري ما الذي سيفعله في (90) دقيقة. وحتى في حـال لم يُقدِّم أفضل ما عنـده تلك الليلة، إلّا أنّ بإمـكان الجميع الشعور بعِظَمِ التأثير الذي يُحدِثه وجوده.

لعـب ميسي جهـة الجناح الأيمـن في الشـوط الأول، وتولّى تيـم دي كلير مراقبتـه. وقـد تمكَّن من لمس الكـرة إحدى عشرة مرّة، وفقدهـا مرّة واحدة، ومرَّرها سبع مرّات على نحوٍ صحيح. أمّا في الشوط الثاني فقد أخذ يتحوّل إلى الجناح الأيسر، ليصبح تحت رقابة كيف يالينس. ولكنه لم ينجح في لمس الكرة سـوى ثـلاث مرّات فقط خلال ثـلاث وعشرين دقيقة، تمكَّن فـي إحداها فقط من اللعب كما يجب؛ ما دفع بكرمان إلى سحبه من الملعب في الدقيقة التاسعة والستين، ليحلّ خوليو كروز مكانه. كانت الإنجازات متواضعة في تلك المباراة: تسديـدة عاديـة بالقدم اليسـرى، وتمريرة جيـدة أو اثنتـان، إحداهما بالعمق لكامبياسو الذي سددها، لكنّ فان دير سار تصدّى لها بصعوبة، وتمريرة رائعة لماكسي رودريغز، ومناورة (واحد- اثنان) جميلة مع ريكيلمي، سدّدها الأخير، لكنّها حادت عن المرمى بقليل.

كانت تلك المباراة أكثر المباريات ترقُّبًا في الجولة الأولى من بطولة كأس العالَم؛ صدام بين فريقين قويين سجلّهما حافل بالكثير من الإنجازات (أبرزها نهائـي كأس العالَم عـام 1978م)، لكنّـه كان مخيِّبًا للآمال. وقـد صرَّح بعض

الصحفييـن – بمكر ودهاء– بـأنّ الأداء العادي الذي قدّمه صاحب الرقم (19) سيكون أفضل مبرِّر للمدرِّب كي يعيده إلى مقاعد البدلاء، وهذا ما حدث فعلًا.

فـي الرابـع والعشرين مـن شهر حزيـران، الـذي يصادف عيـد ميلاده التاسع عشر، يجلس ميسي على أحد مقاعد البدلاء مشاهدًا مدّة (84) دقيقة. ومنتخـب الأرجنتين لا يؤدي جيدًا هذه المرّة؛ فمنتخـب المكسيك الذي يدرِّبه الأرجنتيني ريكاردو لا فالوبيه يضغط بكلّ قوته. ثمّ يدخل ميسي مكان سافيولا، وكانـت النتيجة تشير إلى التعـادل بهدف لكلّ فريق. وبينما كانت المباراة تتجه نحـو الشوطيّـنِ الإضافييّنِ، غيَّر فتـى البارسا من إيقاع فريقـه، فمنحه العمق المطلوب، وسار بالكرة بين اللاعبينَ، ليبني هجمة أحرز منها ماكسي رودريغز هدفًـا رائعًا. وبذا، وصلت الأرجنتين إلى ربع النهائي بعد مخاض طويل، خلافًا للتوقّعات.

بعد ذلك، واجهت الأرجنتين فريق البلد المستضيف ألمانيا في برلين، في الثلاثيـن من شهر حزيران. وقد لعب منتخب الأرجنتين (120) دقيقة من دون أن يشارك ميسي منتخب بلاده في اللعب، ولو دقيقة واحدة.

لقـد كان ذلك أمـرًا غامضًا، وكانت مباراة مثيرة للجـدل انتهت بخسارة الأرجنتين بفـارق الضربات الترجيحية 2–4 (انتهى الوقـت الأصلي والإضافي بالتعادل 1–1).

لنعد بشريط المباراة الحاسمة هذه إلى الوراء قليلًا؛ لنتعرَّف الحال التي آل إليهـا هذا اللاعـب (حبيس دكّة البدلاء)، الـذي كان يُفترَض أن يلعب دورًا محوريًّا في الفوز ببطولة كأس العالَم.

قام بكرمان بسحب سافيـولا من التشكيلة الأساسية، ووضع تيفيز مكانه، ولعـب لوتشـو غونزاليس ضمـن هذه التشكيلـة؛ إنّهما لاعبان يؤديـان جيدًا مع

الفريــق مــن دون شكّ. وقد اضطر بكرمــان إلى إجراء أول تبديـل في الدقيقة الحادية والسبعين، فسحب باتو أبودنزيري الذي أُصيب بعد احتكاك باللاعبينَ الألمــان العمالقة، وأدخل مكانه ليو فرانكو. ثمّ يأتي الدور بعدها على ريكيلمي؛ فقد «كان متعباً» كما يصف المدرِّب لاحقًا. فيدخل كامبياسو بدلًا منه.

حــاول المــدرِّب إيجــاد تــوازن فــي الفريــق، أو بالأحــرى، ســدّ المنافذ، والمحافظة على النتيجة. فمنتخب الأرجنتين متقدّم بهدف سجّله أيالا بالرأس، إلّا أنّ الفريق أخذ يتراجع إلى مناطقه الخلفية بفعل الضغط الألماني، ويشتكي من الاحتكاكات الخشنة التي يتعرّض لها من اللاعبينَ الألمان.

أجرى المدرِّب التبديل الأخير في الدقيقة التاسعة والسبعين، حيث أدخل كــروز مكان كريسبو، ليسجّــل كلوزه بعدها بقليل هدف التعــادل برأسه. أصبح الوضــع حرجًا جــدًّا، ولا مناص من السرعة والمهارة والإبــداع لتغيير النتيجة؛ إنّها قدرات لا يمتلكها كروز، ولن يستطيع تيفيز الذي لعب المباراة كاملة القيام بهــا من جــرّاء التعب. كانــوا في حاجة ماســة إلى ميســي. وكان هنالك إجماع شعبــي على أنّ مشاركــة ميسي فريقه في تلك المباراة كانــت ستحسم النتيجة قبل التوجّه إلى ركلات الجزاء الترجيحية. لقد كان قادرًا على قلب الموازين لو أُتيحت له فرصة المشاركة.

ولكــن، لمــاذا أحجم بكرمان عــن الاستعانة به؟ لماذا فضَّــل كروز عليه؟ يشــرح المدرِّب هذا الأمر في المؤتمر الصحفي عقــب المباراة، عقب الدموع، والمشاجــرة بين أوليفــر بيرهوف وفرينغز مــن جهة، وكروز مــن جهة أُخرى، وقبــل أن يعلــن استقالته من تدريــب المنتخب؛ إذ يقول: «كنّا فــي تلك اللحظة فــي حاجة إلى مهاجــم يجيد اللعب في منطقة الجــزاء، وميسي لا يحظى بهذه الصفــة. لطالمــا اعتبرنــاه (ميســي) خيــارًا جيدًا، أنــا على ثقة بأنّــه لم يكن

ليخيِّب ظنّنا». وهو أمر يؤكِّده تعليق ساقه المدرِّب ذاته؛ إذ قال: «قد يكون لدى الأرجنتين خيارات أُخرى، لكنّنا لم نتمكّن من استنهاضها». واليوم، يؤكِّد هوغو توكاللـي هذا الطرح بقولـه: «كان علينا مواجهة أسلوب لعب الألمان في الكرات الهوائيـة؛ مـا تطلّب إشراك كروز. كنّا متقدّمينَ بهـدف في مباراة نتحكّم فيها جيـدًا، ونسيطر عليهـا سيطرة كاملة، إلّا أنّ الإصابـة المؤسفة التي تعرّض لها أبودنزيري أفسدت خططنا كلّها».

علـى الرغـم من ذلـك كلّه، فـلا أحد يصـدِّق هـذه المبـرِّرات، فتخرج النظريات واحدة تلو الأُخرى، في محاولة لشرح ما جرى، وهذه أبرزها:

1- عـدم القدرة علـى استشراف مجريـات الأمور: كان فهم بكرمـان للأوضاع خاطئًـا بكلّ بساطة؛ فقد أخطـأ في قراءة معطيات المبـاراة، واتخذ قرارًا متسرّعًا، وأجرى التغيير في غير محلّه.

2- الجهـل بحقائق الأمـور وكُنْهها: فالمـدرِّب وحده هو الذي يعـرف الحقيقة، وسيـدوَّن الموضوع في تاريخ كـرة القدم الأرجنتينية بوصفـه أحد الأسرار المهمـة التـي يحفل بها ذلـك التاريخ، مثل: تعرُّض راتيـن للطرد في بطولة كأس العالَم عام 1966م، في أثناء المباراة التي خاضها الفريق أمام إنجلترا البلـد المضيـف (ادّعى الحكم الألمانـي أنّ هذا اللاعب تعـدّى لفظيًّا على الخصم، مع أنّه (أي الحكـم) لا يجيد الإسبانية). وقضية تعاطي مارادونا للمنشِّطـات فـي بطولة كأس العالَم عـام 1994م. والبطاقـة الحمراء التي وجِّهت إلى أورتيغا في بطولة كأس العالَم عام 1998م.

3- الاستماع إلى إرهاصات بعض اللاعبينَ والعمل بها: فقد خضع بكرمان لرأي بعض لاعبي الفريق الكبار، الذين كانوا منزعجين من الهالة الإعلامية التي حظـي بها ميسي وحـده. وباختصار، فقد كان ميسي يقـول دائمًا: إنّه يريد

اللعب، وذلك أمر لم يعجِب كبار اللاعبينَ أمثال ريكيلمي، والقائد روبيرتو فابيـان أيالا، اللذيْنِ أفصحا عمّا يدور في خلدهما، وطلبا إلى المدرِّب عقد مؤتمـر صحفي. لقـد تمكّنا حقًّا من إقناع المدرِّب بعـدم إشراك ميسي في التشكيلة الأساسية.

4- العـادات والقيم: لم يكن بإمكان بكرمـان التغاضي عن العادات والقيم التي توجِب إشراك كبار اللاعبينَ الذين أمضوا سنوات عدّة من البذل والعطاء.

لن يعـرف أحد أيّ التأويلات تلك هي الصحيحـة مهما حصل. لذا، عمد خوزيه بكرمـان إلى التزام الصمت، وعدم التطرّق إلـى الموضوع، ليجري بعد ذلك بعام مقابلة مع مجلة ماركا الرياضية. وحين تسأل هذه الأخيرة:

1- مـا الـذي حدث مع ميسي؟ ألـم يكن هنالك شيء من النـزاع بسببه؟ يجيب قائـلًا: «إنّني فخور بـه، فأنا مَنْ ضمَّه إلى فريق الشباب دون سنّ العشرين، فـي الوقت الـذي لم يكن يعرفه أحـد. مشكلتنا نحـن الأرجنتينيين هي أنّنا نؤمن بـأنّ قليلًا من ميسي كفيل بإثارة حماسنا. وقـد كان الجميع يتوقّع أن يفعل ميسي في كأس العالَم ذلك ما فعله مارادونا من قبل. ولكن، كانت تلك خطواتـه الأولى مع المنتخب الأرجنتيني الذي يُعَدّ من المنتخبات العظيمة. أتمنّى أن يقطف ثمار تلك التجربة مستقبلًا».

2- مـاذا عـن ليو ميسـي؟ «لقد ظلّ صامتًـا - هو الآخر- حيال هـذا الموضوع. وكان أحـد القلائـل الذيـن امتنعوا عن الظهـور تلك الليلة فـي برلين أمام الكاميـرات أو الميكروفونـات. لـم يكن ذلك بسبب خيبـة الأمل من مغادرة البطولة فحسب، بل لغضبه الشديد ممّا ذكرته بعض التقارير الصحفية عن تصرفه في أثناء تنفيذ الضربات الترجيحية».

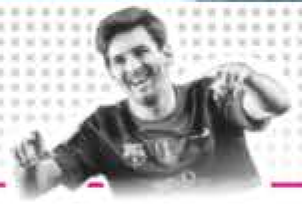

3- أَقَرّ ليو بذلك في مقابلة مع صحيفة موندو ديبورتيفو، أعقبت المباراة بخمسة أيام؛ إذ قال: «قالوا أشياء من قبيل: إنّني لم أكن مهتمًّا بالفوز أو الخسارة؛ وهو أمر عارٍ عن الصحة تمامًا. لو أنّ أحدًا كان في غرف تغيير الملابس لعرف ما كنت أشعر به في تلك اللحظات».

4- لم يتطرّق ليو في هذه المقابلة إلى قضية عدم إشراك بكرمان له كثيرًا في أثناء المباريات: «كان ذلك قراره... وقد سيَّر الأمور على ذلك النحو؛ لأنّها كانت تنجح كلّ مرّة. وكان لاعبون، مثل سافيولا وكريسبو، يؤدون على أكمل وجه. هكذا كانت تجري الأمور».

فعلى هذا النحو سارت الأمور، وحان الوقت لطيّ هذه الصفحة.

الفصل الرابع والعشرون

تفرقة إيجابية

حوار مع خورخي فالدانو

عنـد سؤاله عن الصفة التي يودّ أن يعرفـه النـاس بها، يجيب: «لاعب كرة قـدم سابـق». ذلك، مع أنّـه كان المدير العام لفريق كرة القـدم في نادي ريال مدريد.

وعلاوة على فوزه بلقب كأس العالَم برفقة المنتخب الأرجنتيني، فقد تقلَّد الكثير من المناصب والوظائف في حياته؛ فعمل مدرِّبًا، ومديرًا رياضيًّا، وكاتبًا، ومعلّقًا.

تُعَـدّ الكلمـات من أقوى أسلحتـه ولا شكّ، والتشبيهات مـن أدواته التي لا يستغني عنها، ويَعُدّ التحليل متعة.

لنتحـدث عن ميسـي؛ لاعب كرة القدم الذي بـدأ حياته مع نادي نيولز، مثلك أنت. لنبدأ من بطولة كأس العالَم لعام 2006م. فقد علَّق شـعب بأكمله آمالـه كلّها علـى ليو، لكنّ هذا الأخير لم يشـترك في المباراة الحاسـمة ولو لحظة. لماذا؟

«بكرمـان رجل يميِّز الموهبة حين يراها، ولـم يحدث يومًا أن أبعدها عن الأنظـار. بإمكاننـا محاولة التخيّل أنّ خطبًا ما قد حـدث ولم ندرِ به، ربّما كان

أمـرًا بدنيًّا. ربّما لم يكن (ميسي) فـي أفضل حالاته. ومع ذلك، فقد كنت أحد الأشخاص الذين أيقنوا أنّ الانهيار الذي تعرّض له المنتخب من دون ميسي كان أمـرًا مؤسفًا. حدثـت الكثير من المشكلات في المبـاراة الأخيرة؛ فأبودنزيري أُصيـب، وريكيلمي أُنهك، والأرجنتين كانت متقدّمة بهدف، وكأنّ الظروف كلّها كانـت تسير خلافًا لما يريده ميسي. وقد بدا للجميع أنّ الوضع تحت السيطرة؛ إذ كانـت المحـاولات الألمانية كلّها تذهب أدراج الرياح، لكـنّ الواقع يقول: إنّه كان بالإمـكان الإفادة مـن ميسي، واستغلال اندفاع المنافـس لإحراز التعادل، وتسجيـل هدف ثـانٍ. لكنّ ذلك كلّه لا يعـدو مجرّد تكهّنات. أمّا أنـا فأعتقد أنّ قـرارات بكرمان أفضل من قراراتـي؛ لأنّه كان يواجه الظـروف المحيطة على أرض الواقع».

لأنّنـا نتحـدث عـن ذلك، فقـد كان هناك كلام كثير عن ميسـي في فترة الشباب والنضج؛ عن العادات السائدة في كرة القدم الأرجنتينية، وعمّا جرى في حجرات الملابس...

«لعب مارادونا أول بطولة لكأس العالَم في مسيرته الكروية عندما كان في سـنّ الحادية والعشرين، وكانت تلك تجربة مريرة بالنسبة إليه؛ إذ لم يكن بعدُ قـد نضج بما فيه الكفاية، وذلك خلافًا لمـا كان عليه حال ميسي؛ فنحن نعتقد أنّه لو تمكّن من اللعب لكان قلب المباراة رأسًا على عقب...».

لأنّنا تطرّقنا إلى هذا الموضوع، فلنتحدث عن ميسي ومارادونا.

«طريقـة لعب مارادونا مختلفة قليلًا؛ فقـد كان قادرًا على التسجيل، لكنّه كان يقـوم أيضًا بعمل إستراتيجي. ميسي أكثر تألقًا من ذلك؛ فهو دائمًا يحاول الوصـول إلى المرمى اعتمادًا على سرعتـه البدنية والذهنية، وقدرته الجسدية التـي يمتلكهـا. وفي الوقت الـذي كان فيه دييغو يبطئ من سرعتـه أحيانًا، كان

ميســي يجري دائمًا بأقصى سرعة. تلك خطيئة تصيب اللاعبينَ الشباب. فقد كان مينوتــي يقــول دائمًا: عليــك أن تكون مثل جو بلوغز؛ المتعــدِّد المواهب. لا يمكــن لميســي أن يتصرّف على سجيّته دائمًا؛ فإذا كنــت مندفعًا وهجوميًّا على الدوام، فإنّ الخصم سيكون حريصًا دائمًا، وسيكون من الصعب مفاجأته».

ما أوجه التشابه بينهما؟

«مــا يفعله ليو يشــبه مــا كان مارادونا قادرًا على فعله فيما مضــى؛ فهو فرد يمكنه تحمُّل عبء ثقيل من دون مســاعدة فريقه. إنّه لا يشــبه زيدان أو بلاتينــي، فهــذان كانا في حاجة إلــى فريق من حولهمــا؛ ليتمكّنا من تفجير عبقريتهمــا. أمّــا كلّ ما يحتاج إليه ميســي من زملائه فهــو إمرار الكرة إليه، ليتكفَّل بعدها بعمل كلَ شيء وحده». - ما أبرز الاختلافات بينهما؟

«يوجــد اختــلاف واضح بينهما من ناحية الجسد؛ فقد قَــدِمَ مارادونا إلى نابولــي بعد زيادة وزنه بنحو ثمانية كيلوجرامــات، لكنّ تأثيره الفاعل لم يتغيّر. أمّــا بالنسبة إلى ميسي فطريقته في اللعــب تتطلّب منه أن يكون هجوميًّا ورأس حربــة. لــذا، فمن الضروري أن يحافــظ على لياقته. انظر إلــى الإصابات التي يعانيها بين الفينة والأُخرى؛ وكأن عضلاته توقفه كلّما وصل مجهودها إلى الحدّ الأعلى».

ما رأيك في ميسي حاليًا؟

«لقــد أصبح ناضجًا. وهو يمتاز بقــدرة فطرية على التعامل مع المنافسة. ونجده يُظهِر انطباعًا بالسعادة كلّما كانت الكرة بين قدميه، لا يحكمه محيطه، ولا التوقّعــات التــي يولِّدها. تلك علامة على عِظَم اللاعــب؛ ألّا يصاب بالرهبة عندمــا يستعرض أمام الآخريــن. لقد قدَّم لنــا أداءً مذهلًا، علــى الرغم من وجــوده على مفترق طــرق فيما يخصّ حياتــه المهنية؛ أي حيــث يمكنك قياس

حدود شخصيته. إنّنا نتعامل مع شخص قادر على لعب كرة قدم باهرة وجذّابة، شخص يمكنه أن يُشكِّل خطورة حتى لو كان مراقَبًا من ثلاثة لاعبينَ، وظهره نحو المرمى، ومحاصرًا في زاوية الملعب».

ماذا يُخفي له المستقبل؟

«أودّ لو كان مستقبلي مثل مستقبله... لديه القدرة ليصبح أول اللاعبينَ العظماء في القرن الحادي والعشرين. لقد ترك لاعبون، مثل بيليه ومارادونا وكرويف ودي ستيفانو، بصماتهم على القرن العشرين، أمّا هو فبإمكانه السيطرة على هذا القرن الحالي، برفقة كريستيانو رونالدو. إنّه في وضع مثالي يسمح له بتحقيق ذلك. وقد حباه الله بمواهب عدّة، ويتعيّن عليه الآن أن يستغلها. ومن نقاط القوة التي تميِّزه من غيره؛ قدرته على النظر إلى نفسه من بعيد بحسّ معيّن، فضلًا عن عدم إثارته أيّ جلبة خارج الملعب (لا يحدث ذلك إلّا عندما تكون الكرة بين قدميه). إليك فرقًا آخر بينه وبين مارادونا؛ فقد كان دييغو ثنائي النشاط: لاعب كرة من جهة، وشخصًا متمرِّدًا ومحرِّضًا من جهة أُخرى. كان دومًا كبركان على وشك الثوران».

الفصل الخامس والعشرون

الشيطان

العاشر من آذار عام 2007م

إنّ كابوس الدون فابيو هذه المرّة – من برشلونة– يتعلّق بفتى في سنّ التاسعة عشرة يُدعى ليو ميسي. برغوث أرجنتيني يفسد احتفاله (فابيو). لم يسبق لكابيللو الفوز على أرض البارسا (لا مع يوفنتوس، أو روما، أو ريال مدريد)، وكان على وشك تحقيق ذلك، عكس التوقّعات كلّها. لكنّ الرجل الصغير انبرى وعدّل النتيجة مرّة واثنتين وثلاثًا، وحين بدا أنّ المباراة ستدين لهم (ريال مدريد)، أخرج أفضل ما في جعبته في الدقيقة الأخيرة؛ وأخذ يحاور بسرعة متجهًا صوب منتصف منطقة الجزاء، ليضع الكرة في المرمى، وتنتهي المباراة بنتيجة (3–3). يشعر كابيللو وفريقه بشعور الطفل الذي أخذت منه مصاصته وهو يهم في أكلها.

كان ديربي إسبانيا – من دون أدنى شكّ– غريبًا، مثيرًا، متقلّبًا، مليئًا بالأهداف. بدأت المراسم بنزول قائدي الفريقيْنِ؛ بويول وراؤول إلى أرض الملعب، وهما يتضرّعان بالدعاء. دعاء يحتاج إليه كلا الفريقيْنِ؛ إذ يتعيّن على البارسا محو مرارة الخروج من دوري أبطال أوروبا، من ذاكرة (98) ألف مشاهد تغص بهم مدرّجات ملعب كامب نو، في حين يخوض ريال مدريد مباراة مصيرية؛ مباراة الفرصة الأخيرة لمواصلة المنافسة على اللقب.

تشيـر التوقّعات المعتـادة إلـى أنّ البلاوغرانا سيستحـوذون على الكرة، وأنّهـم المرشّحـون لتحقيـق الفـوز، وأنّهـم سينتشـرون فـي الملعـب بأسلوب (3-4-3) الجـريء، وبذلك تصبـح الرقابة على لاعبي الريال أقلّ من المعتاد. يصعـب التكهّـن بنتيجة مباراة مثل هـذه؛ فريال مدريد يؤدي علـى نحوٍ مغاير أمام الغريم التقليدي بصرف النظر عن مستواه في البطولة. وبعد خمس دقائق فقط، وعلى عكس التوقّعات، يتقدّم الريال بهدف.

يمـرِّر اللاعب الأشقـر غوتي الكـرة لهيغواين على الجهـة اليسرى. يمرِّر الأرجنتيني الشاب كرة لا تفوح منها رائحة الخطورة، لكنّ تورام هو مَنْ يحوِّلها إلـى كرة خطيـرة، حيث يحاول إبعادهـا ويخطئ، لتصل إلـى قدمي نستلروي، فيُسدِّد هذا الهولندي من خارج منطقة الجزاء.

محـاولات اعتراض فاشلـة للكرة من بويـول وفالديز، فتستقـرّ الكرة في المرمى (0-1). وحينئذٍ، تظهـر على مُحَيّا ريكارد ملامح الانفعال والتوتر. ثمّ يظهـر ليو ميسي بعـد ذلك بخمس دقائق، ويتلقّى تمريرة في العمق من تشافي، فينفرد بكاسياس وجهًا لوجه. لاعبو الريال مصدومون. إنّه هدف التعادل.

يـرزح المدافعونَ فـي كلا الفريقيـن تحت ضغط شديـد. ومن الملاحظ أنّ التوتـر والغيظ قد فعـلا فعلهما بأوليغير لاعب البرسـا؛ فينتهي به المطاف مطـرودًا في الدقيقـة الخامسة والأربعين، بعـد تلقّيه الإنـذار الثاني من خطأ ارتكبـه في حقّ غاغـو. وكان قد تلقّى الإنـذار الأول في الدقيقـة الثانية عشرة حيـن أمسك بغوتي داخل منطقة الجزاء. ضربة جـزاء، وبطاقة صفراء، وفان نستلـروي لا يُضيِّع الفرصة. أمّا فابيو كابيللو فلا يُصدِّق ما يرى. وكان الرئيس قـد شدَّد عليـه ألّا يخسر المباراة. أمّا أن يتقدَّم فـي النتيجة فذلك أمر يمنحه فرصةً لتنفّس الصعداء.

لا يطـول الأمر كثيرًا؛ إذ يُثبِت ميسي مرّة أُخرى أنّه مثل الكابوس، فيُسدِّد كـرة مرتدة مـن كاسياس. إنّها كرة ليست بالسهلـة، لكنّه يتمكّن من التسجيل. يجب التنويه هنا بـأنّ الفضل في إحراز هذا الهدف يُعزى إلى رونالدينو، الذي استيقـظ أخيـرًا من سباتـه. يواظب ميسي علـى تنفيذ ما هو ماهـر في عمله، فيغربـل لاعبيّـنِ أو ثلاثة، ثمّ يلعـب الكرة بطريقة (واحد-اثنيـن) مع إيتو، ثمّ يُسـدِّد على كاسياس الذي يتمكّن من التصـدي للكرة في المـرّة الأولى، لكنّه يعجز عـن ذلك أمام تسديدة ميسي المفاجئة. أربعة أهداف في سبع وعشرين دقيقة؛ هـذا هو أسلوب العرض الذي يحبّ الجمهـور الإسباني مشاهدته. يبدأ البارسا بالتحكّم في المباراة بعد التمكّن من العودة بالنتيجة.

دفاع الريال في حيرة، اللاعب الذي طرد كان من برشلونة لكن عندها يأتي الطرد، فيمضي «برشلونة» الشوط الثاني بعشرة لاعبين. وفي هذه الأثناء، يقوم ريـكارد بسحب إيتو من الملعب، ويدفع بسلفينهـو بدلًا منه. يستمر البلاوغرانا في سيطرتهم واستحواذهم على الكرة، لكنّ الريال ما زالوا قادرين على تهديد البرسا؛ ما يجعـل الأفضلية معرَّضة للضياع في أيّ لحظة. وفي غمرة الأحداث وتسارعها، يُنفِّذ غوتي ركلة حرّة، فيقفز سيرخيو راموس وبويول لملاقاة الكرة. وينجح مدافع الريـال بلمسها بمؤخّرة رقبته، فتضرب الكرةُ العارضةَ، لتتهادى داخـل المرمى. ولكن، هل انتصـر الريال؟ لا؛ إذ يظهر ميسي مرّة أُخرى لينقذ البرسـا، ويُبقي على فارق النقاط الذي يفصلهم عن الريال. وبذا، يعود كابيللو إلى المشكلة المعهودة نفسها.

لوكا كيولي، صحيفة كوريري ديلا سيرا، الحادي عشر من شهر آذار عام 2007.

يبـدو أنّ كابيللـو نسي مـا يمكن لميسـي أن يفعله. والغريب أنّـه سأل عن ذلـك الشيطان (كما أسماه) بعد إحدى مباريات بطولة كأس خوان غامبر، في

الرابع والعشرين من شهر آب عام 2005م، حين أصاب ليو دفاع يوفنتوس (كان كابيللو حينها مدرِّب نادي يوفنتوس) بالجنون، وتسبَّب في حصولهم على ثلاث بطاقات صفراء، ثمّ صنع هدفًا، وظلّ يُشكِّل خطورة طوال التسعين دقيقة. لكنّ يوفنتوس نجح - في نهاية المطاف- في خطف الكأس بعد فوزه بفارق الركلات الترجيحية (5-6). ولكن ذلـك لم يَحُلْ دون اختيار ميسي بوصفه أفضل لاعب في المباراة، وعَـدَّه المفاجأة السارة التي حملها اللقاء. وقد مازح فابيو كابيللو الذي عرف وقتها عِظَمَ الموهبة التي يمتلكها هذا اللاعب الشاب، فرانك ريكارد قائلًا: «حسنًا، إذا لم يكن لديكم مكان له في التشكيلة الأساسية، فأعطونا إيّاه، سنوقِّع معه في الحال».

ربّمـا اعتقد فابيو كابيللو أنّ الأمور كلّها ستكون على ما يرام بالنسبة إليه، فـي ليلة العاشر مـن شهر آذار عـام 2007م، مثلما كان عليه الحـال في الثاني والعشريـن من شهر تشريـن الأول عام 2006م على ملعـب البرنابيو. فقد حقَّق البلانكوس انتصـارًا عظيمًـا (0-2)؛ ومدريـد في قمّـة السعـادة بسبب هذه النتيجـة، وميسي قدَّم كلّ ما لديه على مدار سبعين دقيقة على الأقلّ؛ تمريرات دقيقـة بالقدم اليسرى، وصناعـة فرص أهدرها زمـلاؤه، واختراقات لمنطقة الجـزاء. لقد تمكّـن من فعل ذلك كلّه على الرغم من كثـرة التدخلات الخشنة التـي قام بها إيميرسـون ضده؛ تدخـلات أدت إلى إصابته بالتـواء في الكاحل الأيمـن، وتحديدًا في الرباط الجانبي الخارجي، يغيـب على إثرها أسبوعًا عن الملاعب. لكنّه لم يتمكّن من التسجيل في تلك المباراة.

تُقلَـب الطاولة هذه المـرّة. فهل يحمل ميسي على ألـدون فابيو الذي كان وقتئذٍ مدرِّبًا للمنتخب الإنجليزي (مدرِّب المنتخب الروسي الآن)؟ قطعًا لا. هل القضيـة أنّه محظوظ عندما يلعب ضد كابيللو؟ ذلك ليس صحيحًا أيضًا. الأمر برمّته مختلف. يقول ميسـي: «اللعب أمام ريال مدريد تحديدًا من شأنه تحفيز

أيّ لاعب». تلك حقيقة كان قد أثبتها أول مرّة وطئت فيها قدماه ملعب البرنابيو في التاسع عشر من شهر تشرين الثاني عام 2005م.

حُفِـرت تلـك المباراة في أذهــان كلّ مَنْ شاهدها؛ بسبـب الأداء المذهل الــذي قدَّمه رونالدينــو (سجّل هدفين خارقين، فضلًا عــن أشياء كثيرة أُخرى فعلهــا)، ووقوف اثنين من مشجعي الريال لتحية لاعــب البارسا صاحب الرقم (10). تلــك كانت لقطة (مشهد) المباراة المميَّــزة ولا شكّ. لقد كانت أمرًا لا ينســى. ظهرت اللقطة على محطات التلفــزة جميعها. وهو أمر حفز المحرِّرين والصحفييــن إلى البحث عــن المشجعيْنِ اللذيْنِ كان أحدهمــا ذا شارب أسود والآخــر مُلتَحيًا، وكانا يصفّقان واقفين على أقدامهما. وَدّ رجال الإعلام معرفة السبــب الذي جعلهما يؤديان تلك التحية لرونالدينو. فماذا كان جوابهما؟ كيف لا يصفّقــان للاعــب النجم، وللسحــر الذي نثره في الملعــب، حتى لو كان ذلك بحركــة بسيطة تنم عــن روح رياضية؟! ولكن، كما بهــر رونالدينيو كلّ مَنْ على المدرّجات بأدائه، كذلك فعل ليو.

لنطالع أبرز لقطات تلك المباراة:

• الدقيقة الثالثة: سيرخيو راموس يشعر بأنّ الطريقة الوحيدة لإيقاف البرغوث هي عرقلته، ويقوم بذلك فعلًا، على حافة منطقة الجزاء في مواجهة المرمى.

• الدقيقة الخامسة عشرة: ليو يُعِدّ كرة لإيتو بعد حركة رائعة، ولا يتوانى هــذا الأخير عــن وضع الكرة في الشباك. الدقيقــة السادسة والعشرون: ميسي يسرِّع من إيقاعه بصورة رائعة تاركًا روبرتو كارلوس عاجزًا.

• الدقيقــة الثلاثــون: ميسي يخترق خطّ الدفاع، لكنّ إيكر كاسياس كان لــه بالمرصاد. بإمكان البارسا تسجيل هدف ثانٍ. يراوغ رونالدينيو في الدقيقة الأربعيــن، ثمّ يرسِل الكرة عرضيــة لميسي، لكنّ رأسية هــذا الأخير تحيد عن

المرمـى. يحاول ميسي مرّة أُخرى فـي الدقيقة السابعـة والأربعين، لكنّ كرته ابتعـدت عـن خشبات المرمى بعـد ارتطامها بأحـد المدافعين. وفـي الدقيقة الخامسـة والخمسين يتمكّن كاسياس من صدّ تسديدة ميسي الثالثة. ثمّ يخرج ميسـي في الدقيقة التاسعـة والستين تارِكًا مكانه لإنيستا. لقـد أثبتت الدقائق التي قضاها فـي اللعب، والمهارات التي استعرضها، أنّـه الكلاسيكو الأول، كلّ ما كان ينقصه، ليكتمل أداءه الذي تميَّز بالسرعة والحركة والتمريرات القاتلة؛ هـو التسجيل. لكنّ أفضل مشهد يَعلَق في الذاكـرة بخصوص تلك المباراة؛ هو الكمّ الهائل من الشجاعة التي أظهرها في أول مباراة له أمام الغريم التقليدي، وعـدم خشيته مـن أيّ شخـص أو أيّ شيء، حتـى إنّه لم يُظهِر ولـو القليل من الرهبـة كما وصفها مواطنه خورخي فالدانو، وتمكَّن من إثبات ذلك في مختلف أرجـاء الملعب. وأخذ بزمام المبـادرة، وتحمّل المسؤولية على الرغم من وجود نجوم في الفريق على غرار الملهم رونالدينو، وإيتو الذي كان في أوج عطائه.

تلـك مشاعـر سيُعبِّـر عنها الكثيـرون؛ تأكيـدًا، ومخالفةً، ثـمّ تأكيدًا من جديـد، وهكذا دواليـك. من المؤسف أنّه (ليو) سيغيب عـن لقاء الإياب نتيجة الإصابـة التـي تعرّض لها في مبـاراة تشيلسي. إنّها الإصابـة نفسها (ولكن في السـاق الأُخـرى) التي سيعانيها فـي الخامس عشر من شهر كانـون الأول عام 2007م، فـي مباراة الفريق أمام فالنسيا على ملعب مستايا؛ أي قبل خمسة أيام مـن الكلاسيكـو. ألم حادّ في السـاق اليسرى، الرأس مطأطـئ، ليو يعضّ على قميصه وهو يهمّ بمغادرة الملعب. وداعًا للكلاسيكو.

يتعيّـن على البارسـا اللعب أمام ريال مدريد مـن دون اللاعب الذي صنع الفارق منذ بداية الموسم. وتؤكِّد الصور فوق الصوتية الأمر؛ تمزُّق في العضلة الثنائية الرؤوس بالفخذ اليسرى، ما يعني غيابًا عن الملاعب يمتد ما بين أربعة إلى خمسـة أسابيع (سيلعب مجدَّدًا بعدها بستة وثلاثين يومًا؛ أي في العشرين

مـن كانون الثاني تحديدًا، وذلـك ضد رايسنغ سانتانديـر). وسيعاني الإصابة مـرّة أُخرى في الرابع من شهـر آذار عام 2008م، في ربع نهائي دوري الأبطال، فـي المبـاراة التي سيخوضها فريقـه أمام فريق نادي سيلتيـك على أرض هذا الأخير. تمزّق آخر بالفخذ اليسرى؛ تبعه غياب مدته خمسة أسابيع أُخرى.

قـد يتبـادر إلى الذهن سؤال مهم، هو: لماذا يعانـي ميسي تلك التمزّقات والكسور كلّها، لدرجة أنّ الجميع بدؤوا يُسمّونه النجم الخزفي؟

آلام عضليـة متراكمـة، وإصابـة قديمة لـم تُشفَ كما يجـب، ونقص في الإحمـاء، وضغـط نفسي، وتوزيـع غير متـوازن للجهد على العضـلات، ونمط مغلـوط يغلّف الحيـاة المهنية، واصطـدام مباشر، واختـلاف مزعوم في طول الساقيـن... تلـك كانت بعضًا مـن أسباب تعرّضه للإصابـات. أضف إلى ذلك أنّ التعقيـد الذي تتميَّـز به البنية المأبضية (العضـلات المفصلية) يجعل من الصعـب معرفـة سبب الإصابة بدقة، ما يبطّئ مـن عملية تعافي اللاعب منها. أمّـا في حالة ميسي فيعزي بعضهم الأمر إلـى وضعه الجسدي، وبنيته العضلية والعظميـة، وإلى مشكلات في النمو ناجمة عن الهرمونـات. ولكن، في أيّ حال من الأحـوال، يصعب تحديد السبب بدقة، حتى بالنسبـة إلى الأطباء في نادي برشلونة، الذين هاجمتهم الصحافة أكثر من مرّة لعدم دقتهم في تحديد المدّة اللازمـة للتعافي من الإصابـات. يشرح خورخي ميسي ذلـك بقوله: «لقد قالوا لـي: إنّ كتلته العضلية تتكوّن من ألياف انفجارية، كتلك التي يمتلكها العدّاؤون. وذلك هو سبب السرعة التي يتميَّز بها، لكنّ إمكانية التعرّض لكسر واردة جدًّا. ليو يعي جيدًا أنّ عليه الانتباه لنفسه في الأوقات كلّها».

لنغلـق موضـوع الإصابات، ولنكمل قصـة كلاسيكو العاشر مـن آذار عام 2007م. علمًـا بأنّ تلك القصة تتضمّن حديثًا عن إصابة هي الأُخرى. ليو غائب عـن الملاعب منـذ تسعة أسابيع، ولكن هذه المرّة ليس بسبب مشكلة عضلية،

وإنّما بسبب حادث في أثناء إحدى المباريات. ففي الثاني عشر من شهر تشرين الثانـي عام 2006م، خاض الفريق مباراة أمـام فريق ريـال سرقسطة، وفيها داس مدافع الفريق الخصم، إلبيرتو زاباتار على قدم ليو؛ ما أدى إلى كسر في العظمـة الخامسة من مشط القدم اليسرى. خضـع ليو لعملية جراحية، تخلّلها وضع مسمار لتثبيت العظم، وزراعة جلد للمساعدة على تسريع الشفاء.

كان قد أدى جيدًا في المباريات التي سبقت هذه المباراة، «لكنّني (الكلام هنـا له) لـم أُسجِّل بعدُ. يتعيّن علـيَّ إنجاز تلك المهمة». لقـد تمكَّن من تسجيل (هاتريك) هو الأول له على المستوى المتقدّم (تمكَّن قبلًا من تسجيل حتى أكثر من ثلاثة أهداف في المباراة الواحدة. ولكن، كان ذلك في أقلّ المباريات شأنًا)، وعلـى الرغـم من أنّه (الهاتريـك) لا يجلب النصر للفريـق، إلّا أنّه يكفي - على الأقلّ - لحماية البارسا من موقف حرج؛ فكما يقول ليو: «لأنّ الخسارة من الريال مريـرة دائمًـا». ليس ذلك فحسـب؛ إذ يتيح له هدف سجّله عرضَ رسالة كتبها تحـت قميصـه، مفادها «شُدَّ مـن عزيمتك يا عمّاه»، رسالة وجّههـا لعرّابه الذي كان قد فقد والده آنذاك. إنّها طريقته في إظهار دعم لا متناهٍ في أوقات صعبة.

كان هنـاك إهـداء آخر في تلك الليلة الساحرة، وقـد جاء على صورة قُبَل طبعهـا على شعار النادي. فبعـد الهدف الثالث، يركض ميسـي مكرِّرًا الحركة نفسهـا؛ لأنّه، كما يقـول: «أُدين بالكثير للبارسا على مـا فعلوه من أجلي عندما أُتيحـت لهـم الفرصـة، وأُدين أيضًـا للمشجعينَ على الحبّ الـذي غمروني به، خاصـة في أثناء الأشهـر الصعبة الماضية». لقد غيَّرت هـذه الأهداف الثلاثة مسار موسم حافل بالمفاجآت غير السارة.

سيلعـب ليو باستمرار، بدءًا بالعاشر مـن شهر آذار، وسيحرص على عدم ضياع أيّ فرصة متاحة، ولن يكتفي بتسجيل الأهداف فحسب، بل سيصنع تحفًا فنية أيضًا.

الفصل السادس والعشرون

هدف مذهل

حوار مع جانلوكا زامبروتا

قضيا معًا موسميْنِ، تميَّز كلّ منهما بالأداء الهزيل والكآبة للبارسا، وللمدافِع الآزوري (الأزرق- الفريق الوطني الإيطالي) الذي انضم إلى هذا الفريق بعد فوزه ببطولة كأس العالَم في ألمانيا برفقة المنتخب الإيطالي؛ إذ سنحت الفرصة للاعب نادي ميلان الحالي بالتعرّف إلى ميسي عن قرب وتقييمه؛ سواء في غرفة تبديل الملابس، أو على أرضية الملعب.

ما رأيك في ليو ميسي؟

«أعتقد أنّه من أفضل المواهب التي ظهرت في العشر أو العشرين سنة الماضية. لا شكّ في أنّه من أفضل لاعبي العالَم حاليًّا، خاصة أنّه ما زال في الرابعة والعشرين، ولديه الكثير من الوقت لتعزيز قدراته ومهاراته».

هل تذكر مباراة البارسا والريال التي أُقيمت في العاشر من شهر آذار عام 2007م؟

«لم أكن موجودًا على أرضية الملعب. ولكن، كان لأداء ميسي تأثير كبير فيَّ، وأعتقد أنّ هذا التأثير قد طال الجميع. كان قد أتحفنا بالكثير من المهارات

والأساليب المثيرة في مباراة البرنابيو عام 2005م، لكنّه تفوَّق على نفسه في ذلك الكلاسيكو تحديدًا. وكان أكثر ما فوجئنا به، هو تمكُّن فتى في التاسعة عشرة من حمل عبء فريق كالبارسا على كاهله وحده (أمر نادر جدًّا)، وقدرته على إدراك التعادل مرّة بعد أُخرى. وقد فعل ذلك كلّه في مباراة اشتدّ فيها التنافس، وحَفِلَت بالقوة البدنية والشدّ العصبي، صحيح أنّ مباريات الكلاسيكو كلّها كذلك، لكنّ الواقع أنّ كلاسيكو عام 2007م كان أكثر صعوبة من غيره. ما الذي يمكنني قوله؟ يتميَّز هذا الفتى بقدرات استثنائية، والأهم من ذلك، نضج وإحساس بالمسؤولية قَلَّ نظيرهما لدى اللاعبينَ الشباب».

ماذا عن هدفه في مرمى خيتافي؟

«كنت شاهدًا على ذلك، لقد كان مذهلًا. سألْتُ نفسي حينها: كيف تمكَّن من فعل ذلك؟ وهو السؤال نفسه الذي خطر على بال زملائنا في الفريق، وكذا المدرِّب، والجمهور الحاضر في كامب نو. لقد كان هدفًا خرافيًّا، لا يسجّله إلّا نجم. إنّه أجمل هدف شاهدته في حياتي. وهو يشبه الهدف الذي سجّله مارادونا عام 1986م. ولكن، من رؤيتي له على أرض الواقع، فإنّني أَعُدّ هدف ميسي أفضل».

ما السرّ في شخصية ميسي وتميُّزها، بوصفك زميلًا له في الفريق؟

«لا فرق بالنسبة إليه بين كامب نو والملعب الموجود في بلدته. إنّهما متشابهان. لكنّه لا يشعر بالضغوط، أو هذا ما يبدو عليه على الأقلّ. المهم بالنسبة إليه هو وجود كرة. إنّه مثل جميع اللاعبينَ العظماء والاستثنائيينَ الذين قابلتهم؛ إذ عندما يلمحون الكرة، يعودون أطفالًا من جديد، ويشعرون بالحماس بفضل دميتهم المفضّلة. وهم يرفضون التخلي عنها، ولا يتوقفون عن اللعب أبدًا. حاوِل أن تأخذ الكرة من ميسي مثلًا. لن تتمكّن من ذلك».

لماذا؟

«لأنّ لديه قدرة خارقة على التحكّم في الكرة؛ حتى يخيّل للرائي أنّها ملتصقة بقدمه دائمًا، إنّه سريع جدًّا، يتحرّك جيدًا في المساحات الضيقة بالكرة أو من دونها، تمامًا مثل مارادونا. ثمّ تجده يدور بالكرة من حولك كأنّه يسخر منك. لا تعرف إلى أين سيتجه؛ يمنة، أو يسرة، أو أنّه سيمرِّر الكرة من بين قدميك. لقد سبق للفرق المقابلة تخصيص ثلاثة لاعبينَ لمراقبته، لكنّه كان - مع ذلك- يتمكّن من إحداث فرق في المباراة. إنّه من صنف اللاعبينَ القادرينَ على حسم المباراة إن كان في مستواه. لقد أثبت ذلك مرات عدّة. ولكن، لأكون صادقًا، فلم أكن أتوقّع منه مثل هذا الثبات، والأداء المتميِّز في المباراة تلو الأُخرى. لقد كنّا محظوظينَ لمشاركته إيّانا اللعبَ في الفريق نفسه».

هل يفضّل اللعب بصورة فردية؟

«إنّ التقدّم بالكرة إلى الأمام والمراوغة، هما أبرز ما يميِّز طريقة لعبه. فهو دائمًا يودّ الحصول على الكرة؛ لأنّ تلك هي طريقته في اكتساب المتعة، وإمتاع الآخرين. يمكن تشبيه هذا الأمر بمشاركة أصدقائك في اللعب. وفي حال كنت لاعبًا ماهرًا، فإنّك سترغب دائمًا في الحصول على الكرة؛ لكي تكون الأفضل، وتدهش الجميع. لا، إنّه ليس فرديًّا. لقد كبر، ويعرف الآن معنى اللعب لمصلحة الفريق».

كيف تبدو سلوكاته وتصرفاته في أثناء التدريب، وفي غرفة تغيير الملابس؟

«إنّه فتى متواضع، وعلى استعداد لبذل أقصى جهده في أداء المهام المنوطة به، وهو دائم الشعور بأنّه لم يصل بعدُ إلى ما يرضي طموحه. إنّه يتحلّى بروح المرح والدعابة، فتراه يطلِق النكات، ويمازِح مَنْ حوله. إنّه من

اللاعبينَ الذين يُضْفون أجواء مريحة على غرفة تغيير الملابس، إنّه صديق بحقّ. صحيح أنّنا لسنا متقاربيّنِ، فالفارق بيننا عشر سنوات، لكنّنا كثيرًا ما نتجاذب أطراف الحديث. مجمل القول: إنّه فتى ناضج، يعرف ما يريد من الحياة، وذو شخصية فذّة».

الفصل السابع والعشرون

ميسي ومارادونا

الثامن عشر من نيسان عام 2007م

«برشلونة يستعيد سيطرته على أرض الملعب.

تشافي...

ميسي يراوغ باريديس.

إنّه يستحوذ على الكرة، لقد تجاوز ناتشو أيضًا.

يدخل منطقة الجزاء... يراوغ مرّة أُخرى.

يبدو أنّ تسديدته لن تصيب المرمى...

ميسي يسجِّل.

يا له من هدف!

لقد تجاوز أربعة من لاعبي خيتافي، فضلًا عن الحارس.

يا لها من تسديدة بالقدم اليمنى لم نعتد على مثلها من ميسي!

انظروا إلى هذا الهدف.

نلعب في الدقيقة الثامنة والعشرين، لقد تجاوزنا منتصف الشوط الأول. قد يكون هذا هدف الموسم من دون شكّ...

رائع. الجميع مبتسم، والمشاعر تختلج لرؤية التحكّم، والسرعة، والقدرة، والمراوغة، والتسجيل. لقد أثار مشاعري حقًّا...

لا أريد أن أجترع المقارنات، لكنّه يذكّرني بالهدف الذي سجّله دييغو أرماندو مارادونا في مرمى إنجلترا في بطولة كأس العالَم عام 1986م. إنّهما هدفان مختلفان. وهما أيضًا لاعبان مختلفان. لا أقصد القول: إنّ ميسي هو مارادونا، لكنّه ذكّرني بذلك الهدف».

كان ذلك تعليق مذيع قناة ديجيتال + على مباراة برشلونة وخيتافي، التي جرت في الثامن عشر من شهر نيسان عام 2007م.

وفيما يأتي تعليق فيكتور هوغو موراليس من إذاعة راديو أرجنتينا على مباراة الأرجنتين وإنجلترا التي جرت في الثاني والعشرين من شهر حزيران عام 1986م، على ملعب أزتيكا في مكسيكو سيتي.

«لقد جاء دور دييغو.

الكرة مع مارادونا.

هناك لاعبان يراقبانه، لكنّه ما زال يحتفظ بالكرة، يتجه عبقري كرة القدم العالمية إلى اليمين، يتخلّص من الثالث، لم يبقَ أمامه إلّا بورشاغا (زميل مارادونا في الفريق، لكنّ المذيع يتهكّم على الدفاع الإنجليزي).

مارادونا يفعل كلّ شيء.

عبقري! عبقري! عبقري! هيّا، هيّا، هيّا.

ووووووو

هدففففف! هدففففف!

رائع!

يعيش!

يا له من هدف!

دييغو! مارادونا!

معذرة، لقد غلبتني المشاعر...

لقد سجّل مارادونا هدفًا لن ينسى، إنّه أفضل هدف على الإطلاق... يا أيّتها «الطائرة الورقية الفضائية»... من أيّ كوكب جئت؟ لقد صنعْتِ العجائب باللاعبينَ الإنجليز وتركْتِهم طريحي الملعب، وجعلْتِ البلد تصدح بصوت واحد بحبّ الأرجنتين...

الأرجنتين 2، إنجلترا 0.

دييغو! دييغو! دييغو أرماندو مارادونا...

أَحمدُك ربي على كرة القدم، وعلى هبة السماء؛ مارادونا، وعلى هذه الدموع...

على هذه النتيجة؛ الأرجنتين 2، إنجلترا 0».

قميصان مختلفان، ومباراتان مختلفتان؛ إحداهما في نصف نهائي كأس إسبانيا، والأُخرى في ربع نهائي كأس العالَم ضد خصم قوي كالمنتخب الإنجليزي، في أول مواجهة بين المنتخبيْنِ منذ حرب فوكلاند التي دارت رحاها عام 1982م.

تلقـي القضايا التي لا تتعلّق بكرة القدم ظلالها على هذه المباراة بصورة ملموسة، وقد تترك أثرًا سلبيًّا في قلوب المشجعين على أقلّ تقدير، على الرغم من أنّ الجميع يُنكِر ذلك.

البطلان مختلفان أيضًا؛ فالطائرة الورقية الفضائية: مارادونا ذو الخمسة والعشريـن ربيعًا، هو معشوق الجماهير فـي الأرجنتين، وأحد ألمع نجوم الكرة علـى مستوى العالَم. لم يكن ميسي قد وُلِد بعـدُ حين سجّل الفتى الذهبي ذلك الهـدف. إنّه لايزال في التاسعة عشرة الآن، ولم يمضِ سوى عامين تقريبًا على مشاركته الفريقَ الأول للبارسا، والمنتخبَ الأرجنتيني.

حماسـة معلّقي الإذاعـات لا تضاهى: دموع، ومشاعـر أسطورية، وبلاغة أمريكيـة جنوبيـة، مقابـل التحفُّظ الـذي يمتاز بـه المعلِّق الإسبانـي، في هذه المناسبة على الأقلّ، ومع ذلك، فالهدفان متشابهان، جدًّا، وكأنّ أحدهما صورة طبق الأصل عن الأُخرى. إذن، فالانطباع الأول صحيح.

وفي اليوم اللاحق، شهد العالَم أنّ التاريخ يعيد نفسه. لقد حيَّر الهدف كلَّ مَنْ شاهده عبر مقاطع الفيديو (اليوتيوب). وقد عُرِض آلاف المرات، وبجانب هدف مارادونا أيضًا. وفُتِح الباب على مصراعيه لنقاش إلكتروني؛ بغية معرفة أيّ الهدفين أفضل. يدلي الجميع بآرائهم، بَدءًا بالخبراء وانتهاءً بالمتحمّسين، فـي حين تعكف وسائل الإعلام على المقارنـة بين لقطات خاصة بالهدفيْنِ من مختلف الجهات، وتُغدِق المديح على أداء ليو.

تُسمَع العناوين والتعليقات والابتكارات اللغوية وتُقرأ، على اختلاف أشكالها وحجومهـا، بَدءًا بِـ «ميسيدونا»، وانتهاءً بِـ «قدم الـرب»، أو حتى «ميسي يفاجِئ العالَم». لا مجال أمام أحد للإنكار؛ فالأدلة واضحة، حتى بالنسبة إلى الصحف الرياضيـة المتعاطفة مع ريال مدريد، التـي تتحفّظ عادة على تخصيص صدر

صفحاتها لنجاح يحقّقه الغريم التقليدي برشلونة. لكنّها هذه المرّة لا تتردَّد حيال هذا الأمر.

تطالعنا صحيفة ماركا على صفحتها الأولى بالعنوان الرئيس الآتي: «ميسي يكرِّر هدف مارادونا بعد عشرين عامًا، وعشرة أشهر، وستة وعشرين يومًا». في حين نجد في الصفحات الداخلية اقتباسًا من تعليق فيكتور هوغو موراليس: «من أيّ كوكب جئت»؟ ولم يغب عن بال أحد أنّ تلك اللحظة يندر أن تتكرّر في عالَم كرة القدم.

لنأخذ على سبيل المثال الجمهور الذي كان حاضرًا حينها في كامب نو، وبلغ تعداده (53 ,599) مشجعًا، كلّهم واقفون، في يد كلّ منهم شيء يمكن التلويح به؛ سواء صفحة من جريدة، أو جدول المباراة، أو منديل، أو وشاح، الجميع يلوِّح بلا استثناء. أمّا مَنْ لم يتمكَّن من إيجاد شيء لونه مناسب (لا علاقة باللون الذي يرتديه اللاعب بالأمر) (الأبيض في هذه الحالة)، فيشارك في التقليد المتعارف بالتصفيق حتى تؤلمه يداه. إنّه تكريم على أعلى المستويات.

مثال آخر يتمثَّل في اللاعبينَ المنتشرينَ على أرضية الملعب؛ إيتو، وديكو، وغوديونسن. فجميعهم يضعون أيديهم على وجوههم، وكأنّ تعبيرات المفاجأة التي بدت على مُحَيّا كلّ منهم تقول: «يا إلهي، ما الذي فعله توًّا»؟! ولا ينتهي الأمر عند هذا الحدّ؛ إذ يغدق الزملاء والخصوم - على حدّ سواء- المديحَ في أثناء المقابلات التي تعقب المباراة:

- ديكو: «كان أجمل هدف شاهدته في حياتي».
- خوركيرا: «لقد غطى علينا جميعًا».

- باريديس: «أتمنّى ألّا أشاهد نفسي على التلفاز بعد ثلاثين عامًا بسببه».
- غويثا: «لا توجد كلمات تفي ذلك الهدف حقّه. لقد غشيتني الرهبة على الرغم من وجودي على مقاعد البدلاء».

لا يوافق بيرند شوستر، مدرِّب خيتافي في ذلك الوقت، على الأمر، لكنّ الجميع يعرف طريقة تفكير ذلك الألماني؛ إذ قال: «كان على لاعبيَّ إيقافه بالقوة، ولو تطلّب الأمر ارتكاب مخالفة، أو تلقّي بطاقة صفراء. لا غضاضة في ذلك».

بدأ النقاش، وسرعان ما وصلت أصداؤه في يوم واحد إلى مختلف أرجاء العالم. وعلى الرغم من أنّ كرة القدم تحمل في ثناياها كثيرًا من اللمسات الجمالية والإبداعية، لكنّ هناك مَنْ يُصِرّ على تحليلها بالأرقام والإحصاءات.

فلنلقِ نظرة على الأرقام إذن:

- استغرق هدف ليو (12) ثانية، في حين استغرق هدف مارادونا (10,8) ثوانٍ.
- قطع ليو مسافة (60) مترًا مقابل (62) مترًا لمارادونا.
- لمس ليو الكرة (13) مرّة مقابل (12) لمارادونا.
- راوغ ليو خمسة من اللاعبينَ، في حين نجح مارادونا في التخلّص من ستة لاعبينَ.

دُمِجت صور الحدثيْنِ معًا للمقارنة بينهما مباشرة. ثمّ أخذ الناس يبحثون عن أوجه تشابه بينهما كما لو كان الأمر لعبة أطفال. وفي السياق نفسه، قامت صحيفة لا ناسيون الصادرة في بوينوس آيرس بالأمر على أكمل وجه، مُظهِرة عشر نقاط تشابهٍ بين اللعبتيْنِ من البداية حتى لحظة الاحتفال (كلا اللاعبيْنِ يتجه في احتفاليته صوب الراية الركنية الموجودة على يمين الملعب).

من جانبها، أطلقت المواقع الإلكترونية ومحطات التلفزة والصحف كثيرًا من الاستبانات والاستفتاءات. الأسئلة هي عينها تقريبًا: أيّ الهدفين أكثر روعة: هدف البرغوث أم هدف دييغو؟ أيّهما تفضّل؟ في رأيك، أيّهما الأفضل؟

جذب الاستفتاء الذي قامت به صحيفة ماركا (55,000) مشارِك. فضّل ما نسبته (62,60٪) منهم هدف ميسي، في حين كانت النسبة المتبقية (38,39٪) من نصيب هدف مارادونا. النتيجة هي ذاتها في الاستفتاء الذي أجرته إذاعة كادينا سبورت، لكنّ الفارق هنا أقلّ؛ إذ تفوَّق ميسي بما نسبته (52٪) من الأصوات مقابل (48٪) لمارادونا. في حين أظهر الاستفتاء الذي أجرته صحيفة موندو ديبورتيفو تفوّقًا واضحًا لمصلحة مهاجم البارسا (أكثر من 75٪). وفي المقابل، منح (74,3) من المصوتين على الاستفتاء، الذي أجرته صحيفة أولي الأرجنتينية عن طريق موقعها الإلكتروني، أصواتهم لمارادونا. لقد كان هذا أمرًا متوقّعًا؛ لأنّ ذلك الهدف ما زال محفورًا في ذاكرة الأمّة جمعاء. إذ لا يوجد بيت في الأرجنتين لم يشاهد ذلك الهدف بوساطة أجهزة الفيديو، أو الأقراص المضغوطة (دي في دي)، ولو مرّة واحدة على الأقلّ. حتى إنّ لديهم في الأرجنتين دفاتر قلّابة (تقلَّب فيها الصفحات بسرعة لعرض صور متحركة)؛ لتصوير هدف القرن كما يُسمّونه. إنّه أشبه بفيلم بين اليدين؛ إذ تقلَّب الصفحات، ويصبح الأمر كأنّك تشاهد فيلمًا متحرّكًا (تشتمل الأيقونات الأرجنتينية أيضًا على هدف «يد الرب»، والحيل التي كان يؤديها مارادونا بالكرة في مسقط رأسه بفيلا فيوريتو (كان لايزال صغيرًا)، وهدف ماكسي رودريغيز في المكسيك. أمّا بالنسبة إلى ليو ميسي ولحظات المجد خاصته فلم تصبح بعدُ جزءًا من تلك المجموعة المختارة).

من الضروري التنويه بأنّ مارادونا - بالنسبة إلى الأرجنتينيين- ليس مجرّد لاعب كرة قدم، بل هو بطل شعبي، وأسطورة حيّة، ومذهب، فضلًا عن

كونه رمزًا تاريخيًّا وطنيًّا، شأنه شأن خوزيه سان مارتن (الجنرال الذي حارب في أثناء وجوده بإسبانيا؛ كي تحصل الأرجنتين على الاستقلال)، وكارلوس غارديل (مغنّي التانغو الشهير)، وإيفيتا، وخورخي لويس بورغيس (الكاتب المعروف)، أو آرنيستو غيفارا الملقّب بتشيه.

من الطبيعي أن يشعر الأرجنتينيون بتحفّظ حيال استبداله، كما لو كان مجرّد ملصق للاعب.

تُظهِر هذه الاستفتاءات - بلا شكّ- مدى الشغف الذي تشعر به الجماهير على طرفي المحيط. ثمّ يظهر سؤال آخر في خضم النقاش عن أفضل الهدفين، يتعلّق ببنية ميسي، أو بكلمات أُخرى استخدمتها صحيفة لا ناسيون: «هل كان ميسي يحاول تقليد مارادونا؟ هل ذلك ما كان، أم أنّها مجرّد مصادفة غير معقولة؟».

رجل الساعة نفسه هو مَنْ سيبدِّد الشكوك كلّها، فيصرِّح ميسي قائلًا: «ربّما كانت مشابهة، كنت قد شاهدتها (اللقطة الخاصة بهدف مارادونا) بالتلفاز مرّة واحدة فقط، لكنّني لم أتخيّل أن تكون مشابهة لهذا الحدّ. لقد أخبروني بذلك فيما بعدُ، لكنّني لم أكن أُفكِّر في أيّ شيء لحظتها، كلّ ما خطر على بالي هو السعادة التي أحدثها تسجيل هدف».

يوجد هناك المزيد؛ فعندما سُئِل ليو عن شعوره حيال الإنجاز الذي قام به، وصف ذلك الأمر على النحو الآتي: «رأيت ثغرة، وأردت استغلالها، كالعادة، أردت التقدّم إلى الأمام والتسجيل. اقترب منّي اثنان من المدافعينَ، وسدّا عليَّ المنافذ. لذا، أردت أن ألعب الكرة بطريقة (واحد-اثنين) مع أحد زملائي. ولكن، عندما لمحت الثغرة عبرت. من حسن حظي أنّني نجحت».

يذكِّرنا هذا الشرح البسيط، والإشارة إلى مجريات الأحداث كأنّها شيء عادي (وهي كذلك، فالتسجيل هو ما يهدف إليه اللاعب)، بما حدث مع

مارادونـا عام 1986م، أو على الأقـلّ باللحظات التي وصفهـا خورخي فالدانو، حيـن قـال: «يصر دييغو على أنّه حاول إمرار الكرة لي مـرارًا، لكنّه كان في كلّ مـرّة يواجه عقبات تحول دون ذلك»، على الرغم من اقتناعه – في الواقع– بأنّ دييغو «لم يكن بنيّته إفلات الكرة».

منح فالدانو فرصة لمارادونا كي يمرِّر الكرة. وفي حالة ميسي، كان هناك إيتـو. إنّ أوجه التشابه بين الهدفيـن لا تنتهي، بما في ذلك مسألة العرقلة التي اقترحها شوستر، وأيّده فيها أحد المدافعينَ في فريق خيتافي.

لنستمـع إلى رأي أنريكه (هيكتـور) الملقَّب بإل نيغرو، وهو أحد اللاعبينَ الذيـن حضـروا المبـاراة الشهيرة التي جرت علـى ملعب إزتيـكا: «يقولون: إنّ اللاعبيـنَ الإنجليز لـم يحاولوا إعاقة مارادونا. لكنّ الحقيقـة أنّهم لم يتمكّنوا مـن ذلك...! فبمجـرّد وصولهم إلى أيّ مـكان، كان – بـكلّ سهولة– ينجح في تخطيهم». ينطبق ذلك أيضًا على حالة ميسي. فلنتابع معًا سير أحداث القصة.

في أثناء بطولة كأس العالَم في المكسيك، ادّعى هيكتور أنريكه (مازحًا) أنّ تمريرتـه إلى مارادونـا هي التي صنعت الفارق، وساعدتـه (مارادونا) على التسجيـل. يفعل تشافـي الشيء نفسه هنا. ويعلِّق ميسـي على ذلك بقوله: «لقد قال لي: إنّ الجميع يتحدثون عن الهدف العظيم الذي سجّلته، من دون الإشارة إلـى زميلـي، مع أنّه هو مَنْ مـرَّر لي الكرة». لا يوجد هناك وجـه مقارنة بين ما حدث بعد المباراة فـي كلّ حالة؛ فالمناسبتان كانتا مختلفتيْنِ تمامًا إلى جانب أسبـاب أُخرى. ربّما لا يوجد أيّ تشابه بين ما قاله هذان البطلان. قال ليو بعد المبـاراة: «لم يكن شيئًا ذا أهميـة»، ثمّ توجّه بعدئذٍ – بكلّ هدوء– لتناول طعام العشاء برفقـة والده وصديقه بابلو زاباليتا. ولكن، لسوء حظه، يدفعه الاهتمام الإعلامـي إلى الانتقال إلى مطعـم آخر؛ فهناك الكثير مـن الناس في انتظاره عند مطعمه المعتاد. قال ميسي في مؤتمر صحفي مكتظ عُقِد في اليوم اللاحق

فــي كامب نو، بشعره المبلــل نتيجة الاستحمام: إنّه نام بهــدوء، وإنّه لم يتوقّف عند الموضوع للتفكير في الهدف، وما يحمل من معانٍ.

لقــد كان حذرًا وقادرًا على التعامــل بحنكة مع إلحاح الصحفيين، مضيفًا أنّ الهــدف لم يغيّر من الأمــر شيئًا: «لا أشعر بأيّ ضغــوط، سأستمر في اللعب وقضــاء وقت ممتــع كما كنت أفعل دائمًا». ولكن، هنــاك شيء لم يغب عن باله؛ إنّــه الإهداء الذي صرَّح به حينها، ويكــرِّره الآن: «أُهدي هذا الهدف إلى دييغو، متمنِّيًــا له الشفــاء العاجل والخروج من هناك بأسرع وقــت ممكن؛ لأنّ ذلك ما يريده الأرجنتينيون كافة، فضلًا عن عشّاق كرة القدم في كلّ مكان».

دييغو أرماندو مارادونا في المستشفى. لقد أُدخِل هناك على وجه السرعة فــي ليلة الأول مــن نيسان؛ إذ تسبَّب تعاطيه الكحولَ في انتكاس نتج منه التهاب حــادّ في الكبد. كان على وشك الموت كما صرَّح طبيبه الخاص ألفريدو كاهيه. وقد وصلت الأمور إلى حدّ إعلان وفاته في الأرجنتين. ولحسن الطالع أنّها كانت مجــرّد إشاعات، حيث أُخرِج في بداية أيار من عيادة آفرل للأمراض العصبية النفسية التي كان قد دخلها طواعية، في محاولة للتخلّص من إدمانه الكحول.

كان أول مــا فعلــه بعد ذلك، هــو الظهور في البرنامــج التلفزيوني (show match) لســرد جانب من قصته، والنيل مِن كلّ مَنْ حاول دفنه قبل الأوان. ولم ينسَ في أثنــاء هذه المقابلة التي أجراها مع صديقه مارسيلو تينيللي، أن يُعرِّج علــى هــدف ميسي. لنسمع ما قالــه: «لقد بالغ كلّ مَنْ قام بتلــك المقارنة، بالغ بصــورة كبيرة. بدايةً، هدفــي أجمل من هدف ميسي، خاصــة أنّني سجّلته في ظــلّ وجود أحد عشر لاعبًا دوليًّا من المنتخــب الإنجليزي، الذي يُعَدّ أحد أقوى المنتخبــات عالميًّا، وفي أثناء بطولة كأس العالــم. أمّا ليو فقد سجّل هدفه في خيتافــي، ضمن بطولة كأس الملك بإسبانيا. لا يوجد وجه شَبَهٍ مطلقًا». يستعيد

مارادونـا سمعة هدفه، ويتهم مَن انشغل بعمـل المقارنات بالمبالغة. ثمّ يصبح أكثـر حدّة فـي مقابلة أجرتهـا معه – بعد ذلـك بأشهر – صحيفـة إل غرافيكو الأسبوعية التي تصدر في بوينوس آيريس، والتي سألته: ما الشعور الذي راودك حين رأيت هدف ميسي في مرمى خيتافي أول مرّة؟ يجيب بانزعاج: «إنّه لا يشبه هدفـي على الإطلاق». لكنّ الصحيفة تصر على موقفها المعارِض: «نعم، كانت الظروف مختلفة، ولكنّ الحركات متشابهة يا دييغو...». «لا، لا، دعوا عنكم هذا الأمـر، إنّهما مختلفان تمامًا. لقد سجّلـت الملايين من تلك الأهداف في أثناء التدريب، لكنّها لم تصوَّر. إذا كنّا سنتحدث بجدية عن الأمر، فسترغمونني على قول أشياء لا أريد البوح بها...». لا ينتهي النقاش عند ذلك الحد مع الأسف.

ففـي التاسـع مـن شهر حزيـران، خاض فريـق برشلونـة مبـاراة أمام فريـق إسبانيـول. وفيما يأتي التعليق الـذي رافق المباراة علـى إحدى القنوات الأرجنتينية، بعد انقضاء الدقيقة الثانية والأربعين من الشوط الأول:

«لقد حان دور ميسي.

ميسي يواجه الخصم.

ميسي ينقل الكرة إلى إيتو داخل منطقة الجزاء.

إيتو ظهره للمرمى، وهو محاط بأربعة مدافعينَ.

إيتو يتجه بالكرة إلى الخط الجانبي.

زامبروتا...

ميسي لا يستطيع اللحاق بها...

بيده، بيده، مثل دييغو.

سأصرخ بأعلى الصوت على أيّ حال:

هدففففففففففففف!

إنّه دييغو! أعتقد أنّكم توافقونني الرأي. إنّه دييغو بالنسبة إليّ. إنّه الشخص عينه.... لقد تقمّص روحه. نعم، أنا لا أومن بذلك. ولكن... لقد تقمّص روحه. لا يمكن أن يكون الأمر مصادفة كلّ مرّة. قولوا لي: كيف لحادثتين أن تتكرّرا بمثل هذا الشكل، بمثل هذا الشكل المتطابق، ومن شخصين مختلفيْنِ... ميسي، أو بالأحرى مارادونا بملابس ميسي، ينزل إلى الملعب، وهو يرتدي قميص برشلونة، ثمّ يعدِّل النتيجة بيده اليسرى».

لأولئك الذين ما زالوا في شكّ من أمرهم، ها هو ذا تعليق مايكل روبنسون من قناة ديجيتال +: «لقد سجّل هدفين على الطريقة المارادونية في موسم واحد. هدفان سُجِّلا في مرمى منتخب إنجلترا، وهنا في مرمى فريق خيتافي وإسبانيول. لقد كرَّر كليهما».

يد الرب تضرب من جديد، بكلّ ما في الأمر من أوجه شبه ونقاشات. في الثاني والعشرين من شهر حزيران عام 1986م، توقّع مارادونا خروج بيتر شيلتون، الذي يفوق طوله طول مارادونا بخمسة عشر سنتيمترًا، عن مرماه. كما تغلّب ميسي على حارس المرمى كارلوس كاميني بالقفز، مع أنّ هذا الأخير أطول منه بتسعة عشر سنتيمترًا. وعلى الرغم من احتجاج اللاعبينَ الإنجليز، فقد أقرّ الحكم التونسي علي بن ناصر بصحة الهدف عند إشارة الحكم المساعد إلى منتصف الملعب. وعلى الرغم من التقنيات المتوافرة عام 2007م، فقد أحبط الحكم رودريغز سانتياغو لاعبي إسبانيول باحتساب الهدف. يتردّد مارادونا في الإقرار بما يعرفه الجميع: «إنّ يد الرب لم تكن سوى يد دييغو! وهي اليد نفسها التي سرقت من الإنجليز».

وفي المقابـل، لا يأسف ميسي بعد المباراة على شيء باستثناء أنّ الهدف – كما يقول- «لم يجلب لنا الكثير؛ نقطة التعادل فقط». وليس البطولة. وقد احتفل «بطريقة عادية لا تخلو من الفرح عند تحقيق التعادل». من المؤكَّد أن لا سبب للشعور بالخجل لفعل شيء ماكر مثل ذلك.

دييغـو وليونيل، ميسي ومارادونا، الأستاذ والتلميذ. وفي هذا السياق، ألَّف أرييـل زاراتي الملقَّـب بالنمر، وهو فنّان يبلغ من العمر تسعة وعشرين عامًا من إنتري ريوس، وعضو من فرقة تضم أربعة موسيقيين أرجنتينيين؛ أغنية سمّاها (El Pie de Oro llego)، وتعني «وصلت القدم الذهبية». أمّا كلماتها فمستوحاة من لقب مارادونا (El Pipe de Oro)؛ أي الفتى الذهبي.

تقول كلمات هذه الأغنية:

في الرابع والعشرين من حزيران عام 87

بعد عام من فوز الأرجنتين بالبطولة

وُلِد نجم، حلم جديد

وُلِدت القدم الذهبية في روزاريو

لاعب عظيم وصغير، يراوغ على نحوٍ ساحر

لعب في صفوف أشبال نيولز أولد بويز، عندما كان في السابعة من العمر

تخلّوا عنه هنا حين عانى المشكلات

وكان عليه أن يهاجر، ويذهب إلى إسبانيا

جعل من برشلونة بيته الثاني

ونجح بفضل التضحيات والحبّ

شارك أول مرّة مع البارسا عام 2004

وحقَّق حلمه مع منتخب دون سنّ العشرين

(وصلت القدم الذهبية)

(لازمة)

هيّا يا ليونيل

العالَم كلّه في انتظار أن يراك تجري من جديد

نريد رؤية السحر الذي تنثره قدماك

(إعادة)

لديه قلب كبير كالأسد

ينشر الأمل عندما يدخل الملعب

يريد المشجعون أن يهتفوا حين يسجّل

في مباراة يرتدي فيها الأزرق السماوي والأبيض

نهتف لك من كلّ زاوية

المنتخب الوطني يحدوه الأمل

نريد رؤيتك مع الأرجنتين متوَّجين بالبطولة!

(لازمة)

يشتعل الحماس عبر العالَم

نريد رؤيتك مع الأرجنتين متوَّجين بالبطولة!

لـدى ميسي الآن كاتب أغـانٍ خاص به، كما كان حال: مارادونا، الذي كان له ال بورتو رودريغو. لقد تحدث الكثيرون، وكتبوا عن أوجه الشبه بين الاثنين، فضــلًا عن الأغاني طبعًا، حتى قبل الهدف الذي سجِّل في شهر نيسان من عام 2007م. لطالمـا كان ميســي يقـارَن بمارادونا بصـورة أو بأُخـرى. كان مدرِّبوه فـي نيولــز هم أول مَنْ عمد إلى تلـك المقارنة، بَدءًا بأنريكـه دومينغيز، مرورًا بأرنيستــو فيكيـو، وانتهاءً – طبعًـا – بأدريان كوريا. يصر فيكيـو على المقارنة قائــلًا: «لقد شاهدته يؤدي حركات مذهلة بالكرة لم يتمكّن مارادونا من أدائها حينما كان فــي ذلك العمر». يشير غويرمو أويوس، مدرِّب ليو في فريق الشباب (ب)، إلــى هذا الجانب نفسه، قائلًا: «ميسي هو الأكثر شبهًا بمارادونا من بين كلّ اللاعبيــنَ الذيــن رأيتهم في حياتي، خاصة من حيــث الدافعية والتصميم. لقد قلب ليو وحده نتائج عشرات المباريات! إنّه مثل دييغو؛ يتعرّض للهجوم مرّة تلو الأُخرى، لكنّه يواصل، كأنّه ينبعث من الأرض. الطريقة الوحيدة لإيقافه هي قتله. لا يجد صعوبة في تدبّر أمره. يتحكّم في الكرة بباطن قدمه، وكلّ ما عليه التكفُّــل به عندئذٍ، هو السرعة. لديه حقًّا إحساس جيد بالكرة، وهو أمر يفعله على نحوٍ مختلف عن أيّ لاعب آخر».

ومنــذ ذلك الحين، أخذ الكثيرون يتحدثــون عن هذا الأمر، عند تطرُّقهم إلــى كلّ مرحلة من مراحل حياة لاعب البارســا رقم (19) المهنية. فعلى سبيل المثــال، يقــول اللاعــب السابق صاحــب الرقــم (10) في نادي ريفــر بلايت؛ نوربيرتــو ألونسو: «لديه صفات تذكِّرني بمارادونــا، مثل: طريقته في الانطلاق إلــى الأمام كالقذيفة، وسرعته في اللعب أيضًــا. ويملك دييغو تلك النظرة التي من شأنها تغيير شكل المباراة، أمّا ميسي فلا».

لا يســاور مدرِّب نــادي آرسنال آرسين فنغــر أيّ شكّ فــي «أنّ ميسي مثل مارادونــا. ولكن، مع محــرّك نفّاث مُثبَّت إلى قدميــه». ولا يساور الشكّ لاعبينَ

حاليينَ وسابقينَ؛ إذ يقول إيتو: «ميسي هو دييغو مارادونا المستقبل». في حين يقول ديكو: «إنّه يذكّرني بمارادونا كثيرًا. أحيانًا أسمع الناس يقولون: إنّ عليه الحذر من تأثير الشهرة؛ لكي يتجنّب ما حصل لمارادونا. لكنّ الحال مختلف مع ليو؛ فهو يعيش في بيئة صحية، يتمتع فيها بالحب والحماية». يقول فرانتز بكنباور من جانبه،: «عندما نشاهده يجري بالكرة فإنّه يمنحنا سببًا منطقيًّا للتفكير في مارادونا حينما كان في أفضل حالاته». بعضهم لا ينكِر أوجه التشابه، لكنّهم يرسلون بكلمات التحذير إلى ميسي. ومن هؤلاء هكتور أنريكه الملقب ال نيغرو، الفائز ببطولة كأس العالَم عام 86 رفقة المنتخب الأرجنتيني؛ إذ يقول: «بين ميسي ومارادونا، هناك أمران مشتركان، هما: أسلوب الجري، والسرعة. فقد امتلك دييغو طريقة خاصة بالجري تمثَّلت في خطوات صغيرة كفيلة بسحق المنافس، وكذا الحال بالنسبة إلى ليو الذي كان يصعب أخذ الكرة منه. لكنّ الأهم من ذلك، هو أنّه لا يُسدِّد كيفما اتفق، بل ينظر إلى القائم البعيد ويراوغ من اليمين إلى اليسار مثل دييغو. لا تكمن المشكلة في مقارنته بمارادونا، بل في اعتقاده الجازم أنّه مارادونا أصلًا». ذلك شيء يقلِق غابرييل باتيستوتا أيضًا؛ إذ يقول المهاجم السابق لنادي فيورنتينا، والهدّاف التاريخي للمنتخب الأرجنتيني: «يتعيّن على ليو عدم تقليد مارادونا، ينبغي له الاستقلال بشخصيته، وبذل قصارى جهده. وفي حال لم يفعل ذلك، فإنّه سيكون مارادونا الثاني، حتى إن نجح في الوصول إلى مستوى هذا الأخير».

الأصوات المعارضة قليلة، أحدها يصدر من بيليه، على الرغم من أنّ الوضع هنا طبيعي بالنظر إلى العلاقة المتوترة التي تربطه بمارادونا. (الملك) مقتنع أنّ «ميسي مختلف. كان مارادونا ينطلق من الخلف. في حين كان ميسي أسرع منه بقليل. لكنّ دييغو كان متكاملًا بصورة أكبر».

مصدر أحد الأصوات المعارضة الأُخرى، هو سيزار لويس مينوتي الملقَّب بال فلاكو، الـذي انتقى التشكيلة المشاركة في بطولة كأس العالَم عام 1978م؛ إذ يقـول: «إنّه ليس مارادونا الجديـد. كلّما ظهر صبي يحسم نتائج المباريات، ويتمتـع بمهـارات وقدرات فنية جيدة؛ سواء في الأرجنتيـن، أو في أيّ مكان من العالَم، قـام العالَم أجمع بتنصيبه مارادونا الجديـد. ميسي لاعب ماهر جدًّا، أشـول، قـوي، أرجنتيني يلعب لبرشلونـة. لكنّه ليس مارادونا، إنّـه ميسي». أمّا الكاتب والصحفي وعالِم النفس والتر فارغاس فيتناول الموضوع بحسم، ويصر في كتابه (football delivery) على أنّ «ميسي لم يكن مارادونا، ولن يكون كذلك فـي يوم من الأيـام. ليو- في رأيي- لن يصل إلى تلك المرتبـة أبدًا، وأعتقد أنّ مجرّد الاقتراب منها هو أمر صعب حقًّا».

هنـاك الكثير من الآراء المتباينة. ولكن، هناك المزيد؛ فاللجنة الأولمبية الأرجنتينيـة تُعِدّ دراسة يشرِف عليها ميغيـل توديري، وهي تتضمّن مقارنة بين اللاعبيـنَ بأسلوب علمـي. أمّا النتيجة فأمور بدهية. فقـد أظهرت الدراسة أنّ ميســي ومارادونا يتمتعـان بصفات جسديـة متشابهة، من حيـث: وجود مركز جاذبيـة الجسم في جزئه السفلـي، والكتلة العضلية، والطـول، والوزن، وتطور الأداء، فضلًا عن أنّ كليهما أشول بالطبع.

مـن الأفضـل النأي بالعلم جانبًا في مثل هذه الحـالات، والتجوّل في بوينوس آيرس قرب ملعب البوكا لا بونبونيرا، للتحدث إلى المشجعين؛ كبارًا وصغارًا. علمًا بأنّ رودريغو، الذي يرتدي قميص البوكا الأزرق والأصفر، لا يودّ الاستماع أو التحدث فـي المسألة. لقد سبق له رؤية مارادونا يلعـب. لذا، فإنّه يرفض سماع أيّ مقارنة. وفـي المقابل، أخذ يعـدِّد نقاط الضعف لـدى ميسي، بَدءًا بعـدم إتقان الضربات الحرّة، وانتهاءً بطريقة تعامله مع المباراة، ومجَّد نقاط القوة لدى مارادونا، سائلًا محـاوِره عمّا إذا كان قد شاهـد الأهداف الأولى التي سجّلها صاحب الرقم (10)،

فـي أثناء لعبه مع نـادي أرجنتينيوس جونيورز. لننتقل إلـى لويس الذي تعرف من النظـرة الأولى أنّه من مشجعـي البوكا؛ بتعليقه صورة لمارادونا في متجره، مكتوبًا عليهـا: «أبناؤك وأحفـادك سيسألون عنـه». ولكن، في أثناء تجوّلنـا في الشوارع، يفاجئنـا بعض الأطفال بلعب الكرة. يرتدي اثنان منهما قميص البارسا الذي كُتِب عليـه اسم ميسي. يقول جوليـان البالغ من العمر عشر سنوات، والأكثر شجاعة في الحديث: «أنا من مشجعي البوكا، لكنّني أحبّ ميسي، أحبّ طريقة لعبه».

قـد يكـون للإعجاب والمفاضلة هنـا علاقة بالعمر. يشـرح هوريشيو ديل بـرادو، المعلّق في راديو ناشيونـال بالأرجنتين هذا الأمر، قائـلًا: «كتب راؤول غونزاليس تونيون في واحدة مـن أجمل قصائده (الشاعر الـذي وافته المنية فجـرًا): «بعض الناس، من الأكبر سنًّـا، حرموه عند البدايـة. آخرون، أصغر سنًّـا، حرمـوه فيما بعد». ذلك ما يحـدث في عالَم كرة القـدم جيلًا بعد جيل. وهـذا هو حال ميسـي الآن؛ إذ ينسى الكبار، الذين يصرون علـى أنّ ميسي لن يصل إلى مستوى مارادونا، ما يقوله الجميع عندما يبزغ نجم لاعب جديد: «لن ينجح». قالوا: إنّ مارادونا ممتلئ الجسم، وصغير الحجم، وإنّه لن يصبح بطلًا كاللاعبيـنَ العظماء. كان الحارس الكبير هوغو غاتي أحد أكثر مَنْ تكلّموا عن سمنة مارادونا، لكنّ دييغو عاقبه بتسجيل أربعة أهداف في مرماه».

لندع الآراء جانبًا، ولنطلع علـى أسباب أُخرى وراء ديمومة تلك المقارنة. الأمـر بسيط؛ فمنذ أن اعتـزل مارادونا عـام 1997م والأرجنتينيون –وآخرون أيضًـا– يبحثون عن خليفة له. الأمر عادي ويحصـل كلّما اعتزل لاعب عظيم. يحتـاج الناس فـي البداية إلى بعض الوقت لتقبُّل فكـرة رحيل أسطورة، ثمّ إلى وقت آخر لإيجاد مَنْ يذكِّرهم بالأسطورة، وينثر السحر المفقود. وأنّى نجد مَنْ يجعلنا نتذكّر تلك الأيام الخوالي؟ فالذكريات عنصر مهم في كرة القدم، فضلًا عـن أنّهـا عامل رئيس للترويج؛ فـإذا أردنا أن نرفع من شـأن (قيمة) أيّ لاعب

شـاب فكلّ ما علينا فعله هـو تسميته بِـ «بيليه الجديـد»، أو «مارادونا الجديد». فبذلـك يعرف الجميع ما نقصده. وفي المقابـل، فقد يساء فهم ذلك الوصف؛ نظرًا إلى عـدم مناسبته للاعب المعنيّ، أو عجز المرشَّح للخلافة عن الوصول إلـى مستوى عالٍ مـن الأداء. وذلك ما كان عندما أُطلِق لقب «مارادونا الجديد» علـى كلّ من: أرييـل أورتيغا، وبابلو أيمـار، وخوان رومان ريكيلمـي، والأباتشي تيفيز؛ إذ من الصعب حمل تاج كهذا. ويصعب الأمر أكثر عندما تظهر كثير من المفاجـآت كما في حالة ميسي؛ فهـو صغير الحجم، وأشول، وترعرع في نيولز، حيـث كان مارادونـا قد قضـى بعض الوقت، ثـمّ كبر في نـادي برشلونة، حيث لعـب مارادونا أول مرّة خـارج الأرجنتين، وبطل كأس العالَـم للشباب دون سنّ العشريـن، تمامًا مثل مارادونـا (بطولة كأس العالَم عـام 1979م). وكانت أول مشاركـة له مـع المنتخب الأول أمام المجر، تمامًـا كمارادونا. ثمّ تتعقّد الأمور أكثـر عندما يقوم مارادونا بدعوتك إلى برنامجـه التلفزيوني (ليلة الملك رقم 10)، وينصِّبـك أنـت تحديدًا خليفة لـه، حيث يقول: «لقد اختيـر ميسي ليكون مـن بين العظمـاء. يعتقد بعضهم أنّه نجح فعلًا في الأمر. ولكن، في رأيي، فإنّه بدأ اللعـب توًّا. باستطاعته بذل المزيد ومضاعفة جهوده، وحينئذٍ، ستكون تلك لحظة المجد بالنسبة إليه».

وحيـن يُطرَح عليه سؤال من صحيفة إل غرافيكو بخصوص هذا اللاعب، فإنّـه يجيب بأنّ ميسي هو حقًّـا أفضل لاعب أرجنتيني في الوقت الحالي. ولكنّه حين يُسأَل: هل سيتمكّن ليو من تخطيك؟ يجيب قائلًا: «إذا كان ذلك الأمر في مصلحة كرة القدم الأرجنتينية فسأكون سعيدًا من دون شكّ».

مـن المُلاحَـظ أنّه علـى الرغم مـن كلّ تصريحاته وبركاته، فـإنّ الملك القديم لايزال متحفِّظًا حيال التنازل عن عرشه. لذا، فقد حان دور المقلِّد لكي يثبت جدارته بالجلوس هناك.

الفصل الثامن والعشرون

أمامه كثير من الوقت

حوار مع فرانك ريكارد

منفضــة سجائــر، وعلبة سجائــر، وعلبة بيبســي، ويبدأ الحديــث. يشعر المــدرِّب السابق لنــادي برشلونة بالاسترخــاء؛ فليس لديه مواعيــد مستعجلة، ويرحِّــب بحديث مطوَّل عن الفتى الــذي لعب للفريق الأول أول مرّة في السادس عشر من شهر تشرين الأول عام 2003م.

لقد لعبْتَ مباريات حماسية مع نـادي ميلان في مواجهة فريق نابولي مارادونا، وكنْتَ مدرِّب ميسي خمس سنوات. أنتَ باختصار أفضل مَنْ يقرِّر ما إذا كان ميسي هو مارادونا الجديد أم لا.

«لــديَّ كثير مــن الذكريات عن مارادونــا؛ تلك الصدامات مــع نابولي في البطــولات الإيطالية كانت فعلًا تاريخية. ولكــن، عندما لعب دييغو في إيطاليا، كان عمــره (26) و(27) عامًــا؛ أي إنّــه كان قــد وصل إلى أعلــى مستوى لديه. ميســي ما زال صغيرًا، وما زال أمامه الكثير مــن الوقت. أنا أُدرِك لماذا يقارن الكثيــر من الناس بيــن ليو ودييغو؛ فكلاهمــا من الأرجنتيــن، وصغير الحجم، ولديهمــا كثير من الصفات العظيمة، لكنّ المقارنــات معقَّدة دائمًا. في أيامي، كان مارادونــا يمثِّــل كرة القدم. مــن الواضح أنّه كان وسيبقــى كرة القدم بحدّ

ذاته. ليو لاعب فريد. ولكن، إذا أردنا مقارنته بمارادونا، فعلينا الانتظار إلى حين انتهاء مسيرته في الملاعب».

وماذا عن هدفه في مرمى خيتافي؟

«رأيت كثيرًا من كرة القدم؛ وكثيرًا من اللاعبينَ العظماء، وكثيرًا من الأهداف... هدف ميسي في خيتافي من أجمل ما رأيت في حياتي. لقد كان عملًا فنيًّا أصيلًا. أذكر أنّي شعرت بسعادة لا توصف من أجله، ومن أجل الفريق والجماهير، لكنّي أقول بصدق: إنّني لم أُفاجَأ».

لماذا؟

«لأنّني أُحسّ بالأمر في أثناء التدريبات بصورة يومية؛ فعندما يلعب، أعرف أنّه قادر على عمل أمور خارقة، أمور مثل تلك».

إذن، أنت لم تُفاجَأ حين بدأ النقاش عن مسألة مدى التشابه بين هدفه والهدف الذي سجّله مارادونا في بطولة كأس العالَم بالمكسيك عام 1986م؟

«عرفْتُ أنّ ذلك سيحدث؛ لأنّهما حقًّا متشابهان، مع أنّني أعتقد أنّ تسارع ليو كان أكبر منه لدى مارادونا. لقد نُشِرت آلاف مقاطع الفيديو الخاصة بالهدفين على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، وشاهدت شخصيًّا نحو عشرين آخرين يشبهانهما على الأقل».

لنعد إلى أول ظهور لميسي مع الفريق الأول.

«كان ميسي موهوبًا مُذْ كان في أكاديمية الشباب. ولكن، كان علينا الاحتفاظ برأينا. على المرء أن ينتظر في مثل هذه الحالة؛ فالانتقال إلى الفريق الأول أمر ليس بالسهل. إنّه الامتحان الحقيقي. حسنًا، لقد فاجأنا ليو جميعًا، فبدل أن يواجه صعوبات، أصبحت مهاراته تتطور بفضل اللعب إلى

جانب لاعبينَ كبار. أدرك الجميع في مباراة كأس خوان غامبر ضد يوفنتوس قيمة ذلك الفتى».

ما أبرز صفاته؟

«كان لا يحفل إذا كان في الملعب عشرة مشاهدينَ، أو مئة ألف مشاهد. ليو هو نفسه على الدوام؛ يشعر بالأمان، ويرغب في الفوز دائمًا. إنّه من الفتيان الذين يقولون دائمًا: «أعطِني الكرة، أريد أن ألعب، أريد أن أُبدع، أريد أن أُري الجميع موهبتي». وحينما يحصل عليها، تصبح مهمة إيقافه من دون ارتكاب خطأ أمرًا صعبًا. إنّه سريع جدًّا، ولديه قدرة فائقة على التحكّم في الكرة، لمساته متقنة، وهو يراوِغ بطريقة قَلَّ نظيرها في عالَم كرة القدم. ولا ننسى قدرته الفائقة على الاندفاع نحو مرمى المنافس. وعلى الرغم من قصره، إلّا أنّه قوي جدًّا. يمكنك ملاحظة ذلك عندما يلتحم مع لاعبينَ آخرينَ؛ إذ من الصعب طرحه أرضًا».

كيف تغيَّر على مدار السنين؟

«عندما بدأ اللعب مع الفريق الأول، كان فتًى متزنًا، هادئًا، خجولًا جدًّا، يحترم الآخرين. لقد تغيَّر كثيرًا بمرور الأيام. ولكن، من دون تخلّيه عن أيٍّ من تلك الصفات. لقد أصبح الآن أكثر ثقة بنفسه، وأكثر وعيًا بعِظَم أهميته للفريق. الجميع يقدِّره، وهو يعي ذلك جيدًا. لم يتغيَّر سلوكه، لكنّه لم يعد ذلك الصبي الصامت كما كان قبل سنوات خلت. لقد أصبح أكثر مرحًا، ويحبّ المزاح حين يكون مع زملائه في الفريق، أو محاطًا بأشخاص يعرفهم... يجدر بي القول: إنّ الفريق عامله معاملة جيدة منذ البداية، وإنّه تكيَّف مع زملائه في المجموعة. وقدَّم له كلّ من: سيلفينهو، وديكو، ورونالدينو المساعدة والنصح. دائمًا ما يميِّز اللاعبون العظماء اللاعبَ الفريد من نوعه».

ما نوع العلاقة التي كانت تربطك بليو؟

«أهتم كثيرًا لأمره. وقد شعرْتُ في البداية بأنّه في حاجة إلى تعاطف ودعم منّي؛ نظرًا إلى صغر سنّه. وارتأيت فيما بعد أنّ تلك الحاجة أخذت تقلّ شيئًا فشيئًا؛ فقد أصبح يعرف خياراته جيدًا، ويدرِك كيف تسير الأمور في عالَم كرة القدم. لقد تحمّل الكثير من المسؤوليات، وسيتحمّل المزيد بمرور الزمن؛ من أجل زملائه في الفريق، وناديه، والأعضاء المساهمين فيه. لقد نضج على نحوٍ يتيح له فعل ذلك، وتمكّن من تطوير قدراته ومهاراته في حياته الشخصية والكروية. لقد مرّ بلحظات رائعة، وبأُخرى صعبة جدًّا».

صِفْ لنا شعورك حينما أُصيب في مباراة الفريق أمام تشيلسي، وقمت بحضنه كما لو كنت والده؟

«كان ذلك شيئًا طبيعيًّا بالنسبة إليَّ؛ فقد أحسست بمعاناته، وكنت أعرف مدى رغبته في لعب تلك المباراة. إنّ التعرّض للإصابة شيء لا يُحتمَل. كلّ ما كنت أستطيع فعله هو التخفيف عنه بقول: «لا تقلق، ستكون على ما يرام، وستتعافى سريعًا». كانت لحظة مؤثّرة نابعة من عواطف جيّاشة، لحظة جميلة على الرغم من قساوتها. ولكن، يتعيّن عليك دائمًا التعامل مع لحظات كتلك في مهنة التدريب. إنّها أمور تزيد من نضجك، وتزيدك حماسًا للعب، والوصول إلى القمّة».

حدّثنا عن إحدى نصائحك لليو، أو عن أهم نصيحة أسديتها له.

«إنّه أكثر اللاعبينَ استحواذًا على الكرة، والإفادة منها؛ إمّا بالتسديد، وإمّا بالتمرير. لذا، كنت أُذكِّره دائمًا بعدم المراوغة كثيرًا؛ حتى لا تزيد احتمالية فقدان الكرة، أو التعرّض للإصابة. كنت أقول له مرارًا: «لا يمكنك المراوغة طوال تسعين دقيقة، ولا يمكنك مراوغة عشرة لاعبينَ وحارس مرمى

فـي كلّ مبـاراة. يمكنك فعل ذلك مـرّة كلّ سنة، لا كلّ أسبوع». تلـك كانت أبرز النصائـح التـي أسديتهـا له، ويبدو أنّه أخـذ بها. وقد تمثَّل ذلـك جيدًا في هذا الموسـم؛ إذ نجـح إمّـا بتسجيل هدف أو هدفيـن في كلّ مبـاراة، وإمّا بصناعة هدف لزملائه. باختصار، لقد طوّر من طريقة لعبه، وأظهر مستوًى ملحوظًا من النضـج الكـروي. لقد كان في حاجة إلى ذلك؛ نظرًا إلـى قدرته على استشراف مجريـات الأمور على أرض الملعب أكثر من بقيـة اللاعبينَ. لقد تميَّز بالإبداع، والقدرة على صنع الأهداف، والظفر بالبطولات مقارنة بالآخرين. ما يتعذّر عليه فعله هو إرهاق نفسه من دون داعٍ، وتوزيع مجهوده، وعدم إحداث فرق يُذكَر».

يشعـل ريكارد سيجـارة أُخرى، ثمّ يُكمِل منظومة أفـكاره قائلًا: «يراودني إحساس حيال مارادونا، أنّه كان قادرًا على البثّ، وهو أمر يقوم به ميسي الآن: بثّ المتعـة في اللعب. إنّهما شخصان يستمتعان بالكـرة، ويبدو أنّهما في بحث دائم عنها... ولا يفتران عن قول: هيّا بنا نلعب».

الفصل التاسع والعشرون

عليك إثبات ذلك

حوار مع كارلوس سلفادور بيلاردو

سَمِّه الحكيم، أو الأستاذ، أو الرجل الغامض، أو الأب الروحي لمدرسة جديدة من الأفكار المتعلّقة بكرة القدم (البيلاردوية بطبيعة الحال)، أو ببساطة صاحب الأنف الكبير. كلّها ألقاب حصل عليها بيلاردو خلال مسيرة ناجحة؛ لاعبًا ومدرِّبًا، في بلده الأرجنتين وخارجها. فلسفته معروفة هي: «المهم هو الفوز»، و«لا أحد يتذكّر الوصيف»، ولا ننسى بالطبع «المباراة النهائية مسألة حياة أو موت».

الآن، وبعد مدّة قصيرة قضاها في مجال السياسة، وهو يعمل مستشارًا رياضيًّا لمنطقة بوينوس آيرس، عاد الطبيب الذي كرَّس حياته لكرة القدم إلى حبّه الحقيقي؛ فهو الآن المدير العام للمنتخب الأرجنتيني. وكما جرت عليه العادة، فإنّه يحبّ أن يتعاطى أمورَ كرة القدم بصراحة وتهكّم معروفَيْنِ معتادَيْنِ.

قد تكون أنت المدرّب الأقرب إلى مارادونا. فقد امتدت علاقتكما طويلاً في المنتخب الأرجنتيني الفائز ببطولة كأس العالَم عام 1986م، وفي البطولة نفسها عام 1990م بإيطاليا، حين وصل الألبيسيليستي إلى

المباراة النهائية، وفي نادي إشبيلية. وكنت بجانبه في بطولة كأس العالَم عام 2010م. باختصار، أنت تعرف مارادونا حقّ المعرفة، وتتابع مراحل تطوّر ميسي، ما يقودنا إلى السؤال الآتي: هل ليو هو مارادونا الجديد؟

«عندما يظهر لاعب جديد على الساحة؛ سواء في الأرجنتين أو غيرها، فإنّ الجميع يعمد إلى مقارنته بمارادونا. وفي واقع الأمر، فقد حصل كثير من اللاعبينَ على هذا اللقب... ولكنّ المشكلة تكمن في ضرورة إثبات هؤلاء اللاعبينَ - بصورة دائمة - أنّهم يماثلونه في المستوى.

أثبت مارادونا في أيامه أنّه الأفضل في العالَم. ومع أنّ ميسي يؤدي على نحوٍ طيب، ويسير في الاتجاه الصحيح، إلّا أنّه لم ينجح في الفوز بكأس العالَم بوصفه قائد الفريق، لذا، فإنّه لن يصل أبدًا إلى ما وصل إليه مارادونا. حدث ذلك لكثير من اللاعبينَ العظماء الذين لم يتمكّنوا من الفوز بكأس العالَم، أقصد هنا خوليت، وكرويف، وبلاتيني.

لندع الحديث عن المستقبل جانبًا، ولنتحدث عن هدف ميسي في مرمى فريق خيتافي، وهدف مارادونا في مرمى منتخب إنجلترا الذي شهدته في أثناء جلوسك على الدكّة.

«إنّهما هدفان متشابهان. ولكن، في وضعين مختلفين؛ فأحدهما كان على مستوى المباريات الدولية في ربع نهائي بطولة كأس العالَم، والآخر على مستوى الأندية في النصف النهائي لبطولة كأس الملك».

مفهوم... ولكن، هل فوجئت بذلك؟

«ما فاجأني هو الطريقة التي جُنَّ بها جنون إسبانيا حيال ميسي؛ إذ اقتصر حديث الجميع على هذا الهدف، حتى إنّهم هنا قاموا بعرضه على التلفاز مرارًا وتكرارًا».

وما رأيك فيه من ناحية تكتيكية؟

«مـا فاجأني أنّه حافظ علـى مستوى قوة ثابت من لحظـة استلامه الكرة حتى إحرازه الهدف. مارادونا كان يغيِّر من إيقاعه. أمّا ميسي فدائمًا ما يتحرّك بالطريقـة نفسها. إنّه يحاكي الأسلوب ذاتـه الذي يتبعه اللاعب الأشول عندما يلعب علـى الجهة المعاكسة لقدمـه (الجهة اليمنى في حالـة ميسي). فعندما يحصل مثل هذا اللاعب على الكرة في الجهة اليمنى، فإنّه يتحرّك إلى العمق، بحيث ينكشف المرمى أمامه بالكامل، وتصبح مهمة التسجيل أسهل».

أيّ الهدفين تفضّل؟

«مـا زلت أُفضِّـل هدف مارادونـا؛ فهذا الأخيـر نجح في تخطـي لاعبينَ مندفعيـنَ نحوه، فيما قام لاعبا خط الدفاع الوسط بالهجوم عليه بشكل متوالٍ؛ بدايـة ببوتشـر، متبوعًا بفينويك. أمّـا ميسي فركض نحـو (30) مترًا من دون أن يحـاول أحـد صدَّه. لذا، فقد تمكَّن من لمس الكـرة – بصورة أكبر- بقدمه اليمنـى الضعيفـة. إنّه يسيِّر الكرة باليمنى، ويـراوغ باليسرى. وكان صعبًا على المدافعينَ إيقافه؛ لأنّه كان يأتي مندفعًا، وبسرعة كبيرة؛ ما اضطر لاعبي خط الدفاع الوسط إلى الاصطفاف على صورة حائط في انتظار قدومه، وذلك حتمًا يجعل مهمته أسهل».

ميسي ومارادونا... لنتحدث عن صفاتهما.

«لقـد تميَّـزا بقدرتهما على حسـم المباراة في الربع الأخيـر من الملعب، وبخطواتهمـا الصغيـرة والسريعة؛ مـا جعل انتـزاع الكرة منهما أمـرًا صعبًا، وتميَّزا بتسديداتهما القوية».

هل لك أن تقارنهما من جوانب أُخرى؟

«المقارنة صفة أبديـة في كرة القدم؛ فكم من مرّة قورن مارادونا ببيليه، أو ببلاتينـي، أو بكرويـف لتحديد الأفضـل. لكنّ الأوقات تتغيّـر، تمامًا كما في الطبّ؛ فالمعرفة التي يمتلكها الطبيب اليوم لن تكون نفسها بعد عشرين عامًا».

هل تودّ إضافة أيّ شيء آخر؟

«أنـا لا أعـرف ميسي حـقّ المعرفة. أمّـا بخصوص دييغـو فباستطاعتي القـول: إنّه رجل على علم بكرة القدم التي يلعبهـا؛ سواء من ناحية تكتيكية، أو فنية».

الفصل الثلاثون

خيبة أمل

الخامس عشر من تموز عام ٢٠٠٧م

الحـزن والغضب همـا شعوران مـن مشاعر كثيـرة لازمت تفكيـر ميسي وكلامـه في منتصف شهر حزيران. أمّا مـردّ ذلك فبسيط؛ إذ لم يفز برشلونة بـأيّ من الألقاب التي وضعها نُصب عينيـه. وكان عليهم أن يرضوا بلقب واحد من أصل ثمانية ممكنة، هو كأس السوبر الإسباني فقط. نتيجة مخيّبة ولا شكّ. إنّ الشعـور بالسوء حيال الأمر، هو شيء طبيعي بالنسبة إلى شخص لا يفكِّر إلّا فـي الفوز، مثل البرغوث. يقول فـي مقابلة له مع مجلة فرانسـ فوتبول: «بدأنا الموسـم علـى نحوٍ طيب. ثمّ أُقصينـا من دوري الأبطال مبكّـرًا. عندئذٍ، ظننا أنّ الأمـور ستصبح أسهل، فوجدنا أنفسنا خارج كأس الملك. يغدو الأمر مؤلمًا حينما تتضافر تلك العوامل كلّها بعضها مع بعض».

لا يتطـرّق ميسي إلى الحديث عن الـدوري، الذي عُدَّ أقوى الضربات التي وُجِّهت إلى الفريق. كان يبدو أنّ البلاوغرانا قد ضمنوا اللقب منذ شهر شباط، وأنّ الأداء الـذي يقدِّمـه ريال مدريد بقيـادة كابيللو ما هـو إلّا محاولة للإبقاء علـى الحظوظ، والدفاع عـن أنفسهم أمام وسائل الإعـلام. لكنّ الحال انقلب؛ إذ خسـر البارسـا نقاطًا كثيرة في الخطوات الأخيرة مـن البطولة، خاصة تلك

التي خسرها أمام ريال بيتيس وإسبانيول، وأهدت اللقب إلى البلانكوس. لماذا لم يعرض البارسا مكافآت على نادي مايوركا؛ خصم الريال في المباراة الأخيرة التي ستقام في السابع عشر من شهر حزيران المقبِل على البرنابيو؟ (يُعَدّ تقديم المال للفرق التي تهزم خصمك أمرًا شائعًا في إسبانيا). لا يظن ميسي أنّ في الأمر خطأً إذا كان يساعدهم على الفوز. ولكن، على الرغم من صدق نيات هذا الأرجنتيني وتطلّعاته، فقد بدت المعجزة التي كانت ممكنة في الدقيقة الخامسة والستين بعيدة المنال في النهاية. تتبدّد بذلك الفرصة الأخيرة لإنقاذ الموسم، مخلّفة وراءها مزيدًا من الحسرات والندم.

باختصار، لم يَجْرِ أيّ شيء كما كان متوقّعًا، و«بقي البطل من دون جائزة» كما عنونت صحيفة إل باييس. لقد كان فعلًا موسمًا مميّزًا على المستوى الشخصي بالنسبة إلى ميسي؛ فالأرجنتيني أدى دور البطولة المطلقة في كثير من الليالي الساحرة. فقد كان هو مَنْ تسبَّب في خيبة أمل مؤقتة لريال مدريد بالهاتريك الذي سجّله في مرمى هذا الأخير. ثمّ جاءت نسخ أهداف قدم مارادونا ويد الرب؛ عجائب وخدع لم ينتج منها شيء. كلّ الأهداف التي سجِّلت، إلى جانب جائزة أفضل لاعب أجنبي في الدوري، لا تتعدّى كونها جوائز ترضية.

من حسن الطالع أنّ كرة القدم لا تنتهي؛ إذ تنتظره الآن مشاركة مع المنتخب الوطني في كوبا أمريكا، وهي فرصة قد تكون مناسبة للتعافي من الصدمات التي تعرّض لها توًّا. وإن لديه الفرصة ليكون ضمن التشكيلة الأساسية في بطولة مهمة، لا مجرّد عنصر من الفريق، كما كان عليه الحال في بطولة كأس العالَم بألمانيا.

يضمّه آلفيو بازيلي الملقَّب بِـ كوكو إلى الفريق، بعد أن تسلّم دفّة قيادة المنتخب خلفًا لخوزيه بكرمان. يعرف بازيلي حقّ المعرفة أنّ بإمكان البرغوث

تقديـم الكثير للمنتخـب الوطني، وأنّه سيـؤدي دورًا رئيسًا فـي تنفيذ الخطط المرسومة للفريق. لم يكن يرغب في تكرار الأخطاء التي وقع فيها سلفه.

حرص آلفيو على حضور ميسي المعسكرَ المزمع إقامته في أوروبا، بمدينتي بيرن وبرشلونة، حيـث سيواجه الفريق سويسرا والجزائر؛ وذلك بقصد تهيئته للمشاركة في البطولة القارية التي ستقام في فنزويلا، حيث يتوقّع العالَم بأسره أن يكون لميسي كلمة عليا هناك.

تقـدّم ليو فـي الاستفتاء الـذي أجراه الموقـع الإلكترونـي للبطولة بفارق كبيـر (33٪ مـن الأصوات)، تاركًا خلفـه كلًّا من التشيلـي ماتياس فيرنانديز، والفنزويلي خوان أرانغو. أمّا لاعب ريال مدريد، البرازيلي روبينيو، الذي سيتوَّج لاحقًـا بلقب أفضل لاعـب في البطولة، إلـى جانب حصوله علـى لقب الهدّاف برصيد ستة أهداف، فجاء في مؤخّرة الترتيب (8٪ فقط من الأصوات).

يحتفل ميسي بعيد ميلاده العشرين في الرابع والعشرين من شهر حزيران فـي مدينـة ماراكايبو، قبل أربعة أيام من مبـاراة المنتخب الأولى أمام منتخب الولايـات المتحدة، فأخذت وسائل الإعلام تتزلـف إليه لمعرفة أمنيته في هذه المناسبـة؛ فتحصل على إجابة متوقّعة، هي: «الفوز بلقب كوبا أمريكا، والتتويج بلقـب الهدّاف». لم تفز الأرجنتين بالبطولـة منذ عام 1993م، وهو أمر زاد من الضغط والتوقّعات على نحوٍ هائل.

يتوقّع الجميع مـن ميسي الكثير، لدرجة أنّ المـدرِّب واللاعبينَ يصنعون جلبـة من حوله، وهـو أمر لا يقارَن بما كان عليه الوضع فـي بطولة كأس العالَم بألمانيـا، حتـى إنّ كوكو عيّـن له مرشدًا، هو خـوان سباستيان فيـرون الملقَّب بالساحر. لعب فيرون هذا، البالغ من العمر (32) عاماً، في نادي بوكا جونيورز، وسامبدوريـا، وبارمـا، وإنتر، ولاتزيـو، ومانشستر يونايتـد، وتشيلسي، ثمّ عاد ليحقِّق النجاح مع حبّه الأول في الأرجنتين؛ إستوديانتس دي لا بلاتا.

يقـدِّم فيرون النصيحـة لصاحب العشرين عامًا داخـل الملعب وخارجه، ويدحض عنه الاتهامـات التي توجَّه إليه بأنّه فـردي ومتعجرف. ثمّ يشرح هذا الأمـر لصحيفـة إل باييس قائلًا: «ميسـي متحفِّظ. لا يخرج مـع مجموعة من الأصدقـاء لقضـاء الوقـت، واحتساء المشروبـات، وإنّما يفضِّـل لعب (البلاي ستيشـن). هو بالنسبة إلـيَّ كالأخ الأصغر الذي يتعيّن علـيَّ العناية به. عليَّ أن أحميه!».

وفي واقع الأمر، فإنّ توفير الحماية لميسي أمر ضروري؛ فحمّى هذا الفتى منتشـرة في فنزويـلا؛ إذ لا يمكِن له أن يخطو خطوة واحـدة من دون أن يُحاط بجمـع غفير مـن المعجبينَ، ناهيـك عـن أنّ القمصان التي تحمـل اسمه تلقى رواجًـا كبيرًا، بيـن الكبار والصغار على حدّ سواء. أمّا علـى أرض الملعب، فإنّه يلقـى التحية كلّمـا لمس الكرة، وحتى عندما يخطئ المرمـى. وفي حال لم يكن فـي التشكيلـة الأساسية، كما في مبـاراة الفريق أمام منتخـب البارا غواي، فإنّ الجمهور المنزعج يبدأ المناداة باسمه بعد مُضِيّ عشر دقائق من زمن المباراة.

إنّه حبّ أعمى؛ حبّ يصل ذروته في ملعب لارا دي باركويزيميتو؛ ففي أثناء سيـر ميسـي في اتجاه النفق المـؤدي إلى غرف تغيير الملابـس، يشعر بالتعب والشرود، وفجأة تقع عيناه على فتاة ظهرت من غامض علم الله. ويلاحظ أنّها على وشك إلقاء نفسها مـن على المدرّجات، فيشعر بالقلق حيال ذلك، ملوِّحًا، بيديـه، وهو يصرخ: «توقفي، مـا الذي تفعلينه؟!». تأبى الفتـاة العشرينية التي أعماهـا الحـبّ الاستماع إلى صوت المنطـق، ثمّ تقفز. ولحسـن الطالع، فإنّها تنزل على قدميها. فيهجم عليها رجال الأمن. ولكن، قبل أن يتمكّنوا من أخذها بعيـدًا، تتمكّن من معانقة حبيبها وغمره ببعض القبل. ظهرت على مُحَيّا ميسي ملامح الحيرة والارتباك من دون شكّ، تمامًا مثل حكم المباراة سايمون، الذي أمسك بذراع ميسي وطالبه بتفسيرٍ للحادثة، مقتنعًا أنّها كانت هجومًا.

يعتـرف ميسي بذلك لاحقًا، في حديث لصحيفة كلارين، قائلًا: «لقد كان أمرًا لا يصدَّق. كنت أشير لها كي لا تقفز، لكنّها تجاهلتني وقفزت. أقسم إنّني لـم أدرِ ماذا أصنع. لقد قفزت مسافة أربعة أمتار على الأقل. وكان من الممكن أن تُقتَـل، والأدهـى أنّهـم أخذوها بعيـدًا بسرعة من دون التأكّـد ممّا إذا كانت الفتاة المسكينة على ما يرام أم لا».

وقعـت هذه الحادثة في الثامـن من شهر تموز، قبيل مبـاراة ربع النهائي. كانـت الأرجنتين قـد تغلّبت توًّا على البيـرو بنتيجة (0–4)، مبـاراة سجّل فيها ميسـي فـي الدقيقـة الحاديـة والستين هدفًـا طال انتظـاره؛ إذ لـم يتمكّن من التسجيل في المباريـات التي سبقت أمام منتخب الولايات المتحدة، وكولومبيا، والباراغواي، لكنّه كان حاسمًا في تحريك ماكينة الألبيسيليستي وتحويلها. ففي المبـاراة الافتتاحية التي جمعت الفريـق بمنتخب الولايات المتحدة، قدّم ميسي كرة على طبق من ذهب لكريسبو، وتمكّن هذا الأخير من تسجيل الهدف الثاني. وألهـب ميسـي مشاعـر الجماهير في الخمسـ والعشرين دقيقة التـي لعبها في الشوط الثاني من مباراة الفريق أمام الباراغواي (أراد بازيلي إراحته؛ استعدادًا لمباراة ربع النهائي)، حين أشعل مباراة كان يغلب عليها طابع الملل. ولكن، حتى ذلك الوقت، فإنّه لم يتمكّن من التسجيل. لذا، فقد أزاح الهدف الذي سجّله في الشباك البيروفية عبئًا ثقيلًا عن كاهله. وفي مباراة نصف النهائي أمام منتخب المكسيك، التي أُقيمت في مدينة بويرتو أورداث، نجح ميسي في استعادة مكانته بتنفيذ تحفة فنية جديدة؛ تحفة جعلت المعلّقين يقولون: «عليهم (أفراد منتخب المكسيـك) حزم أمتعتهم، والعودة إلى الديار». أمّا بازيلي فقال: «هذا ما يفعله العباقـرة». ثمّ كرَّر المعلّقون في قنـاة تايك الرياضية الأرجنتينية الشيء نفسه: «هل نحزم أمتعتنا، ونرحل؟ هل نحن في حاجة إلى المزيد؟ لماذا نستمر بعد أن رأينا هذا الهدف؟». ليس هذا وحسب؛ إذ يقول تيفيز: «ما فعله ميسي كان ضربًا

من العبقرية. لم يكن هناك الكثير من الفرص السانحة بالنسبة إليه، لكنّه تمكَّن من تحويل أول كرة حصل عليها إلى هدف رائع». في حين قال ماسكيرانو: «إنّها لحظة من لحظات العبقرية التي نتوقّعها منه. لن يفاجئني أيّ شيء يفعله بعد الآن. إنّه خارق للعادة». أمّا كامبياسو فصرح بأنّه «كان هدفًا مدهشًا». ثمّ أضاف هاينزه: «تعجز الكلمات عن وصف هدف ميسي». وفي واقع الأمر، فقد كان الهدف رائعًا، لدرجة أنّه صُنِّف - على شبكة الإنترنت - ضمن قائمة أفضل الأهداف التي سجّلها البرغوث في مسيرته الكروية.

ولكن، ما الذي تمكَّن من فعله هذه المرّة؟ لِنُعِد شريط الأحداث: في الدقيقة الستين، مرَّر هاينزه، الذي كان قد أحرز هدف التقدّم، الكرة إلى كامبياسو؛ مدافع نادي إنتر الذي كان محاطًا ببعض اللاعبينَ، ما اضطره إلى إعادة الكرة إلى هاينزه الذي أرسلها من منتصف الملعب، ليتلقّاها تيفيز عند حافة منطقة الجزاء وظهره في اتجاه المرمى. وبعد أن روَّض الكرة بصدره وأنزلها على الأرض، التفّ مرسِلًا الكرة إلى ميسي الذي كان مندفِعًا كالسهم. دخل ميسي منطقة الجزاء، ثمّ رفع رأسه ليُحدِّد موقع الحارس، ثمّ أرسل الكرة في الهواء بمنتهى المهارة والخفّة. كانت كرة مقوَّسة بدقة، مرَّت من فوق الحارس اليائس سانشيز، الذي قفز إلى الخلف ومَدَّ جسمه ما استطاع، لكنّه لم يُفلِح حتى في لمس الكرة التي التفّت، ثمّ دخلت من تحت العارضة مباشرة. وفي هذه الأثناء، ينظر ليو إلى الكرة حين معانقتها الشباك، ثمّ يركض في اتجاه الراية الركنية، ويحتفل مع الجماهير الأرجنتينية. مرشده فيرون كان أول الواصلين لتهنئته، فيقفز الفتى ويتحلّق برقبة مرشده، ثمّ نشاهد كوكو على دكّة البدلاء، وهو يرفع ذراعيه في الهواء، ثمّ يصفِّق، ويضحك فرحًا».

«هل ظننت أنّه يتعيّن عليهم حزم أمتعتهم والعودة إلى الديار بعدما أهديتهم تحفتك الفنية؟» «لا، توقف عن قول ذلك. لقد كان هدفًا جميلًا، لا أكثر

ولا أقل. المهم أنّني تمكّنت بتسجيله من مساعدة المنتخب الأرجنتيني على بلوغ المبـاراة النهائية». كان ذلك جـواب ميسي عن سؤال طرحه مندوب صحيفة لا ناسيون في اليوم اللاحق. لكنّ المندوب يحاول إثبات وجهة نظره بسؤال ميسي: «هل تعتقـد أنّه أروع هدف في مسيرتك الكروية؟» «ربما، لا أعرف، لقد سجّلت بعض الأهداف الجيـدة، مثل هدفي في مرمـى فريق خيتافي. فـي الواقع، أنا لـم أُشاهـده بالتلفاز، لكنّ الجميع قالوا لي: إنّه كان جيـدًا جدًّا؛ وإنّك شاهدت الحارس وهو يتقدّم عن مرمـاه، فقمت باستغلال الفرصة. لقـد انتهت الأمور على نحوٍ طيب، أليس كذلك؟».

ميسـي يتصرف كعادته؛ تواضـع لا يتزعزع. ومع ذلك، فإنّه يتمسّك بحقّه فـي تحقيق حلمه المتمثّل في التغلُّب على المنتخـب البرازيلي في النهائي. كان ميسي قد صرَّح منذ بداية البطولة بأنّه يرغب في مواجهة البرازيل، وها هي ذه أمنيتـه تتحقَّق. إنّه يريد أن ينسى الهزيمة التي ألحقوها به وبفريقه (0–3) في المباراة التي جرت على ملعب ويمبلي في شهر أيلول المنصرم.

صديقـه رونالدينو لن يكون موجـودًا، وذلك يَعُدُّهُ ميسي جيدًا، وإن كاكا غير موجـود أيضًا. صحيـح أنّ البرازيل خسرت مباراتها الافتتاحيـة أمام المكسيك، واضطـرت إلى الضربات الترجيحية للتغلّب علـى الأوروغواي في نصف النهائي، لكـنّ التغلُّـب عليها يبقى أمرًا صعبًـا. أضف إلى ذلك أنّ المباريـات النهائية أمر مختلـف؛ فلا أحد يمكنه التنبؤ بما سيحصل في أثنائها. أمر يستحيل واقعًا مؤلِمًا يحطِّم الآمال الأرجنتينية بخسارة مدوية (0–3) تسبَّب فيها كلّ من: الوحش جوليو بابتيستـا، وقائـد الألبيسيليستي أيالا الذي سجّل خطأً في مرمـاه، وداني ألفيش. لقد تمكَّنت البرازيل من محاصرة الفريق ذي الفنيات على نحوٍ محكم. ولم تتمكَّن الأرجنتيـن من إحداث أيّ تأثير في المباراة التي أُقيمت على ملعب خوزيه روميرو بمدينة ماراكايبو، حتى خُيِّل أنّهم أشباح الفريق الأصلي. ولكن، ماذا عن ميسي؟

تقول صحيفة كلارين: «لم يفعل الكثير لتغيير مسار التاريخ. لا حماسة، ولا كرة قدم، فقد فرض عليه أحد اللاعبينَ البرازيليينَ رقابة لصيقة وتركه ضائعًا في متاهة». تعبِّر الصورة أكثر من حديث المعلِّقين والنقّاد؛ إذ يجلس ميسي على أرضية الملعب، وتعلو وجهه نظرة تائهة. ثمّ يهزّ طبيب الفريق، دادي، رأسه نحوه قاصدًا مواساته. وبعد أن يقدِّم له رئيس الفيفا جوزيف بلاتر الميدالية، ينزل ميسي عن المنصة، ثمّ يخلعها، ويُحكِم قبضته عليها. لقد اختير بوصفه أفضل لاعب صاعد في البطولة. ولكن، ما نفع ذلك؟ فلا شيء يتملَّكه غير الغضب والحزن في خضم خيبة الأمل الجديدة تلك.

الفصل الحادي والثلاثون

فتى كهربائي

حوار مع آلفيو بازيلي الملقَّب بِـ كوكو

يجلس كوكو إلى طاولته المعتادة في الزاوية الخلفية من مطعم لا رايا في بوي نوس آيرس، يتجاذب أطراف الحديث مع أصدقائه من اللاعبينَ والصحفيينَ، وبعض الأعزّاء من ذوي الصحبة المعتادة.

عادة ما يسمع الصوت الرخيم والخشن الصادر عن المدرب الأرجنتيني وسط الطنين والصخب الناتجيْنِ من قرع الكؤوس وأدوات المائدة. يقاطِع صاحب المطعم؛ كلاوديو كودينا، الذي يَعُدُّهُ بازيلي ابنًا له، الجمع بأدب جمّ، وينضم إليه للحديث عن ميسي. تخرج الكلمات ثقيلة وسريعة من فم المدافِع السابق لنادي بيلا فيستا، مع سيجارة بين أصابعه، وكأس في يده: «أُحِبّ ميسي كثيرًا؛ لأنّه فتى عظيم. إنّه متواضع، لا يغترّ بنفسه، ولا يَعُدّها نجمًا، ولا يسمح للشهرة بتغييره أبدًا. إنّه فتى يحلم كلّ أب بابن، أو حتى بصهر مثله. الناس في كلّ مكان يحبّونه، ليس لأنّه لاعب كرة بارع فحسب، بل بسبب شخصيته أيضًا. دعني أخبرك بقصة تتعلّق بهذا الأمر».

تفضّل، رجاء.

«كنّا في أوسلو، نتدرَّب في ملعب صغير محاط بأبنية ضخمة. وكانت هناك جرعة تدريب مسائية، والأجواء مظلمة بعض الشيء، ولا أحد في الجوار. وفي

هذه الأثناء، حدث شيء غير متوقّع في بلد مثل النرويج (مكان يمتاز بالبرودة القارسة التي تطول الجميع حتى مشجعي كرة القدم)... إذ أُضيئت الأضواء فجأة، وفُتِحت نوافذ المنازل المحيطة، وبدأنا نسمع هُتاف الجميع من الجهات كلّها: ميسي! ميسي! ميسي!

وماذا قال؟

«لا شيء... فهو يصاب بالإحراج، بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى، كلّما ناداه الناس باسمه أو أثنوا عليه. لذا، تراه يعاني خاصة عندما يصدح المتفرِّجون باسمه. أمّا الفتيات فيُصَبْنَ بالجنون، كما حدث في فنزويلا... إنّهنّ يعشقنه لوجهه الطفولي، ولخجله، ولمظاهر التسامح التي تقطر من مُحَيّاه... إنّها صفات ورثها عن والديه. إنّه يحظى بعائلة رائعة، لا تفتأ تعتني به، وتعمل على حمايته. قالت لي والدته عندما قابلتها: «اعتنِ به من أجلي يا كوكو، رجاء، اعتنِ به من أجلي».

وهل اعتنيت به؟

«دون شك. فقد حاولت مساعدته، والتخفيف عنه قدر المستطاع، تمامًا كما كان عليه حال أفراد العائلة في برشلونة. فقد حرصوا على حمايته هناك أيضًا؛ لمعرفتهم بأهميته ودوره الفاعل بالنسبة إلى الفريق. لكنّ ليو لا يتأثّر بالضغوط، وينسى كلّ شيء حوله حال دخوله أرض الملعب، ويحصر تفكيره فقط في اللعب بالكرة. إنّه يحبّ الكرة».

فلنتحدث عن علاقة ميسي بكرة القدم لأنّك تطرّقت إلى هذا الموضوع.

«التقيته عندما كان لايزال في سنّ الخامسة عشرة، وكان رأيي حينئذٍ أنّه لاعب جيد. أمّا الآن فهو لاعب مميَّز؛ إذ يمتلك السرعة، والتسارع، ويمكنه

المراوغة، وعمل أشياء جديدة باستمرار، فضلًا عن تمتعه بلياقة فائقة، وقدر كبير من الموهبة. إنّه فتى كهربائي. لقد كنت أقول دائمًا: إنّه لمن الممتع مشاهدة ميسي، وهو يلعب».

تقصد كما فعلت حين سجّل ليو هدفًا في مرمى منتخب المكسيك في أثناء بطولة كوبا أمريكا، ثمّ قلت: «عليهم حزم أمتعتهم والعودة إلى وطنهم. هذا ما يفعله العباقرة».

«وهل ما قلته آنذاك كان خاطئًا؟».

لسنا في حاجة إلى الإجابة عن سؤالك... لنتحدث عن عبقري آخر هو مارادونا، شخص تعرفه جيدًا، وقضيت معه أوقاتًا رائعة وأُخرى عصيبة. هل يمكن مقارنة ميسي بصاحب القميص ذي الرقم (10)؛ أمر يفعله الجميع حاليًا؟

«علينا أن ننتظر ونتريّث. لم يصبح ليو مثل مارادونا بعدُ، لقد بدأ مشواره توًّا، لم يُحدِّد مسار حياته المهنية بعدُ، ما زال يلعب بالأسلوب نفسه. ولكن، لا حاجة إلى المقارنة بينهما؛ لأنّ الجميع يودّ لو يلعب مثل مارادونا منذ هذه اللحظة. تتوافر فيه جميع الصفات التي تؤهّله لكي يصبح أحد اللاعبينَ العظماء. ولكن، يتعيّن علينا أن ننتظر، فكلّ ما ينبغي له فعله الآن هو عمل ما يحبّ ويرغب؛ أي الاستمتاع بكرة القدم».

يقول ميسي حين يتحدث عنك: إنّك تحمّلته منذ البداية، وإنّك كنت دائمًا تمنحه الفرصة للعب، ومنحته الكثير من الحرية...

«لميسي حرية التحرّك كيفما شاء في الربع الأخير من الملعب، وحرية الإبداع أيضًا، واللعب بالطريقة التي يتقنها، والتحليق عاليًا. التحليق عاليًا هو أمر مهم بالنسبة إلى اللاعبينَ العظماء».

الفصل الثاني والثلاثون

برونز وفضة

السابع عشر من كانون الأول عام 2007م

لنتكلّم بلغة الأرقام قليلًا:

- هدف واحد في ثماني مباريات في الموسم الأول مع الفريق الأول.
- سبعة أهداف خلال (23) ظهورًا في موسم 2005م-2006م.
- خمسة عشر هدفًا في (31) مباراة، ما بين الدوري المحلي ودوري أبطال أوروبا لموسم 2006م-2007م.
- ثمانية أهداف في أول مباريات موسم 2007م-2008م.
- واحد وعشرون هدفًا في (22) مباراة بعد تسجيل الهاتريك في مرمى ريال مدريد، في شهر آذار من عام 2007م.

لكنّ هذه الأرقام لا تفي ليو جانبًا من حقّه فيما يخصّ تطوّر قدراته ومهاراته وأسلوبه في اللعب.

لنلقِ نظرة، إذن، على بعض عناوين الصحف التي تناولت هذا الموضوع بشيء من التفصيل:

- إل باييس: «ميسي يساوي الفريق بأكمله»، 20/9/2007م.
- ماركا: «ميسي يلعب دور المنقذ»، 23/9/2007م.
- إل موندو: «ميسي يفرض سيطرته»، 23/9/2007م.
- إل بيريودريكو: «ميسي الشجاع»، 27/9/2007م.
- لا فانغارديا: «استحق العرض الذي قدّمه ميسي ثمن تذكرة دخول الملعب»، 30/9/2007م.
- ماركا: «ميسي ملك الدوري»، 18/10/2007م.
- سبورت: «صعود لا يقاوم لميسي»، 9/10/2007م.
- موندو ديبورتيفو: «ميسي يرقص المامبو»، 9/10/2007م.
- آس: «ميسي يفعل ما فعله مارادونا من قبل»، 18/10/2007م.

الأمـر لا يقتصـر على عناويـن كلّ صفحة تحتفل بلحظة مجـد، أو بلقطة مليئـة بالإلهـام، «العبقرية والإلهام» من الأرجنتيني «الـذي يحوِّل كلّ ما يلمسه إلى ذهب»، بل تأتي التعليقات أيضًا؛ من: المدرِّبينَ، والفرق المنافسة، وخبراء كرة القـدم (إسبان كانوا، أم أرجنتينيين)، فضـلًا عن توثيق بعض الدراسات انطلاقته الصاروخية.

يجـري حديـث هذه الأيـام عن «لاعب كرة قـدم بلا حـدود»، وعن قدرته - بفعـل طريقة تفكيـره - على «المجازفة وتسيير المبـاراة كيفما شاء». هناك حديـث آخر عـن سرعته في الركض البالغة (4,5) خطوات فـي الثانية؛ وهو رقـم يفوق الرقم (4,4) الخاص بِـ أسافا بـاول؛ العدّاء الجامايكي الذي حطّم الرقـم القياسي العالمي فـي سباق (100) متر عندما حقَّق زمنًا قدره (9,74)

فـي أثناء المنافسات التي جرت في مدينة ريتـي بإيطاليا، في التاسع من شهر أيلـول عام 2007م. ودار نقاش عن مركز الجاذبية المتركّز في النصف الأسفل مـن جسمه، الأمر الذي يتيح له السيطرة على الكـرة والانطلاق بها إلى الأمام بسهولة، فضلًا عن مقارنته بصاحب الرقم (10) (مارادونا) باستمرار.

لـم يُظهِر دييغو أيّ معارضة لذلك في أثنـاء مقابلة له مع صحيفة ماركا؛ إذ قـال ببساطـة: «إذا قرَّر ريكارد إبقـاء ميسي على مقاعد البـدلاء فسيرميه (ريـكارد) لابورتا خارجًا». أمّا مدرِّب ريال سرقسطة فقد قال ما يدور في خلد الجميـع بعد هزيمة فريقـه المؤلِمة في كامب نو: «باستطاعـة ميسي أن يصبح الأفضل في العالَم».

من الملاحَظ أنّ المديح أُغدِق على ميسي من كلّ صوب، في المدة الممتدة بيـن شهري أيلول وتشريـن الثاني. ولأنّ موعد صدور أسمـاء المرشحين للفوز بجائزة الكرة الذهبية، التي تمنحها مجلة فرانس فوتبول، وجائزة أفضل لاعب فـي العالَم، بـات على الأبواب، فقـد أصبحت الآمال والتوقّعـات ظاهرة للعيان بصـورة أكبر. وفي ذلك، كتبت صحيفة لا فانغارديـا: «ميسي خلف كاكا بفارق ضئيـل. ميسـي مرشّح لنيل الكـرة الذهبية». أمّـا صحيفة مـاركا فأعلنت «أنّه مرشّـح بفضل الأداء الـذي قدّمه، والأهداف التي أحرزهـا؛ سواء مع البارسا، أو المنتخـب الأرجنتينـي». إنّها حملة متكاملة لمصلحـة البرغوث، على الرغم مـن إدراك الجميع أنّ كاكا هـو المرشّح الأبرز، وأنّ الجائزة في جيبه حتى قبل إعلان النتيجة.

علـى أيّ حال، من الأفضل شـنّ الحملات، ومنح آمـال الفتى الأرجنتيني دُفْقَة من المؤازرة. ففي أثناء عملية الانتظار تلك، نال ميسي جائزة برافو التي تمنحهـا مجلة غورين سبورتيفو الرياضية الإيطالية لأفضل لاعب في البطولات الأوروبية يقلّ عمره عن (21) عامًا.

يُعَدّ ميسي أول أرجنتيني وثالث لاعب من برشلونة - بعد غوارديولا ورونالدو- يفوز بتلك الجائزة. وفي الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني؛ أي بعدها بأسبوع، يرفع ريكاردو آيزكسون دوس سانتوس ليتيه الملقَّب بِ كاكا (لقب أطلقه عليه شقيقه) الكرة الذهبية؛ إذ حلّ ميسي في المركز الثالث، وفاز بالبرونز، حاصدًا (255) صوتًا، في الوقت الذي جمع فيه كاكا نحو (444) صوتًا.

يشكر البرازيلي المنتمي إلى كنيسة ولادة المسيح، الربَّ على نَعْمائه أن جعله قادرًا على تكريس نفسه لهذه المهنة، ويرى أنّ فوز فريقه ميلان ببطولة دوري الأبطال، واحتلاله صدارة الهدّافين، هو ما رجّح كفّته على منافسيه. أمّا بالنسبة إلى ليو فقد أثنى عليه قائلًا: «قدرته على التحكّم في الكرة مثيرة للإعجاب. إنّه صغير، ويمتلك كثيرًا من المواهب، أعتقد أنّه بارع جدًّا».

الفرق بينهما بسيط بالنسبة إلى كاكا الذي صرَّح قائلًا: «لم يفز ميسي بأيّ ألقاب مهمة هذا الموسم؛ لا في الدوري الإسباني، ولا في دوري أبطال أوروبا، أعتقد أنّ ذلك أثَّر كثيرًا في حظوظه».

يتكرّر الموقف نفسه بعد ذلك بخمسة عشر يومًا، في حفل تقديم جائزة أفضل لاعب في العالَم لعام 2007م. ولكنّ هناك فرقًا واحدًا؛ فرقًا تسبَّب في حنق أحد أفضل اللاعبينَ في العالَم.

فاز كاكا بالذهب مرّة أُخرى بعد حصوله على (1047) صوتًا، ليتوَّج بذلك بوصفه أفضل لاعب في العالَم لعام 2007م، وَفقًا للتصويت الذي قام به زملاؤه. في حين تقدّم ليو إلى المركز الثاني هذه المرّة بعد نيله (504) أصوات، ليحوز الفضة، متفوِّقًا على كريستيانو رونالدو الذي نال (426) صوتًا، واكتفى بالبرونز.

يُعَدّ ما حدث في القاعة بعد ذلك أمرًا مسلّيًا؛ فقد أعلن المقدِّم عن فوز ميسي بالمركز الثاني، ورونالدو بالمركز الثالث. ينهض كلاهما - في الوقت نفسه- من الصف الأول؛ استعدادًا للصعود على المسرح. يقوم ميسي بإقفال أزرار بزّته. إنّها المرّة الأولى التي يلبس فيها بزّة رسمية، ومن الواضح أنّه غير معتاد على هذا النوع من الملابس. يقدِّم رئيس الفيفا جوزيف بلاتر الجوائز برفقة بيليه على مسرح الأوبرا بزيوريخ.

كان رونالدو أول مَنْ صافح الموجودين. أومأ إلى الملك (بيليه)، ثمّ تناول جائزة المركز الثاني من دون تردّد. اضطر بلاتر إلى الاقتراب منه، قائلًا: «ميسي، إنّها لميسي». كرَّر المقدِّم نتيجة التصويت، ثمّ طلب إليهما تبادل الجائزتين. كانت لحظة محرجة حاول فيها المقدِّم تلطيف الأجواء، قائلًا لكريستيانو رونالدو: «لقد أديت على نحوٍ طيب، لكنّك لم توفَّق».

يغيِّر كلاهما موقعه؛ استعدادًا للصورة التذكارية، ويستمر الحفل دونما مشكلات.

وفي وقت لاحق، علَّق ليو على الموضوع في مؤتمر صحفي، قائلًا: «قال بلاتر: إنّ تلك الجائزة كانت لي، فذهبت لأخذها. ولكن، تبيَّن أنّها لكريستيانو، والأُخرى لي». ثمّ أجاب عن سؤال حيال شعوره، قائلًا: «في الواقع، إنّني أشعر بسعادة غامرة، لقد منحني هذه الجائزة كلّ مَنْ صوَّت لي... قبل أن يحدث ما حدث، كنت أقول لنفسي إنّه لأمر رائع أنّني من الثلاثة الأوائل؛ لذا، فأنا سعيد جدًّا. لقد كانت أجواء جديدة بالنسبة إليّ؛ ما حفزني إلى أخذها على ما هي عليه، وجعلني أشعر بالفرح والسرور».

كان يُفترَض أصلًا ألّا يحضر ميسي الحفل؛ فقد هدَّدت الإصابة التي تعرّض لها يوم السبت الذي سبق، في ملعب المستايا، إمكانية حضوره الحفل. لكنّ

تقاريـر الأطباء كانت مبشِّرة، ما حدا ببعثـة البرسا على حزم حقائبها والتوجّه إلى زيوريخ، بقيادة خوان لابورتا، الذي تسلّم بدوره جائزة الفيفا للعب النظيف، نيابة عن نادي برشلونة لكرة القدم. وسافر خورخي ورودريغو أيضًا برفقة ليو.

وجد الأب والأخ بعدها بيومين فسحة من الوقت للحديث عن رحلة زيوريخ، والجوائز، وكثيرًا من الموضوعات التي تتعلّق بالبطل الذي يعرفانه حقّ المعرفة.

هـل شعـر بخيبة أمل بعـد إخفاقه فـي الفوز بالذهب؟ يجيـب خورخي في أثناء احتسائه الشاي، قائلًا: «إنّ مجرّد إحراز ليو المركزين الثاني والثالث على مستـوى العالَم في سنّ العشرين، يعني أنّه أصبح من الآن أيقونة في كرة القدم. لايزال أمامه متسع من الوقت لبلوغ المركز الأول إذا استمر على المنوال نفسه».

اصدقني القول، هل توقَعت أن يصل ابنك إلى هذا المستوى ؟

«لا، لـم أتخيّل قطّ أن يحقِّق ما حقَّقه. كنت أتوقّع نجاح رودريغو الذي كان مهاجمًـا جيدًا. لقد ترعرع في نادي نيولز، ولعب لسينترال كوردوبا، وكان لاعبًا احتياطيًّا في دوري الدرجة الأولى، لكنّه تعرّض لحادثة درّاجة ابتعد على إثرها عـن الملاعـب مدّة عام، ثـمّ خضع لاختبار فـي تشيلي، ثمّ جلبتـه إلى هنا في محاولة لضمّه إلى فريق إسباني أو أوروبي».

وفـي هـذه الأثنـاء، يعلّـق الأخ الأكبـر موضِّحًا الفـرق بينه وبيـن شقيقه الصغير، قائلًا: «لدى ليو صفة لا أمتلكها، هي قوة العزيمة؛ فقد ضحّى بالكثير ليصـل إلى مـا وصل إليه. لا أمتلك عزيمة مثله. فأنا أميـل إلى الكسل أكثر». - ولكن، مَن الذي زرع شغف حبّ كرة القدم في قلب ليو؟

يعتـرف خورخـي بحقيقـة هذا الأمـر، قائـلًا: «لم أكـن أحـد اللاعبينَ المهوَّسيـنَ بوصول أبنائهم إلى القمّة بأيّ ثمن. لم أكن ملهمه في ذلك؛ حماتي

هي التي كانت تصحب رودريغو وليو للعب، وليس أنا. صحيح أنّني درَّبته مدّة عام في ملعب غراندولي، لكنّني لم أكن معلِّمه. كنت أستمتع برؤيته يلعب فحسب».

من أين جاء شغفه بكرة القدم إذن؟

يجيب خورخي: «أحببت كرة القدم عندما كنت لاعبًا. كنت أصحو صباحًا، وأرقد مساءً وتفكيري منحصر فيها، ربّما ورث هذه الصفة عنّي».

ثمّ يشرح رودريغو ذلك الأمر بقوله: «عندما كان شقيقي في سنّ الخامسة أو السادسة، لم تكن هناك أيّ هدية قادرة على إدخال البهجة إلى قلبه ككرة القدم. لقد كان مهوَّسًا بكرة القدم شأنه في ذلك شأن الأولاد كافة. لكنّه عرف كيف يكون وفيًّا لعشق الطفولة خاصته، وسعى إلى تحقيق حلمه. سعادته كانت - وما زالت - مرتبطة بكرة القدم».

بوصفك وكيل أعمال لابنك الآن، كيف ترى هذه الوظيفة بعد أن كنت عاملًا في مصنع؟

«عليَّ حمايته؛ حفاظًا على مصالحه من بعض الأطراف التي قد توقِع به الأذى. هناك أناس يُظهِرون لك الحبّ والتقدير لكسب ثقتك، لكنّهم يناصبونك العداء خفية. إنّ العالَم مليء بأمثال هؤلاء. لم يكن الأمر سهلًا، كان عليَّ التعلُّم، وقد تخلَّل ذلك الوقوع في بعض الأخطاء، لكنّني تمكَّنت شيئًا فشيئًا من معالجة القضايا العالقة جميعها».

كيف تنظر إليه بوصفك أبًا له؟

«إنّ العلاقة التي تربطني به جيدة، بصرف النظر عن فرق السنّ بيني وبينه الذي قد يوجِد بعض الحواجز. أُحاول منحه الحرية قدر المستطاع، فهو في حاجة إلى ذلك. أُفضِّل أن أراه محاطًا بشباب من جيله كأشقائه وأصدقائه؛

فأنــا لا أريد لابني أن يعتقد أنّني أُضيِّق عليــه. إذا احتاج إلى النصح فسأُسديه له، أُحاول ألّا أكون طرفًا في أيّ موضوع. أقول له بعض الأشياء وأعتقد أنّه يأخذ بهــا. وفيما يخصّ المال والعقــود، فنحن لا نتحدث عنهما أبدًا؛ فمعظم حديثنا ينصب على كرة القدم؛ سواء هنا، أو في الأرجنتين، وإنّنا نتحاور كالأصدقاء».

وكيف تجري الأمور معك أيّها الشقيق الأكبر؟

يــردّ رودريغــو بقولــه: «لقد مكثــت بجانب ليو فــي سنواته الأولــى هنا في برشلونة؛ سنوات لم تكن هيّنة قطّ، كان الملل يخنقنا. كانت أوقاتًا يلفّها الحزن، نقضيهــا إمّا في متابعــة الأفلام، وإمّا فــي لعب (البلاي ستيشــن). ثمّ تغيّرت حياتــه شيئًا فشيئًا، ومعها تغيّرت حياتي أيضًا. فقد أصبح يحبّ الخروج لتناول الطعــام بعــد إنهائه العمل. أمّا بالنسبة إلى حيــاة السهر فقد نأى بنفسه عنها، وكان لا يحــبّ الخــروج كثيرًا. كنــت أحبّ قضاء الأوقات في الخــارج، لكنّه كان يفضِّل شرب شيء ما، وتجاذب أطراف الحديث. كان يقضي جُلّ وقته برفقتنا. يعتني كثيــرًا بابني الأكبر أوغستين ذي السنوات الخمســ تقريبًا، ويحبّ ابنتي الصغيــرة التي وُلِــدت عام 2006م، وكذا الطعام الذي تُعِــدّه زوجتي فلورينسيا؛ سواء الدجاج المشوي، أو الإمباناداس التي تضاهي تلك التي تُعِدّها والدتي».

فــي رأيــك يــا خورخي، هل أسـهم ذلــك المال كلّه في تحســين الأوضــاع المالية للاعب الكرة وعائلته؟

«لا، فنحــن لا نعيشــ حياة مترفــة، حتى إنّنا لــم نُنْهِ بعدُ بنــاء منزلنا في روزاريــو. يمتلك ليو هنا فــي كاستيلديفيلز بيتًا على الشاطــئ (شاليهًا) مكوّنًا من طابقين يضمّان أربع غرف نوم، وحديقة، وبركة سباحة صغيرة. إنّنا نعيش حياتنــا بالأسلوب نفســه الذي تعوّدناه من قبلُ، لكنّ النـاســ يظنون أنّنا تغيّرنا، مــع أنّ الأمر خلاف ذلك؛ فهم في الواقع مَــنْ تغيّروا. إنّهم ينظرون إلينا نظرة

مختلفـة... يحسدون صبيًّا أصاب جانبًا من النجاح. باختصار، إنّنا نوفّر المال الذي يجنيه ليو؛ لكي يعينه والعائلة مستقبلًا».

وماذا بشأن مستقبله؟

«أعتقد أنّه سيكون على ما يرام؛ إذ سيعكف على تطوير مهاراته وقدراته، وسيصبح أفضل حتمًا».

هل يعني ذلك أنّه سيتفوّق، حتى على مارادونا؟

«كان دييغو لاعبًا فريدًا من نوعه. لكنّ ليو شخص آخر؛ فهو يعيش في زمن مختلـف، أتمنّى أن يقرب بأدائه من أداء صاحب الرقم (10)؛ سواء أكان ذلك من ناحية المزايا التكتيكية التي تمتع بها، أم النتائج التي حقّقها».

الفصل الثالث والثلاثون

يلعب بجسمه وعقله

حوار مع روبرتو بيرفومو الملقَّب بـ الماريسكال

يعرفـه نـدل مقهى لا بيـلا وزبائنه حـقّ المعرفة. يتوقّـف بعضهم لتحيته وسؤالـه عن رأيه بشـأن الأحـداث الجارية. يتمكّـن ماريسـكال (المارشال)؛ المدافِـع السابـق لنـادي ريفر بلايـت، وريسينـغ، وكروزيـرو، الذي يُعَـدّ أحد أفضـل المدافعيـنَ الذين أنجبتهم كرة القـدم الأرجنتينية، ويعمـل الآن معلِّقًا واختصاصيًّـا في علـم النفس والاجتماع، يتمكّن أخيرًا مـن الجلوس، واحتساء القهوة بعد الإدلاء برأيه في قضايا متنوعة.

تغطي الجدرانَ صورٌ لأبطال سباقات الدرّاجات، أمثال خوان مانويل فانغيو، وفريوليـان غونزاليـس، ومانويـل غالفيـز الذي كان يتـردّد على المقهـى الواقع قبالة مقبـرة ريكوليتا الشهيرة ببوينوس آيرس فـي خمسينيات القرن المنصرم وستينياته. كانت تلك حقبة مختلفة. أمّا اليوم فالحديث ينصب على كرة القدم.

ما رأيك في ليونيل ميسي؟

«فنيًّـا، يُعَدّ ميسي أحد اللاعبينَ القلائل في العالَم القادرينَ على التحكّم فـي الكرة من دون النظـر إليها، وذلك يمكّنه من رؤية زملائه ولاعبي الخصم، فضـلًا عـن التمرير بصورة غيـر متوقّعة. يمكنه فعل ذلك لأنّـه يكشف الملعب

بالكامل. وهو يتمتع بقدر عالٍ من الدقة في أثناء الجري بأقصى سرعة. ويلعب بأسلوب مبدع؛ فهو لاعب خلّاق، وكلّما حصل على الكرة، وواجه الخصم غدا الأمر بمنزلة تجربة... ينتظر الجميع حدوث شيء في تلك اللحظة، وهو ما يحدث فعلًا. وإنّه يمتلك تفكيرًا جسديًّا».

ما الذي تعنيه بذلك؟

«أقصد بذلك أنّه يلعب بجسمه وعقله في الوقت نفسه. إنّه يملك الموهبة ذاتها التي كان يتمتع بها كلّ من: بيليه، ومارادونا، ودي ستيفانو؛ فهو يمتلك سرعة يتحكّم فيها دماغه، الذي يوعِز إلى قدميه بالسعي لما يجب عليهما فعله. تدور في خلد ميسي فكرة؛ وفجأة يحدث كلّ شيء. لقد فعلها من قبل. هل تعي ما أقصد؟ حين يحدِّد المكان الذي يقف فيه حارس المرمى، فإنّه يسدِّد بين الخشبات، بناءً على حدسه، وليس تفكيره».

لأنّك ذكرت مارادونا، فمن الطبيعي أن نسأل عن المقارنة التي كانت - وما زالت- تُعقَد بين الاثنين باستمرار.

«لقد تطلّب الأمر من البرازيل (24) عامًا للفوز بكأس العالَم بعد اعتزال بيليه. أمّا نحن فما زلنا نبكي على أطلال مارادونا. نأمل جميعًا بقدوم منقذ، المخلّص الجديد هو ميسي، الذي سيعيدنا إلى القمّة من جديد. بإمكان ميسي عمل ذلك، لكنّه لا يزال في حاجة إلى بعض الوقت، يتعيّن عليه تنمية مواهبه وإعداد نفسه لتلك المرتبة، يتعيّن عليه أن يصبح ناضجًا كرويًّا».

ما أبرز نقاط ضعفه؟

«يقع ميسي دائمًا في الخطأ نفسه الذي يرتكبه اللاعبون الشباب كافة؛ فهو لا يعرف بعد كيفية اتخاذ الخيار الصائب كلّ مرّة. يتعيّن عليك الجري

بالكرة تارة، والتمرير تارة أُخرى؛ إذ من غير المجدي الإصرار على خيار واحد عندمـا لا يحالفك الحظ، وتعاندك الأحداث، وقد يكـون مناسِبًا حينها اختيارُ الحـلّ الأنجع والأبسط. سيدرِك ميسي يومًا أنّ الكرة هي التي ينبغي أن تواصِل الحركة... هذه أمور يمكن تعلُّمها بالخبرة، وتقادم السنّ».

هل أصبح ميسي نجمًا فعلًا؟

«إنّه شخص بسيط ومتواضع جدًّا، الأطفال جميعًا معجبون به كثيرًا».

لماذا؟

«بسبـب شكله وملامحه التي تذكِّرنا بسنجاب الكويس (نوع من السناجب المشهورة في الأرجنتين). أضف إلى ذلك جاذبيته الطبيعية حينما تكون الكرة عند قدميه. أتمنّى ألّا يفقد هذا الشغف تجاه لعب كرة القدم؛ فتلك هي الطريقة الوحيدة لكي يصبح الأفضل في العالَم».

لأنّـك واثـق مـن توقّعاتـك... لننتقـل للحديـث عـن المسـتقبل، وعـن الأخطار تحديدًا.

«أتمنّى ألّا يؤثِّر فيه المال؛ فهو يمتلك الملايين. ولكن، ما زال عليه الجري والتدرّب واللعب في أجواء باردة وماطرة ومثلجة. أتمنّى ألّا يصبح رمزًا تجاريًّا مثـل بيكام؛ فذلك يشكِّل خطرًا على الشغف باللعبة. أتمنّى ألّا يفقد حبّه البقاء فـي الملعب؛ وهو حبّ حافظ عليه أشخاص رائعـون، مثل بيليه ومارادونا. ولأنّه ميسـي، فـإنّ الأمر لن يكون سهلًا، بل سيكون بمنزلـة صداع. لايزال – على أيّ حـال – في بداية رحلـة الصعود إلى القمّة. تكمن الصعوبـة في المحافظة على القمّة بعد الوصول إليها. انظر إلى ما حصل لرونالدينو على سبيل المثال».

ماذا تعني؟

«كان خوان مانويل فانيغو يقول: «لا أحد يستطيع تحمُّل الأوقات الصعبة عندما تحلّ. هذا هو بالضبط الحاصل مع رونالدينو. عندما تأخذ الأمور منحًى خطأً تقول في نفسك: إنّ الأمور على ما يرام، وإنّك ستستعيد تألّقك. لكنّك لا تعتني بنفسك، ولا تركِّز، ويبدأ الناس بالتشكيك في قدراتك، البيئة المحيطة لا تساعدك؛ فأصدقاء البطل هم شرّ الأصدقاء. أمّا العائلة فقد تمثِّل كارثة بحدّ ذاتها، فيستمر وضعك في التدهور، وتفقد القدرة على السيطرة عليه. يمضي الوقت وأنت لا تدرِك حيثيات الموقف. إنّه درس يتعيّن على ميسي استيعابه جيدًا، حين يصل إلى القمّة».

الفصل الرابع والثلاثون

رحلة طويلة للظفر بالذهب

الثاني والعشرون من أيار عام 2008م

«أنـا متحمِّس جـدًّا لمشاركة المنتخب الأرجنتينـي مبارياته، وكنت دائمًا أُصـرِّح أنّني أُحبّ اللعب لمنتخب بلـدي. إنّه المهرجان (الأولمبياد)... يحصل كلّ لاعـب على فرصة مثل هذه مرّة في العمر، هذا إن توافرت له، ألا توافقونني الرأي؟ قد أحصل على فرصة لأكون هناك، وفي حال نجحت فسيكون ذلك أمرًا رائعًا. ولكن، ماذا سيحصل إذا تسبَّب الموضوع في مشكلة مع النادي؟ لا أعتقد أنّه سيسبِّب أيّ مشكلة. أعتقد أنّ النادي يتفهَّم شعوري و.... لن تكون هناك أيّ مشكلات».

تجاوز الوقت الواحدة والنصف بقليل من ظهيرة يوم خميس غائم. هناك جلبة في فندق هيسبيريا توير القريب من مطار إل برات في برشلونة؛ إذ يشهد اليـوم أول تجمُّـع للمنتخب الأرجنتينـي دون سنّ الثالثة والعشريـن. إنّها بداية مغامـرة أولمبية لفرقة سيرخيـو بابتيستا الملقَّب بِـ إل تشيكـو. تسود أجواء لَمِّ الشمـل وفرحة اللقاء مجدَّدًا بيـن اللاعبينَ أنفسهم، وبينهـم وبين المدرِّبين، وكـذا مع الصحفييـن الذين تجمّعوا في بهـو الفندق مدّة مـن الزمن على أمل الظفر بمقابلة.

وجبة تدريبية أولى مرهقة، تبعها توجُّه اللاعبينَ بملابسهم البيضاء إلى قاعة الطعام، فمؤتمر صحفي في القاعة الضخمة. يُعَدّ هذا - نظريًّا- تقديمًا للمباراة الودية التي ستجمع منتخب كاتالونيا بمنتخب الأرجنتين بعد يومين؛ أي في الرابع والعشرين من شهر أيار على ملعب كامب نو. تروِّج الإعلانات للمباراة بوصفها تحدّيًا يجمع بين نجمين شابين في البارسا؛ ليونيل ميسي من طرف، وبويان كيركيتش من طرف آخر.

لكن الفتى صاحب الستة عشر ربيعًا القادم من مدينة لينيولا لن يكون موجودًا على أرض الملعب. يفضِّل مدرِّب الفريق بيري غراتاكيوس عدم إقحام اللاعب لتجنّب المتاعب، خاصة أنّ بويان رفض دعوة المدرِّب لويس أراغونيس الانضمام إلى المنتخب الإسباني المشارك في بطولة أمم أوروبا بداعي التعب.

ليو حاضر على أيّ حال، وهو البطل في حضرة جمع من الصحفيين، الكتالان والأرجنتينيين. يجلس تشيكو إلى جانبه مراقبًا الصحفيين وهم يضايقونه (ليو) بأسئلة عن الأحوال التي يمرّ بها نادي برشلونة، مثل: المدرِّب الجديد، واحتمال مغادرة رونالدينو وديكو (زميلين مقرَّبين له في الفريق) قبل أن يبدأ الحديث عن الأولمبياد. يتحدث ميسي بصراحة؛ فهو يريد الذهاب إلى بكين، ولا يعتقد أنّ تفويته مباراتي البارسا، المؤهلتين لدوري المجموعات في دوري الأبطال، ستؤثِّر في الفريق (ستجرى مباراة الذهاب في الثاني عشر أو الثالث عشر من شهر آب، في حين تقام مباراة الإياب في السادس والعشرين أو السابع والعشرين من الشهر نفسه، أمام فريق لم يعرَف بعدُ). يؤكِّد - خلافًا لما يقال- حقيقة أنّ: «برشلونة لا يعتمد عليه فقط للفوز في المباريات. فهم يسعون إلى تشكيل فريق يغلب على أفراده الطموح والإلهام للفوز بالألقاب جميعها، ولن يحصل ذلك أبدًا إذا كان الاعتماد فقط على لاعب بعينه». ميسي مقتنع أنّ النادي والجماهير سيتفهّمون قراره.

وفي واقـع الأمر، فقد كانت تصريحات ليو مغايرة لواقع الحال؛ فتعليقات الحاضريـن كافـة تقول خلاف ذلـك بوضوح؛ ففـي الوقت الذي يبـدو فيه أثر الارتيـاح جليًّـا علـى مُحَيّا الصحفييـن القادمين مـن بوينوس آيرس لقراره، وشعورهـم بالسعادة لتصريحـه عن حلمه الأولمبي، وتأكيـده على رغبته الفوز بالميداليـة الذهبيـة برفقـة الإلبيسيليستـي، نـرى الانزعـاج باديًاعلـى وجوه الصحفييـن الكاتالان. لقـد شهدوا موسمين سيئين للنـادي. اندثرت الألقاب، وتبخّـرت واحدًا تلو الآخـر، والفريق الذي بهر العالَم في يـوم من الأيام أصبح تائهًا في خلافات وتصريحات سخيفة في غرف الملابس.

النجـوم خبـت، بينمـا لـم يظهـر آخـرون مثـل رونالدينـو علـى صفحـات الجرائـد منـذ شهـور. أُقيـل المـدرِّب فرانـك ريـكارد الـذي أدار دفّـة الفريـق خمـس سنـوات، وأُعلـن عـن رحيـل النجـوم الذيـن قـادوا البلاوغرانـا للفـوز بـدوري الأبطـال والـدوري الإسبانـي. باختصـار، برشلونـة - النادي والفريق- يمرّ بمرحلة حرجـة يسودها عدم الاستقرار. من الصعـب تقبُّل قـرار ليو في أوقات مثل هذه. «ولكن، كيـف لبرشلونة أن يشارك في المباريـات المؤهلة لدوري الأبطال من دون ليو؟ مَن الذي يدفع له: البارسا أم الأرجنتين؟».

إنّهـم ينبشـون موضـوع احتمـال توقيع ليـو على «العقـد الخرافـي» الذي سيتقاضـى بموجبه (8) ملايين يورو. وهناك المزيـد: «ميسي هو اللاعب الذي يرغـب البارسـا بناء فريق ناجح حوله، وهـو يقول: «وداعًا» في أثنـاء ذهابه إلى الصين. ماذا لو أُصيب، كما تعرّض لذلك مرّتين في أثناء البطولة، مَنْ سيدفع؟».

يسمع هـذا كلّه وغيره في ردهات فندق هيسبيريـا. قلّة يحتملون فكرة أن يقوم اللاعب الذي يُنتظَر أن يحمل الرقم عشرة (يتوقع الجميع أن يحصل على

رقم رونالدينو في حال غادر هذا الأخير) ، والذي كان الفريق في أمسّ الحاجة إليه عندما غاب أسابيع بسبب الإصابة؛ بترك الفريق بهذا الشكل.

تكثـر العناوين - فـي الصحف الكاتالونية- التي تتنـاول قضية ميسي في اليـوم اللاحق. ولكن، يبدو أنّها تتفهّم موقـف البرغوث. تذكّر معظم المقالات باللوائـح المتبعة بوصفها ضربًا من الأمانة الصحفية. فتكتب صحيفة سبورت: «لا يحـقّ للبارسا فـي حالة ميسي أن يرفض انضمامه إلى المنتخب لأنّه لم يبلغ الثالثة والعشرين بعدُ».

المسؤولـون فـي النادي لا يتلقّـون الرسالة، ولا نيّة لديهـم لخسارة جهود ليـو في المباراتيـن المؤهلتين لـدوري الأبطال. سرعان مـا يراجعون القوانين لمعرفـة مـا إذا كان بإمكانهم تجنّـب الخضوع لرغبات المنتخـب الأرجنتيني. يعلـن خورخي ميسي عقب اجتماعه - بعد أيـام عدّة- بالسكرتير الفني للنادي تيكستـي بيغيرستيـن، قائـلًا: «سيفعل ليو مـا هو مرغم على فعلـه لكي يتجنّب العقوبة من كلا الجانبين».

معنــى ذلك أنّ مسألة المشاركـة في الأولمبياد لا تقتصـر على قرار ابنه فقـط. وفي حال وجد النادي الكاتالوني طريقة لمنعه من الذهاب، فعلى ميسي التسليم بفقدان حلمه الأولمبي.

تلـك كانت مجرّد بدايـة معركة جذب وشدّ بين الاتحـاد الأرجنتيني لكرة القـدم وبرشلونـة، معركة ستستمـر أكثر مـن شهرين. في تلك الأثنـاء، يغادر ميسي إلى الأرجنتين على عجل بعد لعب مباراة ودية أمام منتخب كاتالونيا (آلَ النصرُ فيها للمنتخب الأرجنتيني بعد الهدف المعتاد من لافيتزي).

كان كوكو بازيلـي والمنتخب الأرجنتيني الأول في انتظاره. تضمّن برنامج المنتخـب جولة مصغـرة في الولايات المتحـدة، ومباراتين ضمـن التصفيات

المؤهلة لبطولة كأس العالَم لعام 2010م. بدايةً، تمكّن المنتخب من تحقيق فوز مهم على المكسيك، أعقبه تعادل سلبي مع الولايات المتحدة على الملعب الخاص بفريق نيويورك. ثمّ جاء دور المباريات المهمة؛ مباراة المنتخب أمام الإكوادور على ملعب المونيمونتال، وأمام البرازيل على ملعب بيلو هورايزونتي ميرايو. كان أداء المنتخب الأرجنتيني متواضعًا، وتمخّض عن تعادلين بشقّ الأنفس.

انتهت التزامات ميسي مع المنتخب، وحان وقت العطلة والحملات الإعلانية والمباريات؛ كتلك التي ينظّمها رونالدينو في الثامن والعشرين من شهر آب على ملعب مونيمونتال دي ماتورين في فنزويلا، بوصفها مرحلة ثانية من المباريات التي تجمع أصدقاء ميسي بأصدقاء رونالدينو. أسفرت نتيجة المباراة عن التعادل (7-7)، ووداع للزمالة بين الاثنين.

إنّه الثاني من شهر تموز. يعلِن سيرخيو بابتيستا قائمة فريقه المكوّنة من ثمانية عشر لاعبًا مدعوّين إلى المشاركة في الأولمبياد. ليو ميسي ضمن القائمة. قد يضع ذلك حدًّا للنزاع. يريد رئيس الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم خوليو غراندونا رؤيته هناك أيضًا. «ستستدعي الأرجنتين ميسي، وهو أمر متوافق مع لوائح الفيفا، التي تنصّ على ضرورة وجوده مع منتخب بلاده المشارك في أولمبياد بكين. لن يكون لديَّ فريق من دون ميسي، وإذا لم يسمَح له بالقدوم، فسيشكِّل ذلك سابقة تتذرَّع بها الأندية الأُخرى لعدم السماح للاعبيها بالمشاركة مع منتخباتهم، وهو أمر لا نريد أن يحدث أيضًا. من المنطقي بالنسبة إليه أن يلعب للأرجنتين؛ فبرشلونة استفاد من خدماته طوال العام. إنّ عدد المنافسات التي يمكن لميسي أن يشارك فيها منتخب بلاده قليل جدًّا».

كلام فـي الصميـم، أليـس كذلك؟ لكـنّ برشلونـة لا ينـوي الاستسلام؛ إذ يصـرِّح بيغيرستيـن قائلًا: «لقـد بحثنا فـي اللوائح، واجتمعنـا مع الاتحاد الأرجنتينـي لكـرة القدم، وسيتـم الالتزام بالقوانيـن في نهايـة المطاف. إذا كانـت اللوائح تصب في مصلحتنا فسيلعب ميسي في المباريات المؤهلة لدوري الأبطال».

يتجمّـع فريـق برشلونـة فـي الخامس عشـر من شهـر تموز بقيـادة بيب غوارديولا ودون رونالدينو؛ فكلّ ما يفصل البرازيلي عن اللعب لنادي ميلان، هو اجتيـاز الفحص الطبي. يتيح له هذا الانتقال اللعب فـي الأولمبياد؛ وذلك أمر كان البارسا قد رفضه بعدما تبيَّن أنّ اللاعب تجاوز سنّ الثالثة والعشرين، وأنّ الفيفا لا تجبِر الأندية على تسريح لاعبيها الذين تجاوزوا هذه السنّ. لكنّ نادي برلسكوني مستعد لتسريحه. لا بُدّ أنّ لسان حال ليو يقول: «يا له من محظوظ!»، لأنّه لـم يكن يعلم ما يخبّئه له القدر. تقول سيليا والدته: «يأبى النادي التحدث معـه في هذه المسألـة، فالمفاوضات تجري بين النـادي والاتحاد الأرجنتيني. وليو لا يقول شيئًا، ولا يسأل عن أيّ شيء. إنّه ينتظر الجواب النهائي وحسب».

فـي ذلك الوقت، يتوجّه ليـو إلى مدينة سانت آنـدروز، حيث يقيم النادي معسكره استعدادًا للموسم الجديد. يتعيّن على ليو أن يرافق المنتخب في رحلته إلـى طوكيـو بعدها بيوميـن؛ أي في الحـادي والعشرين من شهـر تموز؛ وذلك للمشاركـة في المباراة الودية أمام منتخـب اليابان، المزمع إقامتها في التاسع والعشرين من الشهر نفسه. لكنّ البارسا لم يعطِ الضوء الأخضر بعدُ.

اقتـرح بعضهم علـى الاتحاد الأرجنتيني تسريح ليو بعـد انتهاء جولته في الولايات المتحدة، وعقـب مباراة الذهاب من الدوري التمهيدي المؤهل لدوري الأبطـال؛ بالطبع إذا كانت النتيجة مريحة. وهـذا يعني غياب ليو عن مباريات

الـدور الأول الثلاث فـي الأولمبياد. ولكن، إذا نجـح الأرجنتين في تخطّي عتبة الدور الأول، فسيكون بمقدوره المشاركة بدءًا بالدور ربع النهائي.

لـم يحظَ الاقتراح بإعجاب الاتحاد الأرجنتينـي، فهم لا يمانعون مشاركة ميسي ناديه فـي الجولة الاستعدادية، ثمّ الانضمام إلـى المنتخب من المباراة الأولـى، ولا يتقبّلـون فكـرة الذهاب من دونـه إلـى الأولمبياد. إنّهـم يعتقدون (الاتحـاد الأرجنتيني) أنّ البارسا لا يودّ الوقوف أمامهم، وأمام الفيفا، والأهم أمـام اللاعـب نفسه؛ إذ عبَّر هذا الأخير - في أكثر من مناسبة- عن رغبته في المشاركة في الأولمبياد.

ينضـم جوزيف بلاتـر إلى هذه المعمعة يـوم الثالـث والعشرين من شهر تمـوز؛ فيصرِّح قائـلًا: «لطالما كان تسريح اللاعبين الذيـن تقل أعمارهم عن (23) عامًا إجباريًّا للأندية كلّها. ينطبق المبدأ نفسه على أولمبياد بكين 2008م أيضًـا». ثمّ يضيف رئيس الفيفا قائـلًا: «إنّ إعاقة مشاركة اللاعبين الذين تقل أعمارهـم عن (23) عامًا في المرحلة النهائية مـن المنافسات، قد تفسَّر على أنّهـا تَعَـدٍّ علـى روح الأولمبياد». لكنّ هذا القـرار ليس نهائيًّـا؛ فبإمكان رابطة اللاعبيـن المحترفين رفض هذه الحجـة؛ إذ «لا يوجد سبـب قانوني لتسريح اللاعبيـن؛ فمسابقة كرة القدم للرجال فـي الأولمبياد غير مدرجة على أجندة الاتحـاد الدولي في المدة الممتدة بين عامـي 2008م-2012م، خلافًا لمسابقة كرة القدم للسيدات».

ميسـي هو الوحيد المتأثّر فـي هذا النزاع؛ فهو يشعـر بالتوتر، ويتصرف علـى نحوٍ «غريب قليلًا» كما صرَّح زملاؤه فـي الفريق. حتى إنّه دخل في شجار مع رافاييل ماركيز بعد تدخُّل خشن من هذا الأخير في أثناء المعسكر التدريبي للفريـق فـي أسكتلندا. وقد اضطـر بيب غوارديـولا إلى التدخّـل؛ بغية تلطيف

الأجـواء، فطلب من ليو المنفعل وضع حدٍّ للأمر بصورة نهائية. كانت تلك حادثة عرضية وبسيطـة، لكنّها أغضبت المدرِّب الجديد للبارسا. أخذ غوارديولا الفتى جانبًـا، وتحـدث إليـه لمعرفة ما يزعجـه، وسبـب اضطرابه وانفعالـه، وشعوره بالحـزن. إنّـه لا يودّ رؤيته علـى هذا الحال، وإنّما مشاهدتـه سعيدًا في لعب كرة القـدم مـع البارسا. يتطلّب الأمـر كلمات قليلة لحمل ليو علـى الاعتراف. يقولها بصراحـة: «أودّ الذهـاب إلى بكين». يَعِـدُهُ غوارديولا ببذل مـا بوسعه. ثمّ يتخذ موقفًـا حازمًا بعـد مبـاراة فريقه الودّيـة أمام فريق نـادي هيبيرنيـان (انتهت لمصلحة البارسا بنتيجة (0–6)، وسجّل فيها البرغوث هدفًا رائعًا)؛ إذ صرَّح أنّ «ليو هو مَنْ يعاني في النهاية تبعات تلك القصة. بقي أسبوعان أو ثلاثة، وما زالت التصريحات الصادرة من مختلف الأطراف متضاربة. يتعيّن على بلاتر مراجعة القوانين، وتقرير ما إذا كان ميسي سيبقى معنا، أو سيغادر إلى الأولمبياد».

يتطلّـب الأمر مـن الفيفا ستة أيـام أُخرى لاتخاذ القـرار على الرغم من المطالبات جميعها. وفـي غضون ذلك، واجه البارسا فريق نادي دندي يونايتد في ثاني مبارياته الودّية، التي سجّل فيها ميسي ثلاثة أهداف. وقد صرَّح رئيس نـادي برشلونـة خوان لابورتـا حينها مؤكِّدًا موقـف ناديه، والتمسّـك بالمقترح المقـدَّم للاتحاد الأرجنتينـي، معلنًا أنّ برشلونة «سيلجـأ إلى محكمة التحكيم الرياضي لأخذ مطالبه في الحسبان»، وذلك بعد القرار الصادر عن الفيفا.

تستمر معركة الجذب والشدّ هذه. بقي أقل من أسبوع على المباراة الأولى للأرجنتيـن في الأولمبياد، ولا أحد يعـرف إذا كان ليو سيشارك أم لا. في حين تنشغـل المواقع الإلكترونية للصحف الإسبانيـة والأرجنتينية بإجراء عدد كبير من الاستفتاءات. فتسأل صحيفة كلارين قرّاءها:

هل يتعيّن على المنتخب الوطني انتظار ميسي؟

توحـي إجابة القـرّاء بالملل من هـذا المسلسل الطويل، ثـمّ تأتي الإجابة المدويـة؛ إذ يجيـب نحو (70٪) مـن المشاركين بِـ «لا»، فـي حين يظن (29٪) منهم أنّه يتعيّن الانتظار أكثر.

أمّـا صحيفـة إل باييس فتَـرِد من الطـرف الآخر للمحيط بعدهـا بأيام، سائلـة: ماذا يتعيّن على البارسا فعله حيال ميسي؟ هل ينبغي لهم تركه يشارك في الأولمبياد أم الإبقاء عليه للمشاركة في التصفيات المؤهلة لدوري الأبطال؟

رأى نحو (73٪) من المشاركين أنّ على ميسي المشاركة في الأولمبياد.

يُسمَع صوت ميسي أول مرّة يوم الثلاثاء الموافق للثلاثين من شهر تموز. كان صمتـه المطبق قد أطلق العنان لمختلف أنواع الردود. فنجد غابرييل باتيستوتا – على سبيل المثال– يدافِع عنه قائلًا: «التزامه الصمت هو عين العقل؛ فهو سيعاود اللعب مع البارسا والمنتخب الأرجنتيني بعد الأولمبياد». أمّا مارادونا فشنّ هجومًا عليـه، قائلًا: «يتعيّن عليه اتخاذ القـرار بنفسه. عليه أن يتحلّى بالرجولة في وقت مثل هذا. إنّها فرصة ممتازة لتطوير الذات. وفي كلتا الحالتين، سيجد البارسا في انتظاره. من أجل هذا منحوه القميص رقم (10)؛ لأنّهم يريدونه. فهم لم يمنحوه هذا الرقم لأنّه نجم سينمائي، بل لأنّه ظاهرة ولاعب عظيم».

وفـي المقابـل، نجد عائلته حائـرة فيما يخصّ الطريق الـذي يتعيّن عليه سلوكه؛ إذ يؤكّد خورخي ميسي ذلك، قائلًا: «نواجه حالة من تضارب المصالح، واللاعب عالق فـي المنتصف. إنّهم يستخدمون ابني وَقودًا في الحرب الدائرة بينهم. لا يصح التحامل على شاب في سنّ الحادية والعشرين بمثل هذه الصورة، فـلا أحد يعلم عواقب ذلك. من الجنون الاعتقاد بأنّ عليه اتخاذ القرار. يتعيّن على المسؤولين عن هذا الأمر التوصّل إلى اتفاق. نحن في حيرة من أمرنا».

أخيـرًا، وقبـل السفـر إلـى فلورنسا للعـب مبـاراة ودية أمـام فريق نادي فيورنتينا، يخرج ليو عن صمته، ويقول ما يدور في خلده: «إذا قرَّرت الفيفا أنّه لا يُسمَح لي بالذهاب فلن أذهب، وإذا كان عليّ الذهاب فسأذهب من دون انتظار لقرار محكمة التحكيم الرياضي؛ لأنّ انتظاري صدور القرار يعني تأخري كثيرًا على المنتخب».

بعدهـا بساعات، تُقرِّر الفيفا أنّ بإمكان ميسي الذهاب إلى الأولمبياد. ثمّ يصل تصريح من زيوريخ مفاده: «حكم قاضي لجنة أوضاع اللاعبين سلم ألولو بوجـوب تسريح اللاعبين الذين تقل أعمارهم عن (23) عامًا؛ لإفساح المجال أمامهم للمشاركة في مسابقة كرة القدم للرجال في أولمبياد بكين».

يتلقّى المعسكر الأرجنتيني هـذا النبأ بارتياح. فيصرِّح سيرخيو باتيستا قائـلًا: «من حسـن الحظ أنّ القرار صـبّ في مصلحتنا بعـد الكثير من الأخذ والـردّ». ثـمّ يُعلِّق بيب غوارديولا بعد مباراة البارسا أمـام فيورنتينا التي انتهت لمصلحـة الأول بنتيجـة (1-3): «بإمكاننا تدبّر أمورنا مـن دون ميسي. لكنّني لا أُخفـي عليكـم اعتقادي أنّنا نكون أكثـر قوة معه. إذا لم يعـد إلينا فسنحاول جاهدين التأهّل لدوري الأبطال، وإذا عاد فسيجد بابنا مفتوحًا على مصراعيه».

وفـي المقابل، صـدر ردّ مختلف عـن المسؤولين في النـادي الكاتالوني، الذيـن ما زالوا يصرّون على موقفهم. لذا، فقـد تقدّموا باستئناف إلى محكمة التحكيم الرياضي.

وفـي خضم ذلك، غـادر ميسي إلى الصيـن بدل مشاركة النـادي جولته فـي الولايات المتحـدة، حيث وعد ليو بالعودة في حال صـبّ حكم المحكمة في مصلحة البارسا.

بـدا علـى مُحَيّا ليو - لدى وصوله شنغهاي فـي الأول من شهر آب- ارتياح كان قـد افتقده منذ زمن. فتـراه يضحك مع زملائه، ويتفاعـل معهم في أثناء مشاركتهـم تدريبـات الفريـق. ثمّ ينزل في غرفـة مشتركة مع الكـون أغويرو، تمامًـا كمـا كان عليه الحال فـي بطولة كأس العالَم للشبـاب عام 2005م. آلاف من أقراص ألعاب (البلاي ستيشن)، وصوت موسيقا الكومبيا (موسيقا شعبية كولومبيـة) يملأ الأجـواء. لقد كان الاثنان منسجمين جـدًّا مع بعضهما بعضًا، ويشعـران بالاسترخاء، يُفضفِضان عمّا يجـول في خاطرهما، ويفعلان ما يحلو لهمـا. يشعـر تشيكو بالارتياح. كانـت أول مرّة يرى فيها ليـو شخصيًّا في أثناء مبـاراة الفريـق مع منتخـب كاتالونيا. لـم تخض التشكيلة الكاملـة كثيرًا من التدريبـات، لكـنّ الفرصة الآن متاحـة له كي يبني الفريق. يفكّـر بابتيستا منذ مـدّة في الموقع الذي سيزج فيه ميسي. يشرح هـذا الأمر قائلًا: «أريد أن يظلّ ميسي في الوسط مدّة أطول، وألّا يبقى على أطراف الملعب كما كان عليه الحال مع ناديه. أريد أن يَمضي بالفريق قُدُمًا باللعب أمام ريكيلمي وخلف أغويرو».

في تلك الأثناء، يصرح البرغوث للصحافة عن حلمه، قائلًا: «بالنسبة إليّ وإلـى اللاعبين كافة، سيكون من الرائـع الحصول على اللقب؛ إذ جئنا إلى هنا للظفر بالميدالية الذهبية. سنتعامل مع الموقف بتروٍّ على أمل النجاح». ثمّ أخذ يُفنِّد الأخبار المتواترة عن وجود مشكلات بينه وبين ريكيلمي (صدرت شائعات قبـل المباراة ضد البرازيل، ضمـن تصفيات بطولة كأس العالَم، تفيد بوجود مشـكلات بين ميسي وصاحـب الرقم (10)، ويصرّ علـى أنّ علاقته بريكيلمي كانـت - ولا تـزال- جيدة، لكنّ قلّة مِن الناس مَنْ يُصـدِّق مثل هذا الكلام. أمّا بخصوص اللغط الذي أخّره عن الانضمام إلى صفوف المنتخب، فقال:

«لقد تفهَّم باتيستا وزملائي في الفريق الموقف، لم يكن لديهم أدنى مشكلة فيما يخصّ انتظاري. فعلت ما كان ينبغي لي فعله. أتمنّى أن تكون المشكلة قد انتهت إلى غير رجعة». لكنّ ذلك لم يحصل.

تحكم المحكمة الرياضية لمصلحة البارسا في السادس من شهر آب؛ أي عشية أول مباراة في المجموعة الأولى أمام منتخب ساحل العاج. فقد أصدر المجلس قرارًا بأنّ «دورة الألعاب الأولمبية غير مدرجة على الأجندة الرسمية للفيفا، وأنّه لا يوجد قرار للجنة التنفيذية للفيفا يُجبِر الأندية على السماح للاعبيها الذين تقل أعمارهم عن (23) عامًا بالانضمام إلى منتخبات بلدانهم في تلك البطولة». ومع ذلك، تدعو اللجنة الأطراف صاحبة العلاقة إلى «إيجاد حلّ منطقي ينصِف اللاعبين الذين يودّون تمثيل بلادهم في الألعاب الأولمبية».

فماذا كانت رَدّة فعل الأطراف؟ صدر أول ردّ فعل عن غراندونا الذي قال: «سيبقى ميسي مع المنتخب». ثمّ أكّد باتيستا الأمر قائلًا: «ميسي سيلعب غدًا».

ولكن، ماذا عن ليو؟ إنّه يأبى التعليق على القرار، ويبدو أنّه لا ينوي العودة على الرغم من الوعد الذي قطعه على نفسه.

يؤكّد تشيكو هذا الأمر بقوله: «لقد قال لي: إنّه يرغب في البقاء برفقة الفريق، ويتمنّى على النادي تفهم موقفه». لكنّ بيرغنستين يبدو أنّه غير متفهّم لذلك: «رغبتنا – مع الأخذ في الحسبان رغبة الجماهير – هي أن يكون ليو موجودًا مع ناديه». أمّا لابورتا المنتشي بالنصر القانوني الذي حقّقه ناديه فيأمر اللاعب بالعودة حالًا. وفي المقابل، يودّ غوارديولا الحديث مع اللاعب أولًا: «أريد سماعه أولًا قبل التوصّل إلى قرار. لا يمكنني اتخاذ أيّ قرار قبل أن أستمع إليه». بعد ذلك، يجري اتصال هاتفي مطوّل بين نيويورك (حيث سيختتم البارسا جولته في الولايات المتحدة بمباراة أمام فريق نيويورك ريد بولز)

وشنغهـاي. وفيـه، يطلب ليو مـن غوارديولا البقـاء في الصيـن، والمشاركة في الأولمبيـاد، إنّها أمنية يتفهّمها غوارديولا الحائـز على الميدالية الذهبية برفقة المنتخب الإسباني عام 1992م. يَعِدُ بيب بإيجاد حلّ، وسرعان ما يفي بوعده؛ إذ ينجـح (بيب) في إقناع بيغريستين ولابورتا، فـي اجتماع عُقِدَ في فندق ريجيس الواقع على تقاطع الجادة الخامسة والشارع (53). فقد سُمِح لميسي بالبقاء في بكين، ولكن بشرطَيْن؛ أولهما: أن يتحمّل الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم تكاليف العلاج الطبي في حال أُصيب اللاعب. وهو أمر فرضه كلّ من نادي شالكه وفيردر بريمن الألمانيين لتحرير رافينها ودييغو اللذيْنِ واجها النزاع نفسه بين ناديهما والاتحـاد البرازيلي. وثانيهمـا، الحصول على تعهّد مـن غراندونا بعدم الطلب إلى ميسي الانضمام إلى المنتخب لخوض المباريات الودّية خلال الموسم. كان غوارديـولا هـو مَـنْ زَفَّ قرار برشلونة لميســي. فقد اتصل به مـن الطائرة قبل إقلاعها من نيويورك بدقائق، قائلًا: «ستبقى، استمتع بوقتك».

ســوف تعود بعثـة البارسا إلى برشلونة فـي السابع من شهـر آب. ويتعيّن إصـدار تصريح رسمـي بشأن إيجاد حـلّ لمشكلة ميسي، وهـو إجراء يقع على عاتـق بيغريستين وغوارديولا. يعلّق المدرِّب على ذلـك، قائلًا: «لقد وجد نفسه فـي موقف صعب، وكان قد أبدى رغبة شخصية فـي البقاء مع النادي في أثناء المـدة التحضيرية. ولكن، عقـب وصوله إلى الصين، طلب إلـيَّ شخصيًّا عدم دعوته إلى العودة. لاحظْتُ الكثير من القلق في حديثه؛ فقد عانى ضغوطًا هائلة هو وعائلته. لاحظْتُ عليه علامات تدل على عدم الارتياح حيال الوضع. لذا، لم يكـن من الصائب إعادتـه. علمًا بأنّ تفكيره مقصور على بكين. الآن، وبعد هذه الأحـداث كلّهـا، فإنّ أفضل شيء بالنسبة إليه هـو أن يلعب ويستمتع باللعب؛ أن يكـون سعيدًا، ويعود راضيًا. يعلـم مشجعو البارسا أنّ لدينـا لاعبًا خارقًا، وأنّه سيقدِّم خدمات رائعة للفريق عند عودته، وأنّ النـاس سيتفهّمون موقفه».

نــزل ميســي إلى أرضـ الملعــب لمواجهة منتخــب ساحل العــاج، مرتديًا القميصـ رقــم (15). وسرعان ما يــرى العالَم مدى أهمية وجــوده في الفريق المنافس بالأولمبيــاد. وقبل نهاية الشوط الأول بقليل، استلم تمريرة طويلة من ريكيلمي، ثمّ أسرع من نسقه، وسدَّد من عند نقطة الجزاء تقريبًا، واضعًا الكرة فــي الشباك بمنتهــى الخفّة والمهارة. بقــي خمس دقائق على نهايــة المباراة، والنتيجــة تشيــر إلى التعــادل بهدف لــكلّ فريق (أحــرز منتخب ساحــل العاج التعــادل بهدف من سيسيه)، وفجــأة، يتلقّى البرغوث ركلة ريكيلمي الحرّة على حافــة منطقة الجزاء، ويسدّد، لكــنّ الكرة ترتد من الحارســ، ولا يجد لاوتارو أكوستــا – الذي كان قد ضَمِــنَ تأهُّل الفريق للأولمبياد – صعوبة في إيداعها المرمى، جاعلًا النتيجة (1–2).

يستبــدل بابتيستا ميسي قبل ثوانٍ من النهايــة، مانحًا الفرصة للجماهير الصينيــة لتحيته. كانت الجماهيــر قد أمضت المباراة فــي التصفيق له، وكذا الحال عندما ظهرت صورته على الشاشة العملاقة في الملعب قبل بدء المباراة، حيــث بدأت بالهتــاف: «ميسي، ميســي»، متناسية النشيد الوطنــي الأرجنتيني الذي كان يُذاع حينها.

يُعَــدّ ميسي أحد أكثر الرياضيين شهرة فــي الصين. وإنّ المنتوجات التي يروِّجهــا تُباع بصورة كبيرة؛ من القمصان إلــى البيبسي كولا، فضلًا عن رغبة الأطفال في أن يصبحوا مثله.

لنــدع جانبًــا الشهرةَ التــي تزايدت بصــورة كبيرة خــلال الأولمبياد، إلى درجــة جعلــت منه أحد أشهــر الرياضيين حســب تصنيف الفيفــا، ولاعب كرة القــدم المفضَّل في الألعاب حسب تصويــت مستخدمي موقع (mybestplayer) الإلكترونــي، الــذي يضم نخبة مــن الرياضييــن، أمثال: ملــك السباحة مايكل فيلبس، أو أسرع رجل في العالَم يوسين بولت.

لنعد إلى المباراة؛ فخلف كواليس السؤال الذي تعرّض له غوارديولا بشأن لاعبيه المفضّلين، لمس الجميع شعور هذا المدرِّب بالسعادة؛ لأنّ المشكلة قد حُلَّت. ثمّ حان دور ليو للكلام وشكر مدرِّب الفريق، فقال: «لقد كان لاعبًا فيما مضى. لذا، فهو ليس ببعيد عمّا يشعر به اللاعب في أوقات كتلك. لقد عرف أنّني أمرّ بأوقات عصيبة، فقام بمؤازرتي منذ لحظة وصوله البارسا، منذ أول يوم تحادثنا فيه. لقد تصرّف على نحوٍ رائع، والحقيقة أنّني ممتنّ له جدًّا».

وبعد الانتهاء من معالجة هذا الموضوع بصورة نهائية، أخذ ميسي يتحدث عن البرازيل؛ منتخب صديقه رونالدينو، المرشح الآخر لنيل اللقب: «إذا وصلنا إلى النهائي سنواجه البرازيل، وحينئذٍ، سيكون الأمر أكثر صعوبة؛ نظرًا إلى وجود روني ضمن الفريق. من الرائع دومًا الفوز في مباراة نهائية، ولكنّ الأروع هو الفوز على البرازيل». ولكن، قبل ذلك هناك أستراليا، المنافس القوي والعنيد الذي يجيد ألعاب الهواء، وسيسبِّب لنا المتاعب، ستكون مباراة صعبة وشاقة جدًّا».

وهذا ما كان فعلًا. فقد بقي على زمن المباراة – التي أُقيمت على الملعب الأولمبي في شنغهاي- ربع ساعة والنتيجة ما زالت التعادل (0-0). وفي واقع الأمر، فقد كان أداء منتخب الأرجنتين أفضل منه في المباراة الأولى، على الأقل في الشوط الأول؛ إذ صنع لاعبوه كثيرًا من الفرص، لكنّ الحارس الأسترالي فيديريتشي كان لها بالمرصاد. بعدها بثوانٍ عدّة، بدأت هجمة تبادل فيها ميسي وريكيلمي الكرة، ثمّ أرسلها هذا الأخير نحو اليسار في اتجاه دي ماريا الذي رفعها إلى الوسط ليحوِّلها لافيتزي إلى الشباك، مسجِّلًا هدف الانتصار.

بعد ذلك بيومين، وعلى الطرف الآخر من الكرة الأرضية، نجح برشلونة - المحروم من خدمات ميسي- في تحقيق الفوز أيضاً. ولكن، بنتيجة (0-4) على فريق فيسلا كراكوفيا، في مباراة الذهاب من الدور المؤهّل لدوري

أبطال أوروبا. وبذا، يتبخّر القلق الذي تملّك البلاوغرانا. لنعد إلى الصين مرّة أُخرى. فقد قفل المنتخب الأرجنتيني عائدًا إلى القرية الأولمبية في بكين بعد ضمانه التأهّل للدور ربع النهائي. وعلى الرغم من خلوّ الأجواء من الرفاهية التي اعتادها لاعبو كرة القدم، إلّا أنّها كانت مليئة باللقاءات. يتذكّر أوسكار أوستاري ذلك، قائلًا: «كنّا نتناول الطعام، فرأيناه يدخل، ثمّ وقف في الطابور للحصول على الطعام، ثمّ يجلس إلى الطاولة.

قال لنا: «مرحبًا، أنا كوبي (براينت). تحدث إلينا بالإسبانية، فبحث عن ميسي، وتحدث إليه بعض الوقت. وفي هذه الأثناء، اغتنمنا الفرصة لالتقاط بعض الصور معه. وعندما أراد الرحيل، قام بحركة بيده كأنّه ينزع قبعته، ونظر إلى ميسي مباشرة، قائلًا له: «أنت الأفضل يا ميسي». شعرنا بالرهبة جميعًا. ثمّ جاء نادال أيضًا. لا يمكنك التحرّك بحرية حينما تكون برفقة ميسي؛ فالكلّ يستوقفك أينما ذهبت».

لا يقتصر الأمر في بكين على لقاء مشاهير من مختلف أنحاء العالَم؛ فعلى الفريق الآن مواجهة منتخب صربيا.

يريح تشيكو ميسي، ويبقي ريكيلمي وأغويرو على الدكّة للحفاظ عليهما، ويتيح المجال للاعبينَ البدلاء. أجرى تشيكو سبعة تغييرات على التشكيلة، لكنّ ذلك لم يمنعه من تحقيق الفوز بنتيجة (0-2)، بعدما سجّل لافيتزي بركلة جزاء، وبونانوتي بركلة حرّة مباشرة؛ وبذا، تكون الأرجنتين قد حقّقت تسعة انتصارات متتالية في الأولمبياد (محطّمة الرقم القياسي الذي كان بحوزة الأوروغواي مدة ثمانين عامًا)؛ لتستحقّ عن جدارة صدارة المجموعة. أمّا الخاسر الأوحد فكان الستين ألف متفرّج الذين توافدوا على ملعب العمّال ببكين لرؤية ميسي وهو يلعب. فقد أخذ هؤلاء يردّدون اسمه في أثناء الشوط الأول،

ثمّ تحـوّل التشجيع إلى صافرات استهجان للمنتخب الأرجنتيني، حينما أحسّوا أنّ البرغـوث لن يلعـب. وكان على المدرِّب في النهاية تبرير القرار الذي اتخذه بهـذا الشأن: «يتعيّن علـى الشعب الصيني تفهّم أنّنا جئنـا هنا لتحقيق هدف، هـو الظفر بالميدالية الذهبية. لم يكن ميسي هـو الوحيد الذي لم يلعب اليوم؛ فريكيلمـي وأغويرو وغاراي لـم يشاركوا أيضًا. لقد وضعْـتُ مصلحة المنتخب العليا نُصْب عينيّ. من المؤسف أنّهم شعروا بالانزعاج. وآمل أن يسامحوني».

تجـري المباراة المقبلـة على ملعب العمّال ببكين أيضًـا، هذه المرّة أمام هولندا، في السادس عشر من شهر آب. كان مارادونا موجودًا أيضًا على مقاعد المدرّجـات، إنّه يريد تشجيع منتخب بلاده، وتشجيع الكون أغويرو أيضًا؛ إذ إنّ هـذا الأخير هو الصديق الحميم لابنة مارادونـا جيانينا. لا مجال للخطأ إذن. فقد وعى ليو الأمر وطبّقه على أرض الواقع.

وهذا وَصْفُ صحيفة كلارين للأحداث: «كم أمنية سيحقّق هذا المارد في مباريـات المنتخب الوطني؟ لو كان هنـاك ثلاث فقط كما في القصة الأصلية، لعانـت فرقـة بابتيستا نقصًا حيـال ما تحتاج إليه من هـذا الساحر القادم من برشلونـة، الذي أبدع مرّة أُخرى اليـوم، بعد أن سجّل هدفًا رائعًا، ومرَّر تمريرة أروع، لينهي قصة حاولت هولندا إطالة أمدها بعدما كادت تخطف حلمها بالفوز بالذهب مرّة أُخرى». ولكن، ما الذي فعله البرغوث هذه المرّة؟ لقد أنهى مباراة غاية في التعقيد؛ إذ راوغ مدافِعًا، وتلاعب بحارس المرمى، تاركًا إيّاه في مهبّ الريـح، ثمّ سدَّد الكرة فـي المرمى قبل أن ينجح أيّ مـن الهولنديينَ اليائسينَ فـي اعتراضه لتصبح النتيجة (0-1). بعدئـذٍ، وفي الدقيقة الرابعة عشرة من الشوط الإضافي الأول، تمكّن دي ماريا من التنبؤ بمسار تسديدة قوية، فوضعها هـذا الأخير زاحفة، ليؤمّن فـوزًا بنتيجة (1-2). ثمّ أخـذت الأرجنتين تستعد لمواجهة البرازيل في نصف النهائي.

إنّه يمثّل دربي الإبداع؛ النهائي المبكّر المنتظر، والفرصة المثالية للانتقام بعدمــا حدث في آخر المواجهات التاريخية بين المنتخبين (الهزيمة في نهائي كوبــا أمريكا عام 2008م التي أُقيمت في بيــرو، والهزيمة في كأس القارات عام 2005م، والهزيمة في كوبا أمريكا عام 2007م في فنزويلا).

تواجه الأرجنتيــن (حاملة اللقب الأولمبي) المنتخــب البرازيلي الذي لم يظفــر بالذهب قطّ. إنّها المباراة التي حلــم بها ليو، مع أنّه كان يتمنّى أن تكون هــذه المباراة فــي النهائي. لم يقتصر الأمر على ذلك فحسب؛ إذ نجد مواجهة ثنائية بين ليو، ورونالدينو (صديقَيْنِ وزميلَيْنِ سابقَيْنِ)، الموهوب الصغير في مواجهــة الفائز السابق بالكرة الذهبيــة، الحاضر ضد الماضي، النجم الحالي ضــد البطل الذي يسعى للنهوض من بين الرماد. القائمة تطول، والنقاش حول أيّهما الأفضل مفتوح على مصراعيه. الكلّ يدلي برأيه. حتى الكون أغويرو أدلى بدلوه، قائلًا: «ليونيل أفضل من رونالدينو حاليًّا. إنّه أفضل لاعب في العالَم».

يتجنَّــب ميســي التطرّق إلــى الموضوع، لكنّــه لا يتجنَّــب الإجابة عن سيل الأسئلــة الموجّهة إليــه: «أنا لا أتوقّى. ولكن، تذكر يــا روني: الذهب سيكون من نصيــب الأرجنتيــن! حلمي هو حلــم الفريق بأســره. سنفوز من أجــل صديقي أوستــاري (تعرّضــ أوسكار للإصابة فــي مباراة الفريق أمــام منتخب هولندا، ولــم يتمكّن من الذود عن مرمى الإلبيسيليستي من ضربات منتخب البرازيل). ستكــون مباراة شاقة، شأنها في ذلك شأن جميع المباريات التي جمعت الفريق بمنتخــب البرازيل. الفريقان متعبان جدًّا بسبب الأشواط الإضافية التي لعباها في ربع النهائي. تملك البرازيل فريقًا خارقًا، لكنّ فريقنا قوي أيضاً.

يلعــب كلا الفريقين لتحقيــق الهدف نفسه؛ وهو الفــوز بالذهب، وقد فاز فريقهــم في آخــر نهائي جمعنــا. لا تزال ذكــرى نهائي كوبا أمريــكا عالقة في

ذهني. حان دورنا الآن...» وهذا ما كان فعلًا. ولكن، بطريقة لم تخطر على بال أحـد؛ فقد سحقوا البرازيل وأذلّوها؛ إذ سجّل أغويرو هدفين، وساهم في صنع ثالث (تعرّض لعرقلة نال على إثرها ركلة جزاء حوّلها ريكيلمي بنجاح)، واحتفل بذلك واضعًـا إبهامه في فمه (دلالة على المولود الذي ينتظره وجيانينا)؛ كلّها دلالات على ضعف فريق دونغا، وتدهور مسيرة رونالدينو.

كتبـت صحيفـة إل باييس فـي وصف هذا الأخيـر: «يُعَـدّ البرازيلي اليوم لاعبًـا زائفًـا، لا هَمَّ له سوى التظاهر، وإجـراء المحادثات المرحة وغيرها من الحـركات المشابهة، التي يسعى بها إلى الظهور على صفحات الجرائد، وكسب تصفيـق الجماهيـر الحديثة العهد فـي كرة القدم. وعلى الرغـم من محاولاته التغطيـة على انحدار أدائه فيما يخصّ العروض المسرحية، إلّا أنّ ما تبقّى فيه مـن كرة القدم لا يكفيه لتقديم أداء متميّز، إلّا عندما تصبح الكرة مثله؛ ميتة، إذ إنّه لايزال قادرًا على تنفيذ الركلات الحرّة».

هجوم شرس على اللاعب الذي كان الأفضل في العالَم في يوم من الأيام. لكـنّ الأكثر شراسة كان الصـورة التي ظهرت عن طريـق وسائل الإعلام حول العالَم في اليوم المقبل: روني يرتدي قميصه الأصفر الذي يحمل الرقم (10)، وشارة القائد على ذراعه، يجد العزاء بحني رأسه بين ذراعي «شقيقه الأصغر» ميسي. يقـف ليو على أطراف أصابعه مواسيًا مَثَلَه الأعلى. تُظهِر الصورة قدرًا كبيرًا من المحبّة، إلى جانب الكثير من السوداوية.

فاز ليو في المواجهة المنتظرة، مع أنّه لم يترك بصمة واضحة في اللقاء. إنّه يشعر بالسعادة. وفي المقابل، فإنّ كلّ ما يخطر على بال روني هو الاختباء، والاختفاء عن وجه الأرض. وقد قال في وقت لاحق: «أنا حزين جدًّا». كانت تلك بالنسبـة إليه فرصة كي يراه العالَم مرّة أُخـرى، لكنّه فشل في اغتنامها. وعلى الجانب الآخر، كان ليو في طريقه للظفر بالذهب.

تبـدأ المبـاراة النهائيـة لمسابقـة كـرة القدم في تمـام الساعـة الثانية عشـرة من ظهر يوم الثالـث والعشرين من شهر آب (الواحـدة صباحًا بتوقيت الأرجنتيـن)، على الملعب الوطني الملقَّب بِعشّ الطائـر في بكين. أمّا الخصم فهـو نيجيريا، كمـا كان عليه الحال في دورة أتلانتا عـام 1996م، وبطولة كأس العالَم للشباب في هولندا عام 2005م.

في النهائي الذي أُقيم على الأراضي الأمريكية، خطف نوانكو كانو الذهب لفريقـه بعد المبـاراة التي فازت بها نيجيريا، وعَدَّتهـا الفيفا واحدة من أفضل عشر مباريات في تاريخ الأولمبياد.

ثأر الأرجنتينيـون عام 2005م في هولندا. وكان حينها ليو هو البطل الذي تغلّب على النسور الخُضْر بتسجيله ركلتي جزاء. يشارك الآن خمسة عشر لاعبًا (بمَنْ فيهم ميسي، والكون) من الذين اختيروا حينها. يتوقّع مارادونا النتيجة، قائـلًا: «سنفـوز من دون أدنى شـكّ. نتيجة (0-2) ستكون مثاليـة». لكنّ الأمر ليس سهلًا البتة.

كانـت درجة الحرارة مرتفعة جدًّا، لدرجة جعلـت الحكم المجري فيكتور كاساي يطلب وقتًا مستقطعًا على غرار كرة السلّة، وذلك عند الدقيقة الثلاثين؛ لإراحـة اللاعبينَ. استراحة تكرّرت فـي الشوط الثاني. الأرضية قاسية وجافة، والنسور الخُضْر ينتشرون في الملعب بشكل منظّم.

كان ميسـي وأغويـرو وحيديْنِ فـي المقدّمة، لا تؤثّـر خطواتهما الصغيرة ومراوغاتهمـا فـي اللاعبيـنَ النيجيريـينَ العمالقـة. ريكلمي ليس فـي أفضل حالاتـه. ولاعب الوسط غاغـو والزعيم ماسكيرانو يبـذلان كلّ ما في وسعهما. المباراة سيئة وبائسـة، مملّة ومتعبة، إلى أن تحين الدقيقة السابعة والخمسون التي تشهد مناوشات بين لاعب أرجنتيني وآخر نيجيري، ترتد الكرة على إثرها

إلــى منتصف الملعــب، فيستحوذ عليها ميسي، ثمّ يمرِّرهــا بدقة إلى العمق في اتجــاه أنخل دي ماريا. ينطلق اللاعب السابق لروزاريو سنترال، والحالي لريال مدريـد؛ فاكهة الدورة الأولمبيــة، إلى اليسار بحرية، ثمّ يصل إلى حافة منطقة الجــزاء، ويواجــه الحارس فانزيكن الذي يخرج عن مرمــاه في محاولة يائسة. يرفع دي ماريا الكرة من فوق الحارس بحنان بقدمه اليسرى، مرسِلًا إيّاها في هواء بكين الرطب. لا يســع الحارس النيجيري سوى النهوض، ومشاهدة الكرة تعانق الشباك، فيتسمّر في مكانه؛ لقد كانت تحفة فنية تستحق الذهب.

تعــود الأرجنتيــن لتحتل قمّة المنصــة بعد أن فعلت الأمــر نفسه قبل أربع سنوات في أثينا. ميسي يحتفل بتحقيق حلمه متأبِّطًا ذراعي أغويرو. لقد تمكَّن من ردّ الاعتراضات القانونية كلّها، وتحقيق نصر على كلّ مَنْ حاول حرمانه من حضــور هذا المشهد الخرافي. فيصرِّح بأعلى صوته، قائلًا: «بعد كلّ شيء قيل ونوقِش، فقد كان أمرًا استحق أن آتي لأجله».

الفصل الخامس والثلاثون

سعادة

السابع والعشرون من أيار عام 2009م

بيـن جـادة ليكسينغتون والجـادة الخامسـة، نشاهد سائق سيـارة أجرة باكستانيًّـا يلقّب نفسه بِـ هابي كابي، يشارك الزبائن فلسفته في الحياة: «عليك أن تكـون سعيـدًا لكي تتمكّـن من جعل النـاس سعداء. هنـاك تكمـن السعادة»، يقولهـا مشيحًا بوجهـه إلى الخلف ليواجه الركّاب، مشيـرًا بسبّابته نحو رأسه. «نعـم، منوط بك جعل الآخريـن والعالَم أجمع سعداء». قد يكـون ليو هو الآخر استشعـر الأخبـار الجيـدة الـواردة من خضم الضجـة التي تتميّـز بها منطقة ميدتـاون، والأكيـد أنّ أسعد سنـيّ حياته بدأت من هنا تحديـدًا؛ في نيويورك، علـى تقاطـع الجـادة الخامسة والشـارع الثالـث والخمسين، في أحـد أجنحة فنـدق سانـت ريجيس، حين أقنع بيـب غوارديولا كلًّا من لابورتـا وبيغيرنستين بالسمـاح لميسي بالبقاء في بكين؛ ما يعني الموافقـة على مشاركة الأرجنتيني فـي الأولمبيـاد، الذي كان حافـزه الأكبر ولا شكّ، كما شـكّل ذلك بداية علاقة مميَّزة بين البرغوث ومدرِّب البلاوغرانا.

يقـول خورخي ميسي: «بدأ كلّ شيء هناك فـي بكين بعد الفوز بالميدالية الذهبيـة. لقد أصبح أكثر سعادة ممّا مضـى. نعم، لقد كان ذلك ما أراده بيب؛

أن يحقّق ليو حلمه. يُقِرّ غواردويلا بالأمر، قائلًا: «لا أعرف حقًّا... يبدو في قمّة السعادة بالنسبة إليَّ. أعتقد أنّنا نجحنا».

كان المدرِّب الشاب تنبّه فعلًا لحقيقة أنّ تمكين البرغوث من جعل المعسكر الكاتالوني سعيدًا يبدأ بجعل البرغوث نفسه سعيدًا، وهو أمر تحقّق ولا شكّ.

يؤكِّد المدير الرياضي للبارسا تكسيكي بيغرستين الأمرَ، قائلًا: «إذا مازحك حين يراك، فهذا يعني أنّه سعيد. أمّا إذا بدا أنّه تجاهلك، وأشاح بنظره عنك، فاعلم أنّ هناك خطبًا ما. ليو يمزح معي ومع كلّ مَنْ يراه منذ بداية العام». يصرِّح زملاؤه في الفريق بالشيء عينه؛ إذ يقول تشافي: «إنّه يلعب بأقصى مهاراته وقدراته عندما يكون سعيدًا ومرتاحًا». ثمّ يضيف القائد بويول: «إنّه في غاية السعادة، لكنّني رأيته يغضب أيضًا. ليس لديك أدنى فكرة عن حاله عندما يفشل في تحقيق الفوز». لكنّ ذلك لم يحدث في أثناء موسم 2008م–2009م؛ إذ فاز فريق البارسا بكلّ بطولة: الدوري الإسباني، وكأس الملك، ودوري الأبطال، ليكون بذلك أول فريق إسباني يفوز بالثلاثية، فضلًا عن حصد لقب كأس السوبر الإسبانية، وكأس السوبر الأوروبية.

تمكَّن ليو من جانبه، من تسجيل أكبر عدد من الأهداف في مسيرته الاحترافية (23 هدفًا في الدوري المحلي)، ما جعله رابع هدّافي الدوري بعد دييغو فورلان، وصامويل إيتو، وديفيد فيا. ولا ننسى تسجيله الهدف رقم (5000) في تاريخ النادي الكاتالوني في الدوري المحلي، حيث سجّله في مرمى ريسينغ في المباراة التي أُقيمت في سانتاندير، في الأول من شهر شباط عام 2009م. لقد كان هدفه الثاني في المباراة، وقد ضَمِنَ به انتصار البارسا. أعقب ذلك إحراز ستة أهداف في بطولة كأس الملك، محتلًّا بذلك صدارة

هدّافي المسابقة، مع أنّه لم يشارك إلّا (542) دقيقة؛ أي بمعدل هدف كلّ (75) دقيقــة، فضلًا عن هدفين في كأس السوبر الإسباني. سجّل أيضًا تسعة أهداف فــي دوري الأبطال، منصّبًــا نفسه هدّافًا للبطولة. لم يعــانِ أيّ إصابة في أثناء الإحــدى والخمسين مبــاراة التي خاضها خلال الموسم، وهــو أمر جيد مقارنة بمــا عاناه في الموسميْنِ المنصرميْنِ. أضف إلــى ذلك الإنجازات التي حقّقها علــى المستوى الشخصي؛ فقــد اختاره مدرِّبو الــدوري الإسباني بوصفه أفضل لاعب أجنبي، متغلّبًا بذلك على فورلان، وداني ألفيش، وكانوتيه. واختاره مدرِّبو الفــرق التــي وصلت إلى دور الستة عشر مــن دوري الأبطال في العام المنصرم بوصفــه أفضل لاعب، وأفضل مهاجــم في تلك البطولة، متقدِّمًا على كريستيانو رونالدو. صحيح أنّ الأداء الرائع الذي قدّمه الفريق قد ساعده على حصد تلك الجوائــز، لكنّ ذلك لا يمنــع الاعتراف أنّ أداء ميسي تطــوّر بصورة كبيرة منذ أن ارتــدى القميص رقــم (10)، ونزع عنه ثوب الخجل؛ ســواء في غرف تغيير الملابــس، أو على أرض الملعــب، كلّ ذلك بأسلوب غاية في التواضع. وفي ذلك يقــول مدافِع البارسا جيرارد بيكيه: «لــم يتغيّر مُذْ قابلته عندما كنّا في الرابعة عشرة. لم يتصرّف يومًا على أساس أنّه الأفضل، لكنّه لطالما عرف أنّنا جميعًا نَعُدُّه الأفضل».

يعلِّــق ليــو في منتدى غريمالدي فــي مونتي كارلو – متأنِّقًــا ببذلته وربطة العنق الغامقتين والقميص الأبيض، بعد اختياره أفضل لاعب في دوري الأبطال لموســم 2008م-2009م، قائــلًا: «لقــد كان عامًا رائعًــا. استمتعت بــه كثيرًا». ثــمّ أخذ يجيب مَــنْ سأله عن أفضــل لحظاته، قائلًا: «كانت هنــاك الكثير من اللحظات الرائعة، من المستحيل اختيار واحدة بعينها».

لأنّ البطل حار في اختيار أفضل لحظاته، فسنحاول نحن تحديد ذلك:

الزمان: السابع والعشرون من شهر أيار عام 2009م.

المكان: الملعب الأولمبي في روما.

البطولة: نهائي دوري الأبطال.

الفريق: برشلونة في مواجهة مانشستر يونايتد.

ومع أنّ البرغوث قد حاز لقب دوري الأبطال، لكنه لا يشعر بذلك؛ فهو لم يشارك في المباراة التي جرت يوم السابع عشر من أيار عام 2006م، على ملعب سان دوني في باريس؛ إذ رفض الأطباء إعطاءه الضوء الأخضر للمشاركة في تلك المباراة على الرغم من تأكيده مرارًا أنّه على ما يرام، وأنّ إصابة الفخذ التي كان يعانيها لا تؤلِمه؛ ما اضطره إلى متابعة النهائي الذي جمع البارسا بآرسنال تيري هنري من المدرّجات. وفي أثناء لحظات الفرح والعناق والاحتفال، قاده انزعاجه للابتعاد إلى حجرة تغيير الملابس. وكان صديقاه ديكو، ورونالدينو هما مَنْ أخرجاه مِن هناك، محاوليْنِ إقناعه أنّ النصر يشمله أيضًا، لكنّ محاولاتهما باءت بالفشل؛ فبالنسبة إليه، يتعيّن عليك أن تلعب كي تحسّ بلذّة الانتصار ونشوته.

أمّا الآن فقد أصبح الوضع مختلفًا، وهو أمر يعيه ليو ويستشعره؛ إذ كان عاملًا حاسمًا في نجاح البارسا في الوصول إلى روما. لقد سجّل ثمانية أهداف جعلت منه هدّاف المسابقة، متقدّمًا بذلك على تيري هنري صاحب الأهداف الخمسة، وعلى بيرباتوف، وروني، وكريستيانو رونالدو، الذي سجّل كلٌّ منهم أربعة أهداف.

سجّل ميسي خمسة من أهدافه تلك في مرحلة المجموعات: اثنان في مرمى شاختار دونيتسك بأوكرانيا، مجيِّرًا مباراة صعبة لمصلحة البلاوغرانا، وهدفان آخران في مرمى بازل؛ أحدهما في سويسرا في مباراة انتهت بفوز

ساحق للبارسا (0-5)، والآخر في كامب نو، وجاء آخرها في مرمى سبورتنغ لشبونة؛ إذ عانى الفريقُ البرتغالي الآلـةَ التهديفية للبارسا، وخسر على أرضه بنتيجة (2-5). وسجّل ليو ثلاثة أهداف في مرحلة خروج المغلوب، جاءت جميعها في الديار: هدف في مرمى ليون في ربع النهائي، واثنان في مرمى بايرن ميونيخ؛ وهي تُعَدّ أفضلَ مباريات البرغوث في الموسم.

وفي المقابل، لم يتمكّن ميسي من التسجيل في مباراة نصف النهائي أمام تشيلسي؛ وهي مباراة برز فيها أندرياس انيستا بوصفه بطلًا للفريق حينما سجّل هدفًا خياليًّا في الدقيقة الثالثة والتسعين، لكنّ ليو كان هو مَنْ مرَّر الكرة إلى صاحب القميص الذي يحمل الرقم (8)، ليسدِّدها هذا الأخير في المرمى. وبعد طول انتظار... وبعد العمل ليل نهار، أصبح لميسي دور قيادي في إدارة الفريق.

يضع النهائي حامل لقب الدوري الإسباني لموسم 2008م-2009م في مواجهة حامل لقب الدوري الإنجليزي في الموسم المنصرم. يضم الفريقان كثيرًا من اللاعبينَ العظماء. وهذه تشكيلة الفريقَيْنِ:

برشلونة: فالديز، بويول، توريه، بيكيه، سيلفينهو، بوسكيتس، تشافي، انيستا، ميسي، هنري، إيتو.

مانشستر يونايتد: فان دير سار، أوشيه، فيديتش، فيرديناند، إيفرا، بارك، أنديرسون، كاريك، روني، غيغز، كريستسانو رونالدو.

يدخل السير أليكس فيرغسون النهائي متسلِّحًا بخبرات سنين طويلة، في مواجهة بيب غوارديولا؛ فاكهة الموسم الجديدة. إنّها المباراة التي كان يحلم بها عشّاق كرة القدم في أوروبا، فهي تضم أفضل تشكيلتَيْنِ على الإطلاق، بين فريقَيْنِ قدَّما أفضل أداء في القارة.

تُعَـدّ هذه المباراة «الأهم فـي مسيرتي الكروية» كما أعلـن ليو. قال ذلك قبـل الصعود إلى الطائرة المتوجّهة إلى روما. إنّها المرّة الأولى التي يزور فيها المدينـة الأبدية، لكنّه لا يقصدها للسياحة؛ فهو متوجِّه إلى العاصمة الإيطالية واضعًـا نُصْـب عينيه الفوز، ولا شيء غيره. ومع ذلك، فقـد صرَّح قائلًا: «إنّهم حاملـو اللقب. لذا، إذا كان هناك فريق مرشّـح للفوز في مباراة كهذه – وليس هناك طبعًا – فهو فريقهم».

تروِّج وسائل الإعلام للمبـاراة بوصفها نزالًا ثنائيًّا عظيمًا بين كريستيانو رونالـدو، وليو ميسـي. ثمّ تستعرض هـذه الوسائل الإحصائيـات الخاصة بكلّ لاعب فـي دوري الأبطال، مؤكِّدة أنّ مباراة روما ستقرِّر الفائز بالكرة الذهبية. إنّهـا فرصـة البرغوث للتغلُّب على خصمـه الذي فاز بالكـرة الذهبية الخاصة بمجلـة فرانس فوتبول (بفارق 165 صوتًا، فـي الثاني من شهر كانون الأول عام 2008م)، والـذي أكّـد أحقيته بالقمّة بعد فوزه بجائـزة أفضل لاعب في العالَم، فـي الثانـي عشر من شهر كانون الثاني عام 2009م. لكـنّ ليو لا يوافق على تلك الفكـرة، قائلًا: «سيكـون ذلك قلّة احتـرام وتقليلاً من شـأن فريقَيْنِ عظيمَيْنِ يلعبـان حاليًّا أفضـل كرة قدم؛ فريقَيْـنِ يملكان لاعبِينَ آخريـنَ يمكنهم حسم المبـاراة». باختصار، لا توجد منافسة شخصية بينـه وبين كريستيانو لتحديد أيّهمـا الأفضـل: «أنا متأكِّد أنّـه يفكِّر في الطريقة نفسهـا؛ فالمهم هو الجوائز الجماعيـة التي سيفوز بهـا الفريق. وممّا لا شكّ فيه أنّ مَنْ يفوز في روما سيُعَدّ الأفضل في أوروبا».

كلام جميـل، إلّا أنّ كلا اللاعبيْـنِ يعرف أنّه سيكون محـطّ أنظار نصف سكّان العالَم. ينشط رونالدو الذي لم يقدِّم موسمًا جيدًا، لكنّه يتطلّع إلى إثبات أنّـه ما زال الرقم الأول في العالَم؛ فينشـط على نحوٍ واضح في بداية المباراة. ينفِّـذ ركلة حرّة من على بُعْد (35) ياردة في الدقيقة الأولى من المباراة. يرجع

إلــى الخلف خمس خطوات كالمعتاد، ثمّ يهــز ساقه اليسرى، ويسدِّد. يا لها من تسديــدة رائعة! تلفّ الكرة، ثــمّ تضرب صدر فيكتور فالديز الذي لم يتمكَّن من السيطــرة عليها. ينقِذ بيكيه الموقف من أمام الكــوري بارك جيه سونغ، فيبعِد الكرة إلى ركنية. يضع كريستيانو يديه على رأسه دلالةً على الحسرة. لقد تمكَّن صاحــب القميص الأبيض ذو الرقــم (7) من تقديم أداء متميِّز قبل أن يحصل ميســي على أول لمساتــه للكرة (ثلاث تسديدات، وبطاقــة صفراء لبيكيه الذي أوقفــه بطريقة غير شرعية). بعد ذلك، تأتي أفضل إبداعات مانشستر يونايتد من عند قدمي كريستيانو، إلّا أنّ ميسي لم يدخل بعدُ في أجواء المباراة. يلاحِظ والــده ذلك، فيقول معلِّقًــا: «لقد كان ليو خارج أجواء المباراة بعض الوقت، ولم نلحظه إلّا بعد إحراز الهدف الأول».

وفي واقع الأمر، فإنّ ليو لم يظهر إلّا بعد تسع دقائق من تسجيل إيتو هدف السبق لبرشلونة. فقد أخذ يبتعد عن الجانب الأيمن، ويدخل منطقة الوسط، ثمّ أطلق تسديدة صاروخية شبه زاحفة من على بُعْد (35) ياردة.

لعب ميسي كلاعب وسط متقدّم إضافي؛ لإجبار خطّ دفاع وسط مانشستر يونايتــد علــى ترك مواقعه، وهــو أمر علَّق عليــه فيرغسون لاحقًا بعــد المباراة بقولــه: «لقــد فاجأنا، وصعب علينــا مراقبته». يبدو هذا الأمــر صحيحًا؛ فكلّما كانــت الكــرة بين قدمــي الأرجنتينــي، تمكَّن مــن التسبُّب في مشــكلات لدفاع الفريق الإنجليزي.

بــدأ البارســا بالسيطرة علــى المباراة، وتمكَّــن ميسي – مــع أنّه ليس في أفضل حالاته – من غربلة لاعبي اليونايتد مرّات عدّة، وأخذ مستوى أدائه يرتفع تدريجيًّا. كان الظهير الأيسر الفرنسي في نادي مانشستر يونايتد باتريس إيفرا – اللاعــب الذي حسم لقاء الفريقيْنِ في شهر نيسان من عام 2008م (0–0 في

مبـاراة الذهاب، و 0-1 فـي مباراة الإياب) – قد تنبّـأ بالأمر: «ميسي متعطش للفوز بصورة أكبر من قبل، وقد أصبح الآن أفضل ممّا كان عليه قبل عام».

كان إيفـرا مُحِقًّـا فيمـا قال؛ فتمريـرات ميسـي دقيقة بنسبـة 84٪. وإنّ التقاطعـات التـي كان يقـوم بهـا قريبـة من درجـة الكمـال، حتى إنّهـا جعلت المخضـرم رايان غيغز يقـول: «لا يسعك إلّا أن تُذهَل عندما تراهم يلعبون». ثمّ تأتي الدقيقة السبعون؛ الدقيقة التي صعد فيها البرغوثُ القممَ الرومانية. ففي تلـك اللحظة، أصبـح اللاعب الأقصـر (لا يهم أنّ طولـه 1,69 متر فقط) هو اللاعب الأعظم.

إليكم ما حدث:

استحوذ تشافي على الكـرة المرتدة من الدفاعات الإنجليزية، فاتجه بها إلى منطقة الجزاء، ثمّ رفعها برأسه وأرسلها عرضية، ملتفّة بدقة وحنان.

وفـي هـذه الأثنـاء، أدار ميسي ظهـره للمدافعينَ، ثـمّ ارتقى إلى الأعلـى كثيرًا، وضرب الكرة برأسه نحو الاتجاه المعاكس لحارس المرمى، فأصبحت النتيجة (0-2).

التعليـق: «عندمـا حصـل تشافي علـى الكرة تسمّـرْتُ هنـاك؛ لعلمي أنّه سيرفعهـا. ثمّ لاحظْتُ أنّ فان دير سـار متقدّم عن مرماه قليلًا، فأرسلت الكرة هناك برأسي».

المشهد الحالي: ميسي ثابت في الهواء، لا يتحرَّك، يحلِّق عاليًا، يميل إلى الخلـف. الكرة مقوّسة، ويبدو أنّها ستخرج من فوق العارضة. في المقدّمة، فان دير سار ببزّته الصفراء، يكتفي بمراقبة المشهد، فاغِرًا فاه، وتعلو وجهه نظرة رعـب. كان قريبًا جدًّا منه، نرى ريو فيرديناند، فاقدًا التركيز، ولا يملك شيئًا حيال قفزة البرغوث، مع أنّه أطول منه بعشرين سنتيمترًا.

المشهد السابق: راهن الكثيرون على أنّ البرغوث سيسجّل في النهائي، إلّا أنّ وكلاء المراهنـات لم يقدِّموا هامش ربح كبير لهذا الأمر. ولم يتوقّع آخرون أن يسجّل بالرأس؛ فحتى تلك اللحظة كان قد سجّل بالرأس مرّتين فقط. كان بيـب غوارديـولا - الذي حمّس لاعبيـه قبل المباراة بشريـط فيديو مقتبس من فيلم المصارع (The Gladiator) - هو الوحيد الذي تنبّأ بذلك.

ففـي مؤتمر صحفي عُقِدَ بمدينة سانتاندير في الأول من شهر شباط عام ٢٠٠٩م - قبـل يوم واحد من مبـاراة الفريق أمام ريسينغ - سُئِلَ غوارديولا عمّا إذا كان ميسـي يرغب في تسجيل أهداف أكثـر بالرأس لينال لقب أفضل لاعب فـي العالَم؟ فردّ المدرِّب المنحدر من مدينة سانت بيدرو قائلًا: «أنصحكم ألّا تستفزوه؛ لأنّه في يوم ما سيسجّل هدفًا رائعًا بالرأس ويُسكِتكم جميعًا».

الفضول: «يعترف خورخـي ميسي الذي كان يتابع المباراة من المدرّجات برفقـة زوجته سيليا وأبنائه وعائلاتهم: «أنا لـم أشاهد هدف ابني. كنت أنظر إلـى أسفل في تلك اللحظة، لا أدري ما إذا فعلـت ذلك بسبب التوتر. لقد رأيت الهدف - فيما بعد - على التلفاز، وأَصْدُقُكَ القول: إنّني لم أشاهد ليو يقفز إلى هذا العلوّ في حياتي. ولكن، متى خلع حذاءه؟». ففي اللحظة التي عاد فيها ابنه إلـى أرض الملعب من جديد - وقبل أن يُغمَر بأحضان زملائه في الفريق - قام بلفّة حاملًا حذاءه الأزرق الجديد؛ دلالة على ولائه لوطنه الأرجنتين.

في تلك الأثناء، أخذت جماهير البارسا تهتف باسمه من مدرّجات الملعب الأولمبـي، وكان عددهـم يناهِز 20,000 شخصـ. وبعد انتهـاء المباراة، كان غوارديـولا؛ الرجل الذي أحسن معاملتـه دائمًا، هو أول مَنْ حضنه. ولكن، ماذا عـن الطرف الآخر في الصراع الثنائـي؛ كريستيانو رونالدو؟ لقد ظهر في آخر أنفاسـ المباراة مرهقًا تعبًا، وهو يتجادل مع روني، ثمّ تلقّى بطاقة صفراء بعد

تعرُّضــه غير المبرَّر لبويـول. وقد صرَّح لاحقًا، بعد أن ارتـدى بزّته على عجل، وشعـور الانكسـار يخيِّم على مُحَيّاه: «لم تكن مبـاراة بيني وبين ميسي، ففريقه كان أفضل من فريقنا، وكذا الحال بالنسبة إليه؛ فقد سجّل هدفًا».

يقدِّم المهزوم فروض الطاعة للمنتصر. يشعر ليو بأنّ الكأس ملك له هذه المـرّة. فأخذ يقبِّلها ويحضنها ويتباهى بها، ثـمّ أخذها في جولة حول الملعب، واحتفل مع العائلة والأصدقاء حتى الثالثة من صباح اليوم اللاحق.

صرَّح ميسي فيما بعد بالآتي: «أشعر بأنّني أسعد رجل في العالَم، يُخيَّل إليَّ أنّنـي أعيش في حلم جميـل، إنّه الانتصار الأهم في حياتـي. أُهديه إلى عائلتي، وإلـى الأرجنتين. يستحق الفريق هـذا اللقب بعد الجهود المضنية التي بذلها في هـذا الموسم». يا له من جهد جبّار، تمخّض عنه كرة قدم رائعة وراقية أقرّت بها وسائـل الإعلام في مختلف أنحـاء العالَم. وقد لوحِظ أنّ أخبـار ميسي تصدّرت صفحـات الصحف الأولى وعناوينها الرئيسة. فقد عنونت صحيفة كوريري ديللو سبـورت الصادرة في روما صفحتهـا الرئيسة بجملة: «ميسي، ملـك أوروبا». ثمّ كتبت صحيفـة غازيتا ديللو سبورت بخطّ بارز: «سوبـر ميسي». وتصدّر صحيفةَ ناسيون الصادرة في بوينوس آيرس العنوانُ الآتي: «ميسي وبرشلونة على قمّة هرم العالَـم». أمّا صحيفة أوليه الرياضية الصادرة فـي بوينوس آيرس أيضًا فنشرت صـورة لميسي حاملًا الكأس، وكتبت أسفل منها: «لا تطلبوا إليَّ ضربها برأسي». فـي حين كتبـت صحيفة ذا تايمز: «اليونايتد ليسوا بحجـم ميسي الرائع»، مُذيِّلَةً العنـوان بصـورة مشابهة لتلك التي نشرتهـا صحيفة إل باييـس: ميسي مبتسم، يشير بيديه إلى السماء، وتعنون «ميسي هو الأفضل». كلام لا يجادل فيه أحد.

وهذا مشهد آخر يُظهِر مشاعر الفرح الغامر التي خالجت نفس ميسي في أثناء مسيرته الكروية.

اليـوم الحاسم هـو الثاني من شهر أيـار عام 2009م، والمـكان هو ملعب البرنابيو في مدريد، حيث الجولة الرابعة والثلاثون من الدوري الإسباني؛ ريال مدريد في مواجهة برشلونة.

لا مجـال هنـا للمقارنـات، فنحـن أمـام عالَميْـنِ مختلفيْـنِ، وطريقتيْنِ متباينتيْـنِ في التعاطي مع كرة القـدم. ولكن، حين يلتقي هذان الفريقان وجهًا لوجـه، يصبح موقعهما على سلّم الترتيب أمرًا ليس ذا أهمية، ولا تؤخَذ سلسلة الانتصارات المتتالية التي حقَّقها أحدهما في الحسبان.

تتجلّى الحقيقة الرقمية القاسية على أرضية ملعب البرنابيو؛ ستة أهداف مقابـل هدفيـن، لم يحدث مثل هذا الأمر من قبلُ قطّ. كان ذلك أكبر إذلال في تاريخ الفريق الأبيض؛ فالبلاوغرانا لم يتمكّن قبل ذلك من تسجيل ستة أهداف علـى ملعـب البرنابيـو. كانت أقـرب نتيجة إلى ذلـك هي (0–5) فـي المباراة التـي خاضها الفريـق عـام 1974م بقيادة يوهـان كرويف. تخيَّل أنّـه قبل تلك الليلـة الحارة في مدريد، اعتقد مـدرِّب البلانكوس خواندي راموس ولاعبوه أنّ بإمكانهـم الفوز في المباراة. كانـوا ينوون تذليل الفارق النقطي الذي يفصلهم عن البارسا إلى نقطة واحدة، ولعب المباريات الأربع المتبقية من عمر الدوري بمنتهـى السعادة والارتياح. لديهم إذن أسباب تدعوهـم إلى التفاؤل؛ فقد أدّوا على نحوٍ ممتاز منذ تعرّضهم للهزيمة بهدفين في كامب نو، في الثالث عشر من شهـر كانون الأول عام 2008م (0–2؛ هدف لإيتـو، وآخر لميسي دون شك)، ما جعل الفارق حينها يتسع بين الطرفين إلى (12) نقطة.

حقّـق الفريق الأبيض رقمًـا قياسيًّا بحصده (52) نقطـة من أصل (54) ممكنـة؛ إذ لعب (18) مباراة من دون هزيمـة، على الرغم من الأزمة الداخلية التي كان يعانيها، وأدَّت إلى إعفاء رئيس النـادي رامون كالديرون من منصبه.

إذن، لديهم سبب يدعوهم إلى التفاؤل فيما يخصّ الدوري المحلي، خلافًا لوضعهم في دوري الأبطال (يخرج الفريق من دوري الستة عشر بعد الهزيمة القاسية (0-5) على يد ليفربول الذي يقوده رافاييل بينيتيز). صحيح أنّ التشكيلة التي يتمتع بها البارسا، إلى جانب ميسي – صاحب الحادي والعشرين هدفًا في الدوري حتى الآن- كفيلة ببثّ الرعب في نفس أيّ منافس. ولكن، حين يسأل المدير الفني لريال مدريد عمّا إذا كان سيطبّق خطة المدرِّب تشيلسي غوس هيدينك (التي طبَّقها في مباراة ذهاب نصف نهائي دوري الأبطال)، يصر قائلًا: «ليست لديَّ خطة لإيقاف ميسي تحديدًا، فذلك لا يضمن لنا الفوز. علينا محاولة إفساد الأسلوب الذي يلعب به برشلونة، وبذل ما في وسعنا بوصفنا فريقًا».

عمل جماعي أثمر في أول ثلاث عشرة دقيقة من المباراة؛ بهدف سجّله غونزالو هيغواين، مانحًا فريقه قصب السبق. لكنّ الموقف لا يعدو كونه مجرّد وهم؛ فالفارق بين الفريقَيْنِ شاسع؛ لأنّ لاعبي البارسا يقطرون كرة قدم من كلّ حدب وصوب. إنّهم يقدِّمون كرة قدم تمتاز بالجمال في أنقى صوره، وبمهارة اللعب الراقية في أبهى حُلَلِها. فهم يلعبون بأسلوب سهل ممتنع، يتخلّله تمريرات دقيقة وانسيابية تُشعِر الناظر أنّه يتابع حصة تدريبية، لا مباراة. لقد استطاعوا النَّيْلَ من الفريق الأبيض.

تنتقل الكرة البيضاء فوق العشب الأخضر بين أقدام اللاعبينَ بكلّ سهولة، خذ وهات، حتى تصل لاعبًا يحوِّلها إلى فكرة؛ إلى شيء سحري، أو إلى مشروع هدف ببساطة. فعل ميسي ذلك – على سبيل المثال- حين رفع الكرة بخفّة من فوق سيرخيو راموس الذي حاول قطعها من دون جدوى، لتحط مباشرة على قدم هنري، الذي وضعها بمهارة وإبداع في مرمى كاسياس محرِزًا هدفًا. عجبًا، كيف سيكون حال ريال مدريد من دون إيكر؟ تنهمر التسديدات من كلّ جهة، تسديدات لا تُحصى. إنّه كابوس بحقّ يؤرِّق حارس الريال. يضيِّع

رجـال غوارديولا الفرص تباعًا؛ سواء بداعي الأنانية، كما في حالة ميسي الذي يتـوق إلى هزّ مرمى الريال (لم يتمكّن من التسجيل في البرنابيو خلال زياراته الثـلاث السابقـة)، متجاهِلًا زملاءه المتملّصين من الرقابـة؛ أو بسبب الكرم الزائـد على الحدّ، كما في حالة انيستا صاحب الحذاء الأصفر، الذي لعب كرة ثنائية مع البرغوث من منتصف الملعب، لكنّه لم ينهِ الهجمة، وآثر إعادة الكرة إلى هذا الأخير الذي سدَّدها من مكان قريب، لكنّ كاسياس كان لها بالمرصاد.

علـى أيّ حال، تمكّـن الفريق من تسجيل ثلاثة أهـداف في الشوط الأول. فبعد الهدف الأول من هنري، أضاف قائد الفريق بويول الهدف الثاني، ثمّ أنهى ليـو الشوط الأول بهدف على الأراضـي المدريدية طال انتظاره؛ إذ خطف نجم الأمسيـة تشافي الكرة من لاسانـا ديارا في منتصف الملعب، ثمّ مرَّرها إلى ليو الذي سدَّدها في المرمى.

عَـمَّ الصمت أرجـاء ملعب البرنابيـو، وأمسى طعم الشطائـر التي اعتاد المشجعـون تناولها بين الشوطين مُرًّا. بعـد استئناف اللعب في الشوط الثاني، لاحَـظ الجميع علـى لاعبي غوارديولا عـدم رغبتهم في القسـوة على خصمهم المشهور. فعاد المطارَدون مؤقّتًا بهدف من رأسية راموس بعد ركلة حرّة نفَّذها روبين، مقلِّصًا الفارق. لكنّ هذا الأمر لم يَدُمْ سوى بضع دقائق؛ فلاعبو البارسا يسيطرون على المباراة كما يحلو لهم. تسجِّل الأهداف نفسها بنفسها؛ فتشافي «الطبيـب» يصنع تمريرات غاية في الروعـة، وانيستا يشنّ الهجمة تلو الأُخرى، وهنري يتلاعب براموس مسجِّـلًا هدفه الثاني، وميسي مثل الشبح الذي يظهر فـي مختلف أرجاء الملعب، في كلّ مـكان لا يُتوقَّع رؤيته فيه. حتى كاسياس كان لا يَتوقَّـع رؤيته، ووجد نفسه طريح الأرض فيما الكـرة تعانِق الشباك. أصبحت النتيجـة (2-5)، وميسـي يجري نحو آلات التصوير رافعًـا قميصه بين أسنانه ليظهر قميص آخر مرسوم تحته وردة، مع عبارة «متلازمة إكس الهش».

كان ميسي قد بدأ منذ مدّة تعاونًا مع منظمة كتالونية تُعنى بمساعدة العائلات التي لديها أطفال يعانون متلازمة هشاشة الكروموسوم إكس، التي تُعرَف أيضًا بمتلازمة مارتن- بيل؛ إنّها خلل جيني وراثي قد يسبِّب صعوبات خطيرة، بَدءًا بمشكلات التعلّم، وانتهاءً بتراجع القدرة على الاستيعاب العقلي. يصيب هذا المرض واحدًا من كلّ أربعة آلاف صبي، وواحدة من كلّ ستة آلاف فتاة، وإنّ واحدة من كلّ مئتين وخمسين امرأة تحمل جين المرض من دون أن يبدو عليها علاماته.

لم تكن تلك أول مرّة يساعد فيها ميسي هذه المنظمة؛ فقد رعى عام 2008م كتاب «تسع وثلاثون قصة من التضامن في الرياضة»، الذي ألَّفه صحفيون كاتالان، ورصدوا ريعه للمنظّمة. لكنّ لفتة التضامن تلك، والإهداء الذي أعقبه الهدف سيشاهَد في مختلف أرجاء العالَم، لافتًا أنظار الملايين إلى المشكلة الجينية التي يلفّها الإهمال. إنّه مثال واقعي على كيفية استثمار كرة تعانِق الشباك في خدمة هدف يتعدّى نتيجة مباراة في كرة القدم.

لنعد إلى المباراة التي لم يسبق لها مثيل؛ فالبارسا لايزال يواصِل الهجوم، وخير مثال على ذلك هو جيرارد بيكيه الذي يؤدي أداء ملوكيًّا في الخطّ الخلفي - أداء خالٍ من الأخطاء تمامًا -، ويتمكّن من إضافة الهدف السادس؛ هدف يغرِق الملعب في حزن عميق. لقد تحطّمت آمال الريال بالفوز ببطولة الدوري. ولن يتمكّن أحد الآن من إزعاج البارسا الذي اعتلى قمّة الهرم؛ فالفارق أضحى سبع نقاط بينه وبين أقرب مطارديه. ومن الراجح أنّ أحدًا لن يمكنه الإطاحة بهم من هذه القمّة، حتى لو كانت نتيجة تلك المباراة مختلفة. ولكن، ما يميِّز هذه المباراة هو تذكيرها بالعروض التي يقدِّمها ليو ميسي إلى جانب فرقة غوارديولا طوال الموسم؛ سواء على الصعيد المحلي أو الأوروبي.

وبـذا، يُقفَل فصل مُظلِم من فصول كتاب ريال مدريد، ويتعيّن على عشّاق البلانكوس الآن انتظـار الانتخابات لجلب رئيس جديد للنـادي، أو حتى ما هو أفضـل مـن ذلك؛ والحديـث هنا عـن المنقِذ فلورينتـو بيريث، الـذي سيشغل ملايينـه لإعادة بناء فريقه الضعيف، الذي كان حتى تلك اللحظة حامل اللقب. ولكن، هناك أمر آخر جَلَل؛ فنتيجة (2-6) تحمل طعم الانتقام.

ففي آخـر زيارة للبلاوغرانا إلـى البرنابيو في السابع مـن شهر أيار عام 2008م، وقف لاعبوه صفين لتشكيل ممر يؤدي إلى الملعب؛ تكريمًا لريال مدريد الـذي كان قد ضمن لقـب الدوري سلفًا. كانت مباراة مليئـة بالمعاناة للبارسا، وانتهت بخسارة مدوية بنتيجة (1-4)، وإذلال مزدوج للكتالان.

وكان ميسـي قد صرَّح لصحيفـة غازيتا ديللو سبورت قبـل المباراة، قائلًا: «قلنا قبل المباراة: إنّنا لا نسعى إلى الانتقام بسبب اصطفافنا في السنة الماضية. ولكـن، من الواضح أنّنا عانينـا غصّة في حلوقنا، كان مردّهـا النتيجة والطريقة التي خسرنا بها، لا الاصطفاف الذي قمنا به... لقد نزعنا الشوكة بطريقة رائعة».

مشهـد ثالث آخر يشير إلى مظاهر البهجة والسرور التي راودت أحاسيس ميسي ومشاعره في غمرة تألّقه، وذيوع صيته.

كان ذلـك في الثالث عشـر من شهر أيار عام 2009م، حيث واجه برشلونة أتليتيكو بلباو على ملعب مستايا بفلنسيا، في نهائي بطولة كأس الملك.

تُرفَـع لافتة صفـراء مكتوب عليها عبـارة «ميسي هو الملـك»، وذلك عند زاوية الملعب، حيث يجلس أنصار البارسا.

لا تحمـل هذه اللافتـة أيّ إساءة إلـى ملك إسبانيا خـوان كارلوس، الذي حرص على متابعة المباراة مـن على المدرّجات. فقد كانـت جماهير البارسا

محقـة؛ إذ تُوِّج ليو ملكًا للملعب في أول نهائـي يلعبه منذ مشاركته الفريق الأول للبلاوغرانـا. فهو يلعب ويصنع الفرص، ويسجّل الأهـداف ويصنعها. لقد أدى علـى نحـوٍ مغاير لمـا فعله دييغـو مارادونا قبل خمسـة وعشرين عامًـا؛ أي في الخامسـ من أيار عـام 1984م، في نهائـي مشابه جمعه بأتليتيكـو بلباو. فعند صافرة النهاية آنذاك (كانت المباراة قد انتهت بفوز أسود بلباو بنتيجة (0-1) بفضـل هدف سجّله إنديكو)، وجّـه مارادونا ركلة إلى سولا مـا أدى إلى نشوب شجـار كبير على أرضية ملعب البرنابيو. شارك جميع اللاعبين تقريبًا في تلك المعركـة. أراد مارادونا – كانت تلك مباراتـه الأخيرة مع البارسا قبل الانتقال إلـى نابولي– الانتقام من مدافع بلباو إندونـي غويكوتشيا الذي تسبَّب في كسر قدمـه قبلها بتسعة أشهر. وقد أسفـر هذا الشجار عن حرمان ستة لاعبين مدّة ثلاثة أشهر. كان الفتى الذهبي، وقتئذٍ، في سنّ الرابعة والعشرين، في حين لم تتجاوز سنّ البرغوث الآن واحدًا وعشرين عامًا. ومع ذلك، فقد بدا أكثر نضجًا من مارادونا؛ إذ لا تظهر على مُحَيّاه علامات العصبية، ويشكِّل مع تشافي محور لعب البلاوغرانا.

لقد صنع ثلاثة من أهداف البارسا الأربعة التي وضعت حدًّا لأحلام بلباو في الفوز بالكأس للمرّة الرابعة والعشرين. يتقدَّم الباسكيون في النتيجة، ويقاومون بكلّ كبرياء حتى الشوط الثاني، حيث ظهر ميسي في الوقت المناسب. فقد مرَّر ليـو تمريرة سحرية إلى الكاميروني إيتو الذي سـدَّد بقوة، لكنّ الحارس غوركا إيرايثـوث تمكّن من صدها، فترتد الكرة ليستحـوذ عليها صاحب الرقم (10) بـكل هدوء، ويسجّل هدفًـا. أصبحت النتيجـة الآن (1-2)، بعد هدف الحسم. وفـي هذه الأثناء، واصل البرغوث تقديم عروضه الرائعة؛ تمريرة دقيقة صوب بويـان الذي ينهيها في الشباك على طريقة الكبـار، مسجِّلًا الهدف الثالث. ثمّ أسهـم في صنع الهدف الرابـع؛ إذ تعرّض ليو للعرقلـة، فحصل على ركلة حرّة

حوَّلهـا تشافي بطريقة رائعة إلـى الشباك. بعد ذلك، سعى ميسي إلى ردّ الدين لإيتـو على تعاون هذا الأخير في أثناء المباراة. ثمّ أوشك الكاميروني أن يسجّل الهدف الخامس لولا تدخُّل غوركا الذي صدَّ الكرة بقدمه.

فـاز البارسا بالكأس للمـرّة الخامسة والعشرين فـي تاريخه. وغدا ملعب مستايـا مسرحًـا للاحتفالات، وأخذت الجماهير تتغنّـى باسم ميسي. ثمّ كتبت صحيفـة مـاركا في اليـوم اللاحق: «ميسي لا يعـرف الفشل في هـذا النوع من المباريـات، وقد أثبـت للجميع مرّة أُخـرى أمس أنّه اللاعب الأكثـر حسمًا في إسبانيـا. تهطـل الألقـاب مثل المطـر على هذا اللاعـب الـذي سيصبح رمزًا لعصرنا من دون شكّ».

إليـك مشهدًا رابعًا آخر جـرت أحداثه على ملعب كامب نـو في برشلونة، حيـث التقى برشلونة أتليتيكو بلباو، في إياب كأس السوبر الإسباني، يوم الثالث والعشرين من شهر آب عام 2009م.

لم يشارك ليو في مباراة الذهاب التي جرت على ملعب سان ماميس، لكنّه حضر مبـاراة الإياب منذ البداية. وقد لعب إلى جانبـه آخر انتدابات البارسا؛ زلاتان إبراهيموفيتش، الذي انتقل حديثًا من نادي الإنتر الإيطالي مقابل (45) مليون يورو، إضافة إلى صامويل إيتو. وكان فريق غوارديولا المفتقِر إلى خدمات ليـو وإبراهيموفيتش والمصاب انيستا، قد فاز علـى بلباو بهدفين مقابل هدف واحـد (سجّـل للبارسا تشافـي وبيدرو، ولبلبـاو دي ماركوس)، وهـو أمر جعل الكأس أقرب إلى خزائن البارسا.

تُعَـدّ هذه المبـاراة غريبة في ظاهرها؛ فالبارسا يجـب أن يلعب مع نفسه لأنّـه حاز بطولة الدوري وكأس الملك، لكنّ اللجنـة المنظِّمة ارتأت أن يلعب مع وصيف كأس الملك؛ أي أتليتيكو بلباو. لم يكن الأمر مختلفًا في نهاية المطاف؛

ففريق البارسا هو وحده مَنْ يلعب؛ فعلى الرغم من الإصرار والمقاومة التي أظهرها الفريق الباسكي، إلّا أنّه اكتفى بالمشاهدة. يوشك البرغوث أن يُجهز على الفريق الباسكي، على الرغم من بدايته البطيئة كما هي العادة في كثير من المباريات، إلّا أنّه ينطلق انطلاقة قاتلة؛ سواء أكان ذلك عند إمرار الكرة، أم الشروع في تسجيل هدف.

بدأ ميسي اللعب بإضاعة انفراد تام مع الحارس إيرايثوث. ثمّ تبع ذلك بلعبة ثنائية رائعة مع الوافد الجديد إبراهيموفيتش، حيث مرَّر الكرة إلى السويدي الذي سيطر عليها بصدره وسدَّد، لكنّ الحارس بالمرصاد. يغيِّر ليو من واقع الحال بحركة سحرية تمكَّن بها من اختراق دفاع الأسود. فقد مرَّر تشافي الكرة إلى إبراهيموفتش، ثمّ مرَّرها هذا الأخير بكعبه إلى ميسي الذي تجاوز قلب الدفاع بحركة من قدمه اليسرى، واضِعًا الكرة في حلق المرمى بقدمه اليمنى. يا له من هدف رائع لا يقدر عليه إلّا كبار النجوم! إنّه التقدُّم الذي طال انتظاره؛ فالبارسا لم يكن دقيقًا وموفَّقًا في إنهاء الهجمات طوال الشوط الأول، ولم يُسدِّد لاعبوه كثيرًا نحو المرمى. ولكن يظهر ميسي فجأة، ويبدأ الحفلة بهدفه الخارق، ثمّ يضيف هدفًا آخر من خطّ الجزاء عند الدقيقة السابعة والستين.

يحصل ألفيش على ركلة جزاء – حسب قرار الحكم – بعد معمعة في منطقة الجزاء، فيضع ليو الكرة في مكانها على نقطة الجزاء، ثمّ يقذفها نحو المرمى بإتقان، لتستقر على يمين غوركا. لقد حُسِمت نتيجة المباراة حقًّا. ولكن، قبل أن تبدأ الاحتفالات، يَظهر بويان ليضيف هدفًا ثالثًا. إنّه اللقب الرابع على التوالي للبارسا، والأمر لا يقف عند هذا الحدّ. ففي الثامن والعشرين من شهر آب عام 2009م، وعلى ملعب لويس الثاني في موناكو، أُقيمت مباراة جمعت بين فريقي برشلونة وشاختار دونيتسك، ضمن بطولة كأس السوبر الأوروبية.

«تـرك ميسـي الكرة لي. كان عليَّ فقـط غمزها في اتجـاه المرمى». تلك كانت كلمات بيدرو إيليزير رودريغيز ليديزما، المشهور ببيدريتو.

يبلغ هذا البرازيلي الثانية والعشرين من العمر، وهو يرتدي القميص الذي يحمـل الرقـم (17) في البارسـا. وصل برشلونة عندما كان فـي سنّ الخامسة عشـرة، وقد كان أحد اللاعبينَ الثمانية (الاحتياطيين) الذين استدعاهم بيب غوارديولا لخوض مباراة السوبر الأوروبي؛ مباراة تأبى أن تنتهي.

قـام هذا اللاعب الذي لازم مقاعد البدلاء بتوقيع عَقد مع البارسا أخيرًا، فـي العشرين من شهر آب تحديدًا. إنّــه اللاعب الذي فاز بلقب دوري الأبطال، مع أنّه لم يلعب سوى دقيقة واحدة، لم يلمس الكرة خلالها. فقد نزل إلى الملعب فـي الدقيقة الحادية والثمانين مـكان زلاتان إبراهيموفيتش، ونجح في الدقيقة الخامسـة عشرة بعد المئة في تسجيل هدف بعد تمرير الكرة بطريقة (واحد-اثنـان) مع ميسـي، وتحديد الزاويـة المثاليـة للتسديد، وقذف الكـرة لتستقر بجانـب قائم الحارس بياتوف، واضعًا بذلك حـدًّا لمباراة شاقة، ومؤمِّنًا اللقب الخامس للبارسا هذا الموسم.

لكـنّ البرازيلي الصغير يُقِـرّ بالحقيقة، وينسب الفضـل – بكلّ تواضع – إلـى ميسي. لم تكن تلك مبـاراة سهلة؛ فالخطة الماكرة التـي وضعها المدرِّب المخضرم ميركا لوشيسكو آتت أُكلها على أكمل وجه.

نجـح الدفاع الذي أعـدّه المدرِّب الرومانـي في صَدّ الهجمـات المتتالية التي شنَّها رجال غوارديولا، الذين لم يتمكّنوا من تهديد مرمى الخصم إلّا بعد مُضـيّ نصف ساعة على بداية المباراة. ثـمّ تُنفَّذ ركلة حرّة، تصل ميسي الذي يتلاعـب بدفاع الخصـم بكلّ مهارة، لكـنّ الحارس الأوكراني نجـح مرّتين في إيقـاف تسديدته. ومع ذلك، لم يجد السأم والملـل طريقًا إلى نفس ليو ورفاقه

الذين ما فتئوا يحاولون إيجاد الثغرات، غير آبهين بالهجمات المرتدة التي لجأ إليها رجال لوشيسكو.

ظهـر ليو ميسي مرّة أُخـرى، لينفِّذ ركلة حرّة على حافـة منطقة الجزاء. يقوِّس كرة يعترضهـا حائط الصـدّ. فيعترض ليـو ولاعبو البارسـا الآخرون، ويطالبـون بركلة جزاء بحُجَّـة أنّ أحد المدافِعينَ اعترض الكرة بمرفقه. انتهى الشـوط الأول، ثمّ بدأ الشوط الثاني علـى المنوال نفسه. لا أهداف على أرضية ملعـب لويس الثاني الرديئة. بدأت العصبية بالظهور، لدرجة أنّ ميسي دخل في شجـار مع داريو سرنا، ثمّ تلقّى إنذارًا بسبب دفعه أحد مدافِعي شاختار بعد أن وجد نفسه محاطًا بعدد منهم.

قبـل نهاية الوقـت الإضافي بخمس دقائق، أهدى ليـو تمريرة سحرية إلى بيرديتـو. كانت تلـك التسديدة هي الحاديـة والعشرون للبارسـا على المرمى؛ تسديـدة جلبـت لهم الانتصـار. فقد سـدَّد البرازيلي الكرةَ بقدمـه اليمنى في أثنـاء سقوطـه على الأرض، جاعلًا مـن فريقه أسطورة بكلّ معنـى الكلمة. إنّه الهـدف الذي يسـاوي فريق غوارديـولا بالبارسا الذي فـاز بخمس بطولات من قبلُ (ضـم ذلك الفريق الرائع كلًّا من: رامايتس، ومارتن، وبيوسكا، وسيغوير، وغونز الفو الثالث، وبوشـ، وباسورا، وسيزار، وفيلا، وكوبالا، ومانشيون). ففي موسم 1951م – 1952م، فاز المدرِّب فيرديناند داوشيك ببطولة الدوري، وكأس الملـك، وكوبـا لاتينا، وكوبا إيفا دوارتـي (سُمِّيت بذلك تيمُّنًـا بإيفيتا بيرون)، وكوبا مارتيني وروسي.

لقـد كان ذلـك الفريق مميَّـزًا حقًّا، لدرجـة أنّ إنجـازات لاعبيه ما زالت عالقة بأذهان جماهير البارسا.

يُذكَـر أنّ تلـك المجموعة التي قادها لاديزلاو كوبـالا، فازت بثلاثة ألقاب علـى أرض الملعـب، وبلقبين مـن دون لعب؛ فهي لـم تلعب في كأسـ كوبا إيفا دوارتــي (كأس السوبـر الإسبانية حسب المُسمّى الحالــي)؛ لأنّ أفرادها فازوا ببطولـة الدوري والكأس، كما كان كأس كوبا مارتيني وروسي يُمنَح للفريق الذي يسجِّل أكبر عدد من الأهداف في الدوري.

وفــي المقابل، فقــد فاز البارسا ميسي بخمسة ألقــاب على أرض الملعب. كلّ ما تبقّى الآن هو الفوز ببطولة كأس العالَم للأندية المزمع إقامتها في كانون الأول، لتكتمل المجموعــة، وتحطَّم الأرقام القياسية جميعها. سيكون ذلك آخر فصل في حكاية البلاوغرانا الخارقة.

لكــنّ الإنسان لا يعيشـ بالألقــاب والكؤوس وحدها... فمــع أنّ كرة القدم مهمة جــدًّا بالنسبة إلى ميسي، لكن عائلته تحتل مرتبة الصدارة في الحاضر، وربّما في المستقبل أيضًا. عودة على بَدء، فقد عانى ميسي الكثير من التقلّبات هــذا العام أكثـر من أيّ وقت مضى؛ فقــد كان مشغولًا جدًّا بمرضـ أحد أفراد عائلتــه (لحسن الطالع، تماثل هذا الفــرد للشفاء)، لكنّه كان محظوظًا بقضاء نحــو شهرين مع العائلــة. وفي ذلك يقول: «كانوا جميعهم هنــا في كاستيلفيلز: أعمامي، وخالاتي، وأبناؤهم. من الجميل أن يعجّ المنزل بأفراد العائلة».

وهناك المزيد، فقد بدأ بعلاقة عاطفية أفصح عن مكنوناتها في الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني عام 2009م، لمقدِّم برنامج هاتريك الذي يبثّه التلفزيــون الكاتالوني. فقد طرح عليه صبي أمــام الكاميرات السؤال الأصعب: «هل لديك صديقة حميمة؟».

يخــرج ليــو لسانه مــن فمه، ثمّ يجيــب: «لــديَّ صديقة حميمــة تعيش في الأرجنتيــن. الحقيقــة أنّنــي على مــا يرام، وهادئ حيــال الوضع». وفــي الثاني

والعشريـن من شهر شباط؛ أي بعد شهر تقريبًا مـن اللقاء المتلفز، شوهِد ليو فـي شوارع منطقة سيتغيس في برشلونة، متأبِّطًا فتـاة ذات شعر طويل وبشرة سمراء. وقد أشعل ذلك الحدث سباقًا محمومًا بين الصحف الصفراء لمعرفة هوية الفتاة الغامضة.

تمثِّـل تلـك الفتـاة العلاقة الرسميـة الأولى لليـو، بعـد كلّ العلاقات التي نسبتهـا إليه الصحف الصفراء فـي الأرجنتين، مثل: علاقتـه بعارضة الأزياء الأرجنتينيـة ماكارينا ليموس قبـل بطولة كأس العالَم لعـام 2006م، أو بنيرينا ذات الثمانية عشر ربيعًا، أو بالأرجنتينية الفاتنة لوتشيانا سالازار.

أنتونيـلا روكوزو هي فتاة في التاسعـة عشرة من العمر، تنحدر من مدينة روزاريـو، وتشجع نادي نيولز، وتدرس التغذيـة، ولا تشبه أيًّا من الفتيات اللاتي اختلقتهنّ الصحف الصفراء.

يقـول ليو فـي مقابلة أجراهـا مع صحيفـة كلارين الأرجنتينيـة في شهر أيـار: «نعم، إنّني أعرفها مُذْ كنت فـي الخامسة من عمري، إنّها قريبة صديقي المقـرَّب (لـوكا سكاليا)، ومـن روزاريو مثلي. لقـد كبرنا معًا. تعـرف عائلتي عائلتهـا جيـدًا. لذا، لـم يساورني أيّ شكّ». ثـمّ يكشف أنّهمـا على علاقة منذ عـام. وقد تمكَّن من إبقاء هذا الأمـر سرًّا؛ لأنّه «كتوم» حسب تعبيره، وفي ذلك يقول: «لم يكن أحد ليعرف عن الأمر لولا أنّنا قرّرنا المشي في شوارع سيتغيس أيـام المهرجانات (الكرنفـالات)». وقد تطوّر الأمر ليصبح الخبـر رسميًّا؛ إذ التُقِطـت صـور أُخرى للاثنين معًـا في بوينوس آيرس في شهـر حزيران، حيث يستعد المنتخب الأرجنتيني لخوض مباراتين ضمن التصفيات المؤهّلة لبطولة كأس العالَم المزمع إقامتها في جنوب إفريقيا. والتُقِطت صورة عائلية في أحد

شـوارع المدينة، تَظهر فيها أنتونيلا وهي تُمسك بذراع والدة ميسي سيليا. فهل هناك مشروع زواج في الأفق؟

لا، يعلنهـا ليـو بكلّ صراحة: «لن أتزوج في الوقـت الراهن». لكنّ المغامرة الرومانسيـة مستمـرة. لننتظـر، ونشاهـد... يملك ليـو من المال مـا يكفيهما والأجيـال التي بعدهما، ليعيشوا برغد؛ خاصة أنّه سيجدِّد عقده مع برشلونة في الثامن عشر من شهر أيلول عام 2009م مدة أربع سنوات قادمة. وهو عقد يحصل بموجبه على أكثر من (10) ملايين يورو سنويًّا، ويُعَدّ الرقم الأعلى الذي يحصل عليه لاعب في تاريخ البلاوغرانا، وزيد الشرط الجزائي في العقد ليصبح (250) مليون يورو بعد أن كان (150) مليونًا. إنّه عقد جديد ينتهي في الثلاثين من شهر حزيـران عام 2016م، يكـون حينها البرغوث قد وصل سـنّ التاسعة والعشرين. لـم يتبقَّ إلّا الكـرزة التي ستزين الكعكة، وهي أسعد سنواته على الإطلاق: الكرة الذهبية، وجائزة أفضل لاعب في العالَم. إنّها «حلم. أفضل إنجاز على المستوى الشخصـي» كما يصف الأمر في مقابلة مع قناة ليكيـب التي سألته: «مَنْ ترشِّح للفوز هذا العام؟». فأجاب: «أتمنّى أن يحين دوري هذا العام».

الفصل السادس والثلاثون

الثالثة ثابتة

الأول، والتاسع عشر، والحادي والعشرون من كانون الأول عام ٢٠٠٩م

نعم، لقد حان دوره هذه المرّة. ينطبق على هذه الحالة مقولة «الثالثة ثابتة»؛ فبعدما حلّ ثالثًا عام 2007م، وثانيًا عام 2008م، فاز ليونيل أندرياس ميسي بالكرة الذهبية التي تمنحها مجلة فرانس فوتبول لموسم عام 2009م. جاء هذا الفوز بعد تغلّبه على منافسيه بفارق كبير؛ فقد حصل على (473) نقطة من أصل (480) ممكنة؛ أي أكثر من ضعف ما حصل عليه كريستيانو رونالدو الذي حلّ ثانيًا بعد حصوله على (233) نقطة. في حين احتلّ تشافي هيرنانديز المركز الثالث بحصوله على (173) نقطة.

صوَّت لميسي (90) شخصًا من أصل (95)؛ أي ما نسبته 56, 98٪ من عدد النقاط الممنوحة، وهو رقم لم يحظَ به أحد طوال (54) عامًا منذ منح الجائزة المميَّزة؛ أمّا الأقرب فكان ميشيل بلاتيني الذي حصل على نسبة 46, 98٪ عام 1984م؛ إنّه نصر مظفَّر. هناك ثلاثة، وهذه أسباب نجاح ميسي التي ذكرها المحرِّر المسؤول في المجلة دينيس شومبير:

1 - نجاح ميسي في العروض التي قدَّمها؛ المراوغات والتسارع، والجهد الذي

يبذله لخلخلة الخصوم، ومهاراته، وروحه الخلّاقة، وتعاونه مع الفريق، إلى جانـب الأهـداف التي سجّلهـا، كلّ ذلك أسهم في ترك أثـر عميق في أثناء العـام. ما زال تأثيره في كرة القـدم غير كامل. ولكن، ما يذهلني هو المتعة التي يصنعها حضوره في الملعب، وهي متعة مشابهة لما كان يفعله مارادونا.

2 - تذكُّـر أنّ ميسـي نافس على الجائزة مرّات عـدّة على الرغم من صغر سنّه. ومـن الواضـح أنّ كرة القـدم الحديثة لن تمنـح أسمى التكريمـات لمجرّد طفرة، حتى لو كانت الحالة خاصة بشخص متميِّز مثل ميسي.

3 - تتويـج ميسي بلقب دوري الأبطال والدوري الإسباني مع برشلونة، فضلًا عن فوزه بلقبي كأس الملك وكأس السوبر الأوروبي، وقيادته المنتخب الأرجنتيني للتأهّل إلى نهائيات بطولة كأس العالَم. من الصعب تخيُّل سلسلة أكثر روعة من تلك الإنجازات.

الكلّ متفق على ما حقَّقه ميسي من ألقاب، وأداء راقٍ، ومهارة في مسيرته الاحترافيـة. لقـد انحنى جميـع الصحافييـن المشاركين في لجنـة التصويت العالميـة التابعة لمجلة فرانس فوتبول أمام البرغوث. وأخذ المديح ينهال عليه مـن بقاع العالم شتّـى؛ من اليابان إلى آيسلندا، ومن غانـا إلى نيوزيلندة، ومن كازاخستان إلى إنجلترا.

يصف الصحافي فـي جريدة ديلي تيليغراف هنري وينتر أسباب تصويته لميسي، في مقال كتبه في مجلة فرانس فوتبول، قائلًا:

«ميسي؟ إنّه العبقرية بأبهى صورها. لديه علاقة خاصة بالكرة. إنّه يصنع الأهداف ويسجِّلها، ويلعب من دون كلل لمصلحة الفريق. عند رؤيته يلعب، تكون شاهدًا على منظر بديع مسخَّر لخدمة كرة القدم».

إنّهـا الساعة السابعـة صباحًا من يوم الإثنين الموافـق للثلاثين من شهر

تشريـن الثاني عام 2009م، يطرق مندوب مجلة فرانس فوتبول باب (الشاليه) الذي يسكنه ميســي في كاستيلديفيلز، حاملًا معه الأنباء السارة. انتظر ميسي هــذا الخبر بفارغ الصبر والشوق، وبجانبه صديقته أنتونيلا، وشقيقه رودريغو، وابنــه، وابنته. وقــد ردَّ على حامل النبأ بابتسامته الخجولـة المعهودة، لكنّه لم يستطع إخفاء بريق عينيه.

جـاء الإعـلان عن الفـوز بالجائزة فـي نهايـة أسبـوع رائع؛ سـواء لليو، أو البارسا. فقد حقَّق البلاوغرانا يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر تشرين الثانــي، بفضل بيكيــه وبيدرو، «نصرًا مهمًّا فــي دوري الأبطال على الإنتر الذي يدرِّبه جوزيه مورينيو في مباراة معقّدة» بحسب صحيفة إل باييس.

كانــت مهمة رجال غوارديولا فــي الوصول إلى دور الستة عشر عويصة حتى تلـك اللحظة، لكنّها الآن أصبحت أقلّ صعوبة. لم يتمكّن ميسي من المشاركة في تلك المباراة بسبب إصابة عضلية ألمَّت به في المباراة الأخيرة من الدوري، التي واجه فيها البارسا أتليتيكو بلباو على ملعب سان ماميس، لكنّه شارك في التشكيلة الأساسيــة للفريق في مباراتــه التي خاضها أمام ريال مدريـد بقيادة كريستيانو رونالــدو، في التاسع والعشريــن من شهر تشرين الثاني. كانت هذه المواجهة هي الرابعة بيــن النجميْن. وقد أظهر البرتغالي الذي غــاب عن المنافسات خمسين يومًــا أداءً رائعًــا في الست والستين دقيقة التي لعبها. ومــع أنّه تولّى قيادة هجوم الريــال، لكنــه أهدر أخطر الفرص على فريقه. تمكَّــن فالديز من صَدِّ تسديداته لتصبــح تلك المباراة رابعــة المباريات التي يفشل فيها بهزّ شبــاك البارسا. أمّا ميســي فقــد كان غائبًا تمامًا في الشــوط الأول؛ إذ لم يستطع صنــع الأهداف أو تسجيلهــا، وكانــت إسهاماته غيــر فاعلة بتاتًــا. ومع أنّه كان يلعــب خلف خطوط المهاجمينَ، لكنه لم يَظهر بحرفيته المعهودة. ولكن، في الشوط الثاني، وبعد أن وضع إبراهيموفيتش البارسا في المقدّمة بتسديدة لا تُردّ من قدمه اليسرى، وبعد

حصول بوسكيتس على بطاقة حمراء؛ لمع نجم البرغوث من جديد. فأخذ يستلم التمريرات، ويصنع اللعب، واضِعًا الدفاع المدريدي في موقف حرج، وساعد على عـزل هجومهم، وقدّم كثيرًا من المهـارات الفائقة. لقد أسهم ميسي أيّما إسهام في وقت كان الفريق في حاجة ماسة إليه. فأوشك عند الدقيقة الثامنة والثمانين أن يضاعـف النتيجـة لتصبح (0-2)، بعدما مرّر إليه ألفيش الكرة من الميمنة تاركًا إيّاه في مواجهة مع كاسياس الذي أنقذ الموقف ببراعة.

ضاعـت فرحة ميسـي بعدما تعذّر عليـه تسجيل هدفـه الثامن في مرمى الحارس المدريـدي - آخر هدف سجّلـه كان بركلة جزاء في المبـاراة الودّية التـي جمعت إسبانيـا بالأرجنتين يـوم الرابع عشـر من شهر تشريـن الثاني- ولكـن، وكما صرَّح في المقابلة التـي أعقبت المباراة، فإنّ الأمر «لم يُقدَّر له أن يحدث، بسبب التصدي الرائع الذي قام به كاسياس. المهم أنّ البارسا فاز في المبـاراة». ثمّ أخـذ يجيب عن الأسئلة المتعلّقة بالكـرة الذهبية، قائلًا: «فكتور فالديـز هو مَن استحق الكرة الذهبية هذه الأمسية. لقد أنقذنا». قد يكون ذلك صحيحًـا، لكنّ ليو كسب أيضًا في المواجهة الثنائية التي جمعته بصاحب الكرة الذهبية لعام 2008م؛ كريستيانو رونالدو. وقد شكَّلت هذه المباراة فرصة مثالية لتسليم عرش إمبراطورية الكرة.

وعلى أيّ حال، فقد كان هناك أكثر من سبب للاحتفال في يوم الإثنين هذا بكاستيلديفيلز. ظهر ميسي، وهو يرتدي قميصًا ثقيلًا مُوشًّى باللونين: الأخضر والأبيض، ثمّ انضم إلى عائلته وضيوفه من مجلة فرانس فوتبول، الذين أخذوا يشربـون نخـب الفتى الذي واجه صعوبـة في النمو، ثمّ انضـم إلى عظماء كرة القـدم. وقد تسنّى له بعد ذلك تصفُّح المجلة التـي خُصِّص غلافها – إضافة

إلى (43) صفحة من صفحاتها- للحديث عن «ملك كرة القدم الشاب».

شهـد اليوم اللاحق مزيـدًا من الصفحـات الأولى المخصّصـة لميسي، فضلًا عن المقابلات الكثيرة، والمؤتمر الصحفي الضخم.

لقد حان الآن الوقـت المناسب لرَدّة الفعل والمصارحة والإهداءات. لذا، فقـد صرَّح ميسي في قاعة المؤتمرات بكامب نـو، قائلًا: «لا أخفي عليكم، كان لـديَّ شعور أنّني سأحصل عليها هذا العام. لكن، ما فاجأني هو فارق الأصوات الكبيـر. إنّ الفوز بالجائزة شرف عظيم، شيء رائع ولا يُضاهى، لكنّني لم أكن مهوَّسًـا بالفوز. كنت أعلم أنّها ستأتـي إذا كان مقدَّرًا لها ذلك. وكنت سأواصل العمـل بجـدّ كالمعتاد، في حال خسارتـي الجائزة». يسألـه أحدهم عن شعوره بوصفـه أول أرجنتينـي يفـوز بالجائزة، فيجيـب: «إنّه شرف عظيـم. فقد كان دييغو (مارادونا) - بطبيعة الحال - سيفوز بها أكثر من مرّة لو طُبِّقت القوانين الجديـدة في زمنه. لا تنسَ أيضًا أنّ دي ستيفانـو وسيفوري فازا بالجائزة، ولو كانـا من بلدان أُخرى». (يُذكَـر أنّ مَنْحَ أحد اللاعبينَ بأوروبـا الكرةَ الذهبية، كان محصـورًا فـي الجنسيات الأوروبية حتى عـام 1995م، حين أصبحت تُمنَح للاعبـي الأندية الأوروبيـة بصرف النظر عـن جنسياتهم. وقد فـاز بالجائزة ألفريـدو دي ستيفانو المولود ببوينوس آيرس عامي 1957م و 1959م، الذي كان يحمل الجنسية الإسبانية، في حين فاز بها عمر سيفوري عام 1961م، الذي كان يحمل الجنسية الإيطالية، مع أنّه من مواليد مدينة سان نيكولاس الأرجنتينية).

ولأن انتماء ليو إلى البارسا لا يقلّ عن انتمائه إلى الأرجنتين، فإنّه لا ينسى ذكـر أهميـة الجائزة للفريق الذي يَعُـدُّه بيته الثاني: «في واقـع الأمر، فأنا أول لاعـب من أكاديميـة البارسا يفوز بهذه الجائزة، ويعمـل على النهوض بمشروع البارسا، وأعتقد أنّها جائزة مهمة للنادي والعاملين فيه». بعد ذلك، أخذ ميسي

- كعادتـه - يقـدِّم الشكر لعائلته وزملائـه في الفريق، مُهدِيًـا الجائزة إليهم، حيـث قال مؤكِّدًا: «لم أكن لأفوز لولاهم». ثمّ أشـار إلى أنّه كان سيصوِّت لأحد زملائـه في الفريق لو كان مـن أعضاء اللجنة التي قامـت بالتصويت: «تشافي وانيستا يستحقان الجائزة أيضًا». ووجَّه شكرًا خاصًّا إلى بيب غوارديولا، بقوله: «لقد كان للمدرِّب دور فاعل في الحصول على الجائزة. أنا أعرفه مُذْ كان مدرِّبًا لفريـق البارسا (ب)، لكنّني لم أتواصل معه على نحـوٍ مباشر حينها. إنّه- في رأيـي- رجـل فَذّ ومُلِمّ بكرة القدم بصورة كبيـرة، ولديه قدرة على نقل معرفته إلى الآخرين بأفضل صورة ممكنة. إنّه مدرِّب إنسان يُلامِس في تعامله الجانبَ الإنسانـي لدى اللاعبينَ، لذلك فهو محبوب مـن الجميع. إنّ الألقاب التي فزنا بها كانت عاملًا رئيسًا في حصولي على هذه الجائزة».

وقـد رَدّ مدرِّب البارسا قائـلًا: «يستحق ليو الجائـزة؛ لأنّه ببساطة لاعب يتميَّـز بأدائه المختلف. إنّه يتحلّى بجميع الصفـات اللازمة للنجاح؛ فهو قوي، سريـع، يسجِّـل الأهداف، حتى بالرأس (لا يجرؤ أحـد على القول بخلاف ذلك بعد الهدف الذي سجّله في نهائي دوري الأبطال)، يفهم اللعبة، ويتصدَّر الأرقام القياسية جميعها. ما يُميِّز ليو هو تفكيره وروح التنافس لديه».

لـم يكن غوارديـولا الشخص الوحيد الذي كال لـه المديح؛ ففي الأول من شهر كانون الأول، بدأ العالَم أجمع الحديث عن «الفتى الذي أصبح أسطورة».

سيُتـوَّج ميسي بوصفه أفضل لاعب لكـرة القدم لعام 2009م، في السادس مـن شهـر كانـون الأول عـام 2009م، الساعـة الحادية عشـرة صباحًـا، لدى استضافتـه في برنامج تيليفوت الفرنسي الذي يُعنى بكرة القدم، حيث سيستلم الكـرة الذهبية من دينيس شوميير شخصيًّا. ولكن، مـا زال يتعيّن على ميسي خوض مباراة أمام ديبورتيفو لا كورونيا على ملعب رياثور في اليوم الذي يسبق

الحفلـة. احتفل ميسي بفوزه بالجائزة بتسجيل هدفين، وتقديم مستوى متميِّز، تخلّله هتاف الجماهير الغفيرة: «ميسي، ميسي، ميسي!».

دخـل ميسي غرف تغييـر الملابس عند منتصف الليل بعـد الفوز بنتيجة (1-3)، ثـمّ استحم بسرعة، ليلحق بطائرة خاصـة تحمله إلى مطار باريس لو بورغي.

حطَّت الطائرة فـي العاصمة الفرنسية عنـد الساعـة 3,15 صباحًا، ثمّ استقـل سيارة أخذته إلـى فندق جورج الخامسـ الواقع في المنطقـة الثامنة. الساعـة الآن الرابعة صباحًا، لكـنّ النوم يجافي ميسي، حيـث أمضي ما تبقّى من الليلة يستمع إلى الموسيقا (دون عمر، ودي جيه فليكس تحديدًا)، ويشاهد التلفـاز، ويتجـاذب أطراف الحديث مـع شقيقيه رودريغو وماتيـاس، وشقيقته ماري سول.

بدأت رحلة النصر الباريسية عند الساعة 9,30 صباحًا، حيث أخذ ميسي يطـوف في شوارع المدينة، مرتديًا بزّة رسمية وربطة عنق، وواضعًا على مُحَيّاه بعض مساحيق التجميل، ثمّ يتوقّف عند برج إيفل هُنيهة قبل دخول إستوديوهات التلفزيـون، حيث استُقبِل هناك بالتحية والحفاوة من زميله السابق في البارسا ليليان تورام.

جلس ميسي أمام آلات التصوير، وأخذ يتلقّى التحية والتصفيق، ثمّ تسلَّم الجائزة. أعقب ذلك جلسة تصوير مع العائلة والأصدقاء ورئيس نادي برشلونة خـوان لابورتا، وأشخاص يمثِّلون النادي، ومجلة فرانس فوتبول، وقنـاة تي إف 1 التلفزيونية الفرنسية.

جابـت به السيارة الرسمية شوارع باريس مـرّة أُخرى، ثمّ قفلت به عائدة فـي اتجاه المقرّ الرئيس لقناة تـي إف 1 في منطقة بولونيا بلانكور. لكن، وقبل

أن يتمكّن ليو من تناول طعام الغداء في قاعة لويس الثالث عشر بفندق جورج الخامس والعودة بعدها إلى الديار، تعيَّن عليه تقديم مؤتمر صحفي أخير. وفيه، اعترف ليو الذي بدا جالسًا على كرسي من دون ظهر أو مسنديْن، بأنّه كان على أحرّ من الجمر لاستلام الجائزة، ورفع الكرة الذهبية عاليًا؛ فالأيام الستة قد تبدو أطول في بعض الحالات. وفاجأ الحاضرين باعترافه: «أودّ الفوز بها مجدّدًا، سيكون رائعًا الفوز بالمزيد منها».

من الواضح أنّ ثقة الفتى بنفسه كبيرة، فلننتظر، ولنراقب إذن. في هذه الأثناء، يواجه البارسا بعض التحديات الأُخرى، أبرزها كيفية الوصول إلى دور الستة عشر من دوري الأبطال؛ إذ تنتظر رجال غوارديولا مباراة صعبة في كييف، حيث تنخفض درجات الحرارة إلى ما دون الصفر، وما زال شيفيشنكو وفريقه يؤمنون بحظوظهم في التأهّل. صحيح أنّ هناك نتيجتين تصبّان في مصلحة البلاوغرانا؛ فإمّا التعادل، وإمّا الخسارة بفارق هدف، كلّ ذلك يعتمد على نتيجة مباراة الإنتر مع ضيفه روبن كازان، التي تقام في الوقت نفسه على ملعب جوسيبي مياتزا بميلان. لكنّ الهدف الرئيس هو التأهّل على رأس المجموعة؛ لتجنّب مواجهة الفرق الإنجليزية القوية: تشيلسي، ومانشستر يونايتد، وآرسنال. لذا، يُعلِنها غوارديولا صراحة: «لا نريد الخوض في سحابات معقّدة»، مطالِبًا فريقه باحترام أسلوب الفريق، واللعب للفوز فقط. لن يكون الأمر سهلًا؛ فدينامو كييف سجّل هدف التقدّم بعد دقيقتين على ملعب لوبانوفسكي نتيجة خطأ في الدفاع الكاتالوني. تتعقّد الأمور بصورة كبيرة؛ فكلّ ما يفصل بطل موسم 2008م-2009م عن الخروج من البطولة، هو تلقّي هدف ثانٍ. لكنّ البارسا يتماسك، ويحرم اللاعبينَ الأوكران من الكرة، إنّهم يضغطون من دون توقّف، حتى يتمكّنوا أولًا من تعديل النتيجة بفضل هدفٍ لتشافي، وتحقيق النصر فيما بعد.

يؤمِّـن ليـو النصر بتسجيله هدفًـا رائعًا من ركلة حـرّة مباشرة. وكان قد تعرّض للكثير من اللعب الخشن الذي عمد إليه لاعبو دينامو، حتى إنّه تلقّى فرصة للتسجيل قبلًا، لكنّه لم يتمكّن من استغلال الهدية التي تلقّاها من شوفكوفسكي بعدمـا قام هذا الأخيـر بتشتيت الكرة على نحوٍ خطـأ، لينتهي المطاف بميسي فاقدًا أعصابه بعد الخشونة التي تعرّض لها في منطقة الجزاء. يحصل الفريق علـى ركلة حرّة مباشرة في الدقيقة السادسـة والثمانين، فيتقدّم البرغوث من الكـرة، ثـمّ ينفِّذها بأسلـوب راقٍ؛ تسديدة بالقدم اليسـرى تفجِّر المرمى. من المؤسـف أنّـه تعرَّض لعرقلة خلفية من ألميدا بعدهـا بأربع دقائق – تلك كانت المرّة التاسعة التي يتعرّض فيها للعِثار والاعتداء - ليسقط على الأرض مصابًا.

علَّق بيب غوارديولا - بعد انتهاء المباراة - على هذا الأمر، قائلًا: «لو كان لاعبًـا آخر لتراخى بعد الفـوز بالكرة الذهبية، لكنّ ليو يملـك روحًا تنافسية لا تُضاهى، إنّه يريد دائمًا تسجيل المزيد من الأهداف، وكثيرًا ما يُردِّد: «أريد أن أفعلها»، ثمّ يحاوِل مجدَّدًا كلّ مرّة».

أشار التقرير الطبي إلى إصابة ميسي بتمزّق من الدرجة الأولى في الكاحل الأيمـن؛ ما يعني عـدم قدرته على اللعب في مبـاراة الديربي أمـام إسبانيول، فضـلًا عن احتمال غيابه عن مباراة نصـف نهائي كأس العالَم للأندية المزمع إقامتها في أبو ظبي. وعلى الرغم من غياب ميسي عن مباراة الفريق في ملعب كامـب نو يوم الثانـي عشر من شهر كانـون الأول، إلّا أنّه تمكَّـن من استعراض الكـرة الذهبيـة أمام نحـو (554, 84) متفرِّجًا كانوا حاضريـن هناك، وأعقب ذلك استلامه الجائزة من والدته سيليا.

يـا لها من لحظـة حُبلى بالعواطـف الجيّاشة التي خالطهـا تصفيق حادّ! إنّهـا اللحظة التي تسبق السفر إلى أبو ظبي، حيـث سيواجه البارسا في نصف

النهائـي يوم الأربعاء الموافق للسادس عشر من شهر كانون الأول نادي أتلانتي المكسيكي الفائز على نادي أوكلاند النيوزلندي (0–3) في دور ربع النهائي.

تُظهِر الصور واللقطات التلفزيونية القادمة من الإمارات العربية المتحدة ميسي وهو على شاطئ البحر، مرتديًا سروال سباحة أزرق اللون، ورابطًا كاحله بضمادة؛ إنّه يتمرّن من أجل العودة في الوقت المناسب.

انغمس ميسي وبقية لاعبي البارسا في المنافسة، وركّزوا أيّما تركيز على التدريبات الصارمة؛ استعدادًا للمواجهة القادمة أمام أتلانتي الذي يُعرَف فريقه بالفرقة الحديدية. تصبّ الترشيحات في مصلحة الفريق الكاتالوني الذي سيواجه منافسه بطل منطقة الكونكاكاف، لكنّ مشجعي البارسا لم ينسوا بعدُ النهائييْنِ اللذيْنِ خسرهما الفريق عامي 1992م، و 2006م. يتعيّن على الفريق التهيؤ نفسيًّا منذ البداية. تلك كانت الخطّة، لكنّ الأمور لا تسير على ما يرام؛ إذ تأخّر البارسا في المباراة المقامة على ملعب مدينة زايد الرياضية بهدف بعد خمس دقائق فقط. ومع أنّ سيرخيو بوسكيتس عدَّل النتيجة في الدقيقة الخامسة والثلاثين، لكن البارسا لم يتمكّن من احتواء منافسه المكسيكي الذي دافَع جيدًا، واستغل الفرص القليلة التي سنحت له؛ فأخذ بالترنّح (البارسا)، وبدا أنّ المباراة على وشك أن تفلت من يده. لا يوجد خيار آخر سوى استدعاء ميسي. من المفترض ألّا يلعب هذا الأرجنتيني الجالس على مقاعد البدلاء إلّا عند الضرورة القصوى. لكنّ البارسا في موقف حرج؛ ما دفع غوارديولا إلى الزجّ به في الدقيقة الثالثة والخمسين.

صرَّح مدرِّب الفريق المكسيكي خوزيه كروز لاحقًا بالآتي: «عرفت أنّ ميسي سيشترك لحظة سماعي صرخات الجمهور. وعرفت أيضًا أنّ مشاركته ستقلب موازين المباراة. لكنّني لم أتوقّع أن ينجح في ذلك بتلك السرعة».

كلّ ما احتاج إليه ليو لقلب المباراة وتغيير النتيجة، كان دقيقة واحدة لا أكثر. فقد نجح الأرجنتيني في الهروب من الرقابة بالجري القطري، وحين لمحه إبراهيموفيتش التفّ حول نفسه، مُهدِيًا إليه تمريرة دقيقة في العمق. ثمّ تولّى البرغوث بقية الأمر؛ إذ سيطر على الكرة بإحكام، ثمّ راوغ حارس أتلانتي، واضِعًا الكرة في المرمى. فأصبحت النتيجة (1-2) من أول لمسة له، مُنهِيًا المقاومة المكسيكية، وباعِثًا الروح في فريقه. بعد ذلك، سجّل بيدرو الهدف الثالث ليصبح أول لاعب في التاريخ يسجِّل لناديه في ست منافسات مختلفة ضمن موسم واحد. والآن، يمكن للاعبي البارسا تسلية الجمهور باللمسات الفنية والتسديدات الراقية. تأتي الفرص واحدة تلو الأُخرى؛ ما أتاح لميسي رفاهية إضاعة انفراده بالحارس الأرجنتيني فيلار الذي يعرفه (ميسي) جيدًا من منتخب الألبيسيليستي. أثبت ميسي مرّة أُخرى أنّه المنقذ بلا منازِع. وقد شرح خوزيه كروز هذا الأمر على النحو الآتي: «برشلونة هو أفضل فريق في العالَم من دون ميسي، فإذا لعب هذا الأخير، أصبح الفريق كأنّه قادم من مجرّة مختلفة». كلام يلخِّص الوضع برمّته.

لم يتبقَّ سوى النهائي المزمع إقامته في التاسع عشر من شهر كانون الأول؛ لم يتبقَّ أمام البارسا سوى نادي إستوديانتس دي لا بلاتا الأرجنتيني الذي أقصى بدوره نادي بوهانغ ستيلرز الكوري بعد الفوز عليه في نصف النهائي بنتيجة (1-2). إنّه فريق الساحرة الصغيرة الذي يلعب له خوان سيباستيان فيرون، الذي كان مرشد ليو خلال بطولة كوبا أمريكا عام 2007م؛ إنّه الرحّالة الذي أضحى العنصر الرئيس في الفريق، والذي يحلم بتكرار إنجاز والده خوان رامون فيرون الملقَّب بالساحر، الذي قاد هجوم فريق إستوديانتس الملقّب بطاعني الجرذان (اسم يُطلَق على الجزمة ذات المقدّمة المستدقة)، عام 1968م للفوز بكأس القارات، بعد هزيمة مانشستر يونايتد على ملعب أولد ترافورد.

إنّـه – ولا شكّ– حلم يوشـك أن يتحقّق على أرض الملعب، وسيستمر حتى الدقيقـة التاسعة والثمانيـن؛ أي المباراة بأكملها تقريبًـا. المعجزة على وشك أن تتحقَّـق. تقـدّم الفريـق الأرجنتيني بهدف عنـد نهاية الشـوط الأول تقريبًا (الدقيقـة السابعة والثلاثون تحديدًا)، من رأسيـة لبوزيلي الذي استغل الثغرة الموجـودة بين بويول وأبيدال، واضعًا عرضية ديـاز في المرمى. فريق البارسا في موقف لا يُحسَد عليه؛ إنّهم متأخِّرون بهدف، لم يسجّلوا أيّ هدف حتى الآن، ميسـي تلقّى بطاقة صفراء، والأدهـى أنّ الفريق تائه، وعاجِز عن إيجاد ثغرات في منطقة الوسط، أو إتمام تمريرات حاسمة.

لقـد نجح ثلاثي الارتكاز في الفريـق الأرجنتيني في سَدّ المنافذ جميعها؛ فميسـي لا يظهر، وهنري حاضر غائب، أمّـا إبراهيموفيتش فيقاتل. ولكن، من دون جدوى.

فـي المقابل، نجد فريـق إستوديانتس يتعامل مع الوضـع بأفضل ما لديه؛ قَتْل المبـاراة، والتصدي للكرات، ووأد محاولات لاعبـي البارسا باستخدام أيٍّ مـن الوسائل المتاحـة (ارتكاب الأخطـاء، التشتيت، ترك الكـرة تخرج خارج الملعـب، إجـراء التبديلات، بعض الـركلات)؛ كلّ ذلك لإضاعـة الوقت، وبلوغ الدقيقة التسعين للفوز بالكأس التي طالما حلموا بالفوز بها للمرّة الثانية.

يأبـى البارسا الاستسلام، مُظهِرًا كلّ ما لديه مـن قوة الشكيمة، ومحاوِلًا اختراق خطوط الدفاع مرّة تلو الأُخرى، إلى أن يتمكّن تشافي من رفع الكرة إلى داخـل منطقة الجزاء في الدقيقـة الأخيرة، فيتلقّاها بيكيـه، مرسِلًا إيّاها إلى بيدرو الذي يضعها في المرمى برأسه. لقد تمكّنوا أخيرًا من تعديل النتيجة. ثمّ يبـدأ الشوطان الإضافيان، والبارسـا في حكم المنتصر؛ إنّه أمر يعرفه الفريق الأرجنتينـي جيـدًا. فالنظرة التـي تعلو وجوههـم توحي بذلـك، وإن طاقاتهم

(الفريق الأرجنتيني) قد استُنفِدت، وها هم أولاء يعجزون عن الوقوف في وجه ميسي الصغير الذي بدا كأنّه يلعب بملعب الحي، ثمّ سجّل هدفًا بصدره، بقلبه، بالشعار الذي على قميصه. فقد توقَّع حركة صديقه خوان سيباستيان، ثمّ حوَّل عرضية ألفيش عند الدقيقة المئة بطريقة لم يتوقّعها أحد.

ولكن، لماذا سدَّد بصدره لا برأسه؟ شرح ليو هذا الأمر في مقابلة مع صحيفة إل بابيس في اليوم اللاحق: «أردت ضمان تسجيل الهدف. لاحظت أنّ الحارس لم يكن مستعدًّا. ارتأيت أنّه سيكون كافيًا وضعها بلطف، إلى جانب المساحة التي كان يحرسها. من حسن حظي أنّني نجحت».

يتكلم ببساطته المعتادة، وكالعادة أيضًا ينظر البرغوث إلى السماء، مُهدِيًا الهدف إلى جدّته سيليا، وشاكرًا الله على نعمه. تنطلق الاحتفالات بعد ذلك في معسكر البلاوغرانا، وتنهمر الدموع من عيني بيب غوارديولا الذي تغمره المشاعر للمرّة الأولى. ليو أول مَنْ يعانقه ويشكره، لكنّه لا ينسى خصومه. يذهب لمصافحة لاعبي إستوديانتس فردًا فردًا «لأنّهم لعبوا على نحوٍ رائع، ولأنّهم أرجنتينيون، ولأنّهم كانوا يشعرون بحزن عميق».

الثالثة ثابتة؛ فبعد الفشل في الفوز عامي 1992م، و 2006م، يفوز البارسا باللقب للمرّة الأولى في تاريخ النادي الممتد إلى مئة وعشرة أعوام. يُتوَّج الفريق ملكًا على العالَم. لم يسبق لأيّ فريق الفوز بستة ألقاب في موسم واحد. يعترف ميسي بذلك في حديث لصحيفة إل بيريوديكو، قائلًا: «لا أعتقد أنّنا استوعبنا إنجازنا بالكامل. سيكون صعبًا على أيّ فريق تحقيق ذلك، سنقدِّر الأمر تدريجيًّا مع مرور الوقت».

تـدرّج البارسـا ليصل إلـى قمّة العالَم، ووصـل ليو القمّة مـرّة أُخرى يوم الإثنين الموافق للحادي والعشرين من شهر كانون الثاني في مدينة زيوريخ التي تكسوها الثلوج.

بعد التاسعة مساءً بقليل، صعد رئيس الاتحاد الأوروبي لكرة القدم ميشيل بلاتينـي إلى المنصـة، برفقة رئيس الاتحاد الدولي لكـرة القدم جوزيف سيب بلاتـر. ألقى نظرة أخيرة علـى المرشّحين للفوز بالجائزة قبل أن يفتح المغلّف الذهبـي، ثمّ عرض مقطـع فيديو يُظهِر وجـوه كريستيانو رونالـدو، وأندرياس انيستا، وكاكا، وميسي، وتشافي.

يقول بلاتيني: إنّه فخور بأنّ المرشّحين كافة يلعبون في أندية أوروبية. ثمّ تأتـي أكثر اللحظات أهمية حيـن يُعلَن عن اسم الفائز: «أفضل لاعب في العالَم لعام 2009م هو ليونيل ميسي».

الثالثـة ثابتـة مرّة أُخـرى؛ فبعد حلولـه ثانيًا في عامـي 2007م، و 2008م، أصبـح ليو الرقـم واحد. ينهض لاعب البارسا صاحـب الرقم (10) من مقعده، وهو يُغلِق أزرار سترته من نوع إيرمينيغيلدو زينغا، مُعدِّلًا ربطة عنقه الزرقاء، ثمّ يصعد إلى المسرح. يسلّمه ميشيل بلاتيني الجائزة، ثمّ يدعوه إلى إلقاء كلمة.

«عمتـم مسـاءً. أودّ بدايةً شكر جميـع اللاعبينَ الذين أجـروا التصويت. إنّـه لشـرف عظيم لـي أن مُنِحْتُ هذه الجائـزة التي فاز بها لاعبـون من أندية ومنتخبـات أُخـرى، ذلك أمر رائع جـدًّا. أودّ التقـدّم بالشكر إلـى زملائي في الفريـق (تُسلَّط الكاميرا في هذه اللحظة علـى انيستا)، ومشاركتهم الجائزة. هـذه نهاية مذهلة لعـام رائع قضاه نـادي برشلونة، وزملائي فـي الفريق، وأنا شخصيًّا. شكرًا جزيلًا لكم.

يتحدث ليو بصوت مرتجف، وابتسامة لم يسبق لها مثيل. لقد فاز، وبفارق كبير هذه المرّة أيضًا. فقد حصل على (1,073) نقطة؛ أي أكثر بثلاثة أضعاف

مـا حصـل عليه الثانـي كريستيانو رونالدو الـذي جمع (352) نقطـة، وتشافي الثالث (196)، وكاكا الرابع (190)، وانيستا الخامس (134). لقد منحه مدرّبو (147) دولة وقادتهم نصرًا ساحقًا.

يقول خورخـي ميسي المحاط بسيليا، وماتياسـ، ورودريغو، وماري سول: «إنّهـا لحظة لا تُقـدَّر بثمن. من المفهوم أن يفوز المـرء بجائزة، أو يحوز فريق مـا لقبًا، ولكـن، أن يفوز هؤلاء بكلّ شيء دفعة واحدة، إنّه المستحيل بعينه». ثمّ يضيف قائلًا: «إنّها نهاية مثالية لعام مثالي، من الصعب أن يحصل المرء على قدر أكبر من السعادة».

«كوكـب الأرض يستسلم عند قدمي ميسي»، عبـارة تصدّرت أحد عناوين الصحـف في اليوم اللاحق. ولكن، بقي على ليـو كسب قلوب أبناء شعب بعينه؛ أبناء وطنه الأرجنتين؛ لأنّهم «منزعجون من ألّا يكون «غارديل» في أثناء لعبه مع المنتخب الوطني». وإنّهم منزعجون؛ لأنّ نجمه لم يسطع مع الألبيسيليستي على الرغم من تأهّلهم الصعب إلى بطولة كأس العالَم في جنوب إفريقيا. «لأنّه يبدع مـع برشلونـة، ولكن ليس مع المنتخب». ذلك صحيـح؛ فهو متهم في الأرجنتين بعـدم حبّ أمّتـه كما ورد في مقال لديفيد غيستاو مـن صحيفة إل موندو: «كأنّ الأداء الضعيـف مع المنتخب سببه ضعف الطموح، وليس الترويج للاعب يملك فرصة أكبر لربح اليانصيب من تلقّي تمريرة جيدة. لقد فرض مارادونا نموذجًا يوائـم ميسي، لكنّه لا يناسب ميسي، اللاعب القـادم من عالَم آخر. أضف إلى ذلك أنّ مارادونا غادر الأرجنتين على جناح السرعة، كأنّه يحاول إحاطة نفسه بهالـة زائفة». يتعيّن عليهم إدراك أنّ سبـب المشكلة ليس ميسي، وإنّما الفريق المحيـط به. تعامِلـه الصحافة معاملة الغريـب، ويهاجِمـه محرّروها بعبارات لاذعـة، مثل: «ميسي ليس أرجنتينيًّا؛» لأنّه أعطـى كلّ ما لديه للبارسا، لأوروبا، ولـم يكتفِ بذلك، بل دمَّر حلـم إستوديانتس، الذي يُعَدّ حلم الشعب الأرجنتيني

فــي الوقت نفســه. صحيح أنّ ميسي لديه مشكلة مــع الأرجنتينيين، أو بالأصح، الأرجنتينيــون لديهــم مشكلة مع ميســي. يعي ليو هذا الأمــر، وتزعجه الأقاويل التــي تدعي أنّه لا يأبه بالمنتخــب الوطني. ولا شيء يزعجه أكثر من قولهم: إنّه ليس أرجنتينيًّا. يشرح هذا الأمر، قائلًا: «كيف لهم أن يعرفوا حقيقة شعوري؟». ولكن، يمكن حلّ الإشكال هذا العام في بطولة كأس العالَم. كلّ ما يحتاج إليه ليو هو القيام بما يتقنه بصورة أكبر.

الفصل السابع والثلاثون

دموع تنهمر

الثالث من تموز عام 2010م

إنّها الدقيقة التاسعة والثمانون. يشنّ الألمان هجومًا جديدًا. يُتوَّج المجهود الذي يبذله ميروزلاف كلوزه بهدف أخير لتصبح النتيجة (0–4). يستمر ميسي فـي الركض مـن منتصف ملعب الخصم. يصل خـط منتصف الملعب، يتوقف لحظـة واضعًا يديه على خاصرته، ينحني متكئًـا على ركبتيه. يوشك أن يُجهِش بالبكاء. لقد فقد الأرجنتيني ذو الرقم (10) بريقه، يُطأطِئ رأسه غير مصدق لما جرى. يمرّ كلوزه بجانبه مُهلِّلًا.

يغـادر ميسي خافِضًا رأسه في اتجاه غـرف تغيير الملابس لحظة إطلاق الحكـم رافشان أرماتوف صافرة نهاية المباراة. يحاول كلٌ من «الساحر» خوان سيباستيان فيرون ومـدرِّب اللياقة في المنتخب فيرناندو سيغنوريني مواساته. ثمّ يعانقه دييغو أرماندو مارادونا ويقبِّله، لكنّه (ميسي) لا يجد العزاء في ذلك كلّـه. يؤكِّد الأزغب (مارادونا) لاحقًا مـا تعنيه دموع ميسي التي انهمرت خلال تحدثه في المؤتمر الصحفي؛ إذ استشاط غضبًا، قائلًا: «أيّ شخص يدعي أنّه ليس فخورًا باللعب مع منتخب بلاده فهو مجرد غبي».

يشـرح سيغنوريني الوضع قائلًا: «من الصعب رؤية ميسي على تلك الحال فـي غرف تغيير الملابس. قد يعتقد بعضهم أنّه لا يحقّ له الشعور بذلك بسبب النجاحـات التي يحقّقهـا في حياته. ولكن، لهـذا السبب تحديـدًا أجلب فتيانًا مثلـه؛ فهم يكسبون الملايين من الـدولارات، لكنّهم يجهشون بالبكاء في غرف تغيير الملابس، يُثبِت ذلك أهمية الأمر بالنسبة إليهم».

تنتهـي بطولة كأس العالَـم بالنسبة إلـى ميسـي بتلك الطريقـة المليئة بالدمـوع، والإحبـاط، والألم، والشعور بقلّـة الحيلة. غادر جنـوب إفريقيا وهو يشعر بالفراغ والتيه وتأنيب الضمير؛ إذ لم يتمكّن من تسجيل ولو هدفًا واحدًا. لقد خيّب آمال المشجعيـن الأرجنتينيين، حلم كان -لو تحقّق- ليوازي الإنجاز الـذي حقّقـه مارادونا في بطولة كأس العالَم عـام 1986م في المكسيك. وفشل فـي تأسيس ركائز لسمعة ناجحة برفقـة الألبيسيليستي. لقد غادر بطولة كأس العالَـم «خاصتـه» بعدما تعّذر عليـه الظهور بمستواه الحقيقـي؛ المستوى الذي مكّنـه من الفوز بالكـرة الذهبية، وأن يصبح النجم الأوحـد للبارسا، لكنّه الآن مجـرّد نجم خافت، شأنه شأن واين روني، وكريستيانو رونالدو، وكاكا، وفرانك ريبيري. إنّها نهاية مؤلمة لقصة بدأت على نحو مغاير...

سبعـة وأربعون هدفًا شكّلت سبعًا وأربعيـن جوهرة على التاج الذي ارتداه ميسـي في موسـم 2009م-2010م، فاز خلاله بجائزة الحـذاء الذهبي بوصفه هـدّاف البطـولات الأوروبية؛ إنجـاز لم يتمكّن أحـد من تحقيقه مـن قبلُ، ولو مـن بعيد. وتمكّن مـن التغلّب على المهاجميـنَ في كلّ من: الـدوري الإسباني، والإنجليـزي، والألماني، والإيطالي بفارق كبيـر؛ فغونزالو هيغواين يملك (27) هدفًـا فـي جعبته. أمّا دروغبـا فسجّـل (29) هدفًا، وآرين روبـن (23) هدفًا، وأنتونيو دي ناتالي (29) هدفًا.

لعب ميسي في الـدوري الإسباني أفضل من أيّ لاعـب آخر، وحقّق أفضل النتائـج منذ انضمامه إلـى الفريق الأول قبل ست سنـوات. إنّه هدّاف البطولة الذي تمكّن من تسجيل هدفين في مباراة واحدة تسع مرّات، فضلًا عن تسجيل ثلاثـة أهـداف (هاتريك) أربع مـرّات. لقد تمكّن من تسجيـل (34) هدفًا في الـدوري معادلًا الرقم الذي حقّقه البرازيلي رونالدو في موسم 1996م-1997م. وتمكّن من تحطيم أحد الأرقام في سجّلات تاريخ البارسا؛ فأصبح أصغر لاعب فـي تاريخ النادي يتجاوز عتبة (100) هـدف، متفوّقًا على كثير من المهاجمينَ الكبار، أمثال: ريفالدو، وروماريو، وإيتو.

كانـت (34) هدفًا حسمت لقـب الدوري الذي حـازه البارسا في المباراة الأخيـرة بفـوز كبير على بلـد الوليد بنتيجـة (0-4)، كان نصيـب ميسي منها هدفيْـنِ. لقد حسموا اللقـب بعد صراع مرير مع الغريـم التقليدي ريال مدريد الـذي يقوده كريستيانو رونالدو؛ إذ جمع البارســا (99) نقطة من أصل (114) ممكنــة، ما يُعَدّ رقمًا قياسيًّا جديدًا في الـدوري الإسباني. لقد حاربوا بضراوة وبسالـة في البطولـة، مسجّلينَ (98) هدفًا، في حيـن استقبلت شباكهم (24) هدفًـا فقط. ونجحوا في التغلّـب على ريال فلورينتينو بيريث ذهابًـا وإيابًا. أمّا ليـو فنجح في تخطـي كريستيانو رونالـدو الفائز بالكرة الذهبيـة عام 2008م، واللاعـب الأغلى في التاريـخ، والنجم الأول لفريق فلورينتينـو. لقد نجح الفتى القـادم من روزاريو في الوصول إلى القمّة بعد الفـوز بأربعة ألقاب في الدوري الإسباني خلال ست سنوات. لكنّ الأهم أنّه وصل مرحلة النضج، وأظهر شعورًا بالاتزان بوصفه لاعبًا أو إنسانًا.

يشـرح الذراع الأيمن لبيب غوارديولا، تيتو فيلانوفا هذا الأمر، قائلًا: «لم يعد يحاول تسجيل هدف القرن كلّما استلم الكرة. لقد نضج وأصبح يعي أهمية

اللعب للفريق، وأخذ يؤثّر بصورة أكبر في الفرق المنافسة، وصار إيقافه الآن أكثر صعوبة».

لقد كان موسمًا مميزًا بالنسبة إلى ليو إذا استثنينا النكستيْنِ اللتيْنِ تعرّض لهما. كانت الأولى في الثالث عشر من شهر كانون الثاني عام 2010م، على ملعب رامون سانشيز بيثخوان، في مواجهة إشبيلية. لعب البارسا بأداء عالٍ، وقدَّم أفضل ما لديه، وصنع الفرصة تلو الأُخرى، لكنّ بالوب (حارس مرمى إشبيليه) نجح في التصدي لها جميعًا باستثناء واحدة.

وكان إشبيلية قد نجح في الإطاحة بالبارسا من بطولة كأس الملك بفضل الفوز الذي حقّقه ذهابًا بنتيجة (1-2). إنّها المرة الأولى التي يخرج فيها البارسا من بطولة في عهد بيب غوارديولا. يشعر ميسي بالانفعال، ولا تنفع كلمات المواساة التي تأتيه من زميله الأرجنتيني غابرييل ميليتو.

أوضح غوارديولا ذلك، بقوله: «لو كان شخصًا آخر لقال: «لا مشكلة»؛ ففي جعبتي كأس العالَم للأندية، ولقب الدوري المحلي»، لكنّه لا يفكّر بتلك الطريقة. لقد كان الأكثر حزنًا من بين الجميع».

حلّت النكسة الثانية في الثامن والعشرين من شهر نيسان عام 2010م، على ملعب كامب نو. فقد نجح إنتر مورينيو في إقصاء البارسا من دوري الأبطال بفضل مباراة دفاعية بامتياز، أدّاها بأسلوب رائع في ميدانه بميلان؛ ليخرج حامل اللقب الأوروبي من نصف النهائي، ويفشل في تحقيق مبتغاه بالوصول إلى المباراة النهائية المنوي إقامتها على ملعب البرنابيو. لم ينجح الفريق في العودة كما كان يأمل جماهيره؛ إذ ودَّع البطولة بهدف الشرف الذي أحرزه بيكيه في الدقيقة الرابعة والثمانين، هدف لا يكفي لتعويض نتيجة مباراة الذهاب

التي انتهت لمصلحة الإنتر (1-3) على ملعب سان سيرو. كانت النتيجة (0-1) في مباراة الإياب لا تكفي الفريق لحجز تذكرة الوصول إلى نهائي مدريد.

تتحطّم جهود البارسا أمام دفاع الإنتر المكوّن من (11) لاعبًا، وحتى المكوّن من (10) لاعبينَ بعد طرد تياغو موتا. لم يتمكّن ميسي الذي سجّل أربعة أهداف في مرمى آرسنال فينغر من تسجيل أيّ هدف في فريق قائده مورينيو، والحديث هنا عن تشيلسي والإنتر. لم يكن أداؤه مميّزًا، لكنّ ذلك لم يمنع غوارديولا من الدفاع عنه، بقوله: «لا يوجد سبب لانتقاده. لقد لعبوا بستة مدافعين، اثنان منهم كانوا يراقبونه مراقبة لصيقة؛ سواء أكان في منطقة الوسط أم على الجناح». وقال مُدافِعًا عن الفريق: «لا يوجد سبب يدعوهم إلى تقديم الاعتذار بعد هذه المباراة. أنا فخور بهم جميعًا». ثمّ يُرسِل رسالة واضحة إلى المشجعين مفادها أنّه آسف لفشله في الوصول بالفريق إلى نهائي مدريد، ويعد بالمحاولة في السنة القادمة. لكن، وفي غضون ذلك يؤكّد «أنّه سيجمع شتات الفريق، ويواصلون المسيرة معًا».

وقد نجح في ذلك فعلًا؛ ففي السادس عشر من شهر أيار، أنشدت المدينة بأكملها: «نحن الأبطال، البارسا هم الأبطال». وحمل ليو الميكروفون في أثناء الاحتفالات باللقب، صارخًا: «هيّا يا أرجنتين، هيّا أيّها المجانين»، وسط عاصفة من التصفيق والأهازيج التي صدحت بها حناجر جماهير البلاوغرانا. إنّهم يريدون منه أن يلعب على نحوٍ جيد مع منتخب بلاده؛ أمنية يتمّناها أيضًا الشعب الأرجنتيني بأكمله.

يصل ميسي إلى مطار إيزيزا ببوينوس آيرس، حيث سينضم إلى معسكر المنتخب التدريبي، ثمّ يصرّح قائلًا: «لقد حلمنا جميعًا برفع كأس العالَم. لا يتعلّق الأمر بمنحه اللاعبَ مزيدًا من الأهمية، وإنّما - ببساطة- بجعله يمرّ

بأفضل اللحظات إثارة في حياته. لقد غادرت بطولة كأس العالَم لعام 2006م، وعيوني تفيض بالدمع بعد هزيمة الفريق أمام منتخب ألمانيا. آمل أن أُغادر جنوب إفريقيا بالدموع أيضًا. ولكن، بدموع الفرح هذه المرّة». ثمّ يضيف: «اللعب برفقة المنتخب الوطني هو أمر مختلف تمامًا عنه مع برشلونة؛ نظرًا إلى ضيق الوقت الذي نقضيه هنا في التدرّب والممارسة. لا أقصد بذلك أنّ المنتخب الوطني هو الأسوأ، بل هو الأفضل في العالَم، لكنّنا لا نملك الكثير من الوقت للعمل. فكلّ شيء يحدث بسرعة؛ إذ نتجمّع مدّة يومين، ثمّ نخوض مباراة. يختلف الوضع عندما نكون في مجموعة مدّة طويلة. سنحافظ على هدوئنا ورباطة جأشنا عندما نتوجّه إلى خوض البطولة. نعلم أنّنا لسنا المرشّحين لإحراز اللقب، لكنّ ذلك أفضل بالنسبة إلينا؛ لأنّنا نستطيع وقتئذٍ إحداث المفاجآت.

يستحوذ البرغوث هذه المرّة على اهتمام وسائل الإعلام والجماهير من مختلف أنحاء العالم. حتى إنّ الزعيم الكوبي (السابق) فيديل كاسترو الذي لم يَظهر علانية منذ أربع سنوات من جرّاء المرض، أشاد بالعبقرية التي يتمتع بها ميسي. فقد وصف المهاجم الأرجنتيني في مقالة تنتقد فضائح الإمبريالية التي تنتهجها الولايات المتحدة، بعنوان «على حافة المأساة»: «إنّه سريع كالبرق، يسدِّد الكرة بسرعة خارقة؛ سواء بقدمه، أو برأسه».

واصل ميسي تسجيل النقاط فيما يخصّ المقارنة بمارادونا في الأرجنتين، على الرغم من حقيقة أنّ قلوب كثير من مواطنيه ما زالت مُعلَّقة بدييغو. وفي حال استطاع ميسي الظهور بصورة رائعة مع منتخب الأرجنتين، والعودة بكأس العالَم الذي يحلم به المشجعون منذ عام 1986م، فربّما - عندئذٍ- سيتخلّص من عباءة الأزغب إلى الأبد. مارادونا- ميسي، ميسي- مارادونا... يبدو

أنّ العلاقـة بيـن الاثنين قد أصبحت متزنـة بعدما خالطها كثيـر من التقلّبات والانتقادات والتصريحات المتضاربة، وكلّ الإشارات إلى عقدة أوديب.

لعـب ميسي إحـدى عشرة مباراة مـع المنتخب منذ تولـي مارادونا مهمة تدريبـه، لم يتمكّن فـي أثنائها من تسجيـل سوى ثلاثة أهداف. ثـمّ تأتي أسوأ لحظاتـه مـع الفريق في الرابـع عشر من شهر تشريـن الأول عام 2009م، حين يُتَّهـم بعدم الاحتفال بالهدف الذي سجّله ماريـو بولاتي في مرمى الأوروغواي، وهـو هدف كفل للأرجنتيـن مكانًا في مونديـال جنوب إفريقيـا. ترتئي والدته سيليـا التدخّـل للدفاع عن ابنها، فتقول: «إنّ تحـدّث الناس عنه بسوء يُسبِّب له الألـم والحزن. لمـاذا يسعون للنيل منه دائمًـا؟ إنّ هذا الأمر يؤثِّـر فيه كثيرًا، لدرجة أنّه يصعب عليه التعايش معه أو تقبُّله بصورة أو بأُخرى».

لا يُحسِن ليو التعامل جيدًا مع الأزمات؛ إنّه أمر يعرفه زملاؤه في برشلونة جيـدًا. ومـع ذلك، فهو لا يحصل على أيّ دعم من مارادونا. لقد طفح الكيل؛ ما دفعه إلى الاتصال بالمـدرِّب، وإخباره بعدم رغبته في اللعب مع الألبيسيليستي بعد الآن.

اتجـه مارادونا على جنـاح السرعة إلى برشلونة فـي محاولة منه لاحتواء الأزمـة. وهنـاك، أخذ الاثنان يتحدثـان إلى بعضهما بمنتهـى الصراحة للمرّة الأولى. حاول المدرِّب أن يُهدِّئ من روعه، وأخبره أنّ الأمور ستكون على ما يرام مـن الآن فصاعدًا. لقد مثَّل ذلك اللقـاء لحظة مفصلية في تحوُّل العلاقة التي تجمع الاثنين معًا.

نصَّـب دييغو نفسه مُحامِيًا لليو، ومُدافِعًا عنه، وأفرط في تدليله. فقد أكَّد قبل آخر المباريات الاستعدادية لبطولة كأس العالَم التي سيواجه فيها المنتخب الأرجنتيني نظيره الكندي، قائلًا: «لا أعرف رأي الناس في ليو. ولكن بمقدوري

قول وجهة نظري أنا. أعتقد أنّه الأفضل في العالَم، وأنّه أرجنتيني. لقد أخبرت اللاعبينَ فيما مضى بأنّه إذا حصل ليو على الكرة فسنوجِد الكثير من الفرص. أُحـاول أن أزرع في عقولهم روح الفريـق، مُذكِّرًا إيّاهم بضرورة تهيئة الظروف لميسـي؛ كي يقـدِّم أداءً مماثِلًا لما يقدِّمـه مع البارسا. يعـي ميسي أنّ زملاءه يريـدون منه أن يكون جوهرة التاج، وأن يكون القائد. فآخر ما يتطلّعون إليه هو أن يلعب وحده في أثناء التدريبات أو المباريات. لا يمكنهم إمرار الكرة إليَّ بعد الآن، فقـد اعتزلـت اللعب... لذا، إن لم يمرِّروها إلـى ميسي فستذهب جهودنا أدراج الرياح».

عمـل الأزغب علـى حمايتـه والاعتناء به، ومنحـه الثقة، لكنّـه كان – في الوقت نفسه– حَذِرًا بسبب التجربة الشخصية التي مرَّ بها. وقد أوضح مارادونا ذلـك الأمر، قائلًا: «يحظـى ميسي بدعم أكبر ممّا حظيت بـه أنا قبل مونديال المكسيـك عـام 1986م. لقد توليت قيـادة الهجوم آنـذاك، وتحكّمت في الكرة والفريق معًا. كنت أبدأ التخطيط واللعب ليتبعني زملائي فيما بعد. لقد شرحت الموضوع لميسي كي يقوم بالدور نفسه في جنوب إفريقيا، وهو يعي الأمر جيدًا. لقد تحدثنا كثيرًا في هذا الموضوع، وأحاول التأكّد من أنّ الأمور على ما يرام».

أُخبِـر اللاعبون المخضرمـون في الفريق، في بدايـة المعسكر التدريبي، بضـرورة «جعل ميسـي يشعر أنّه الأفضل». ولضمـان العناية به، فقد وضعه في الغرفـة نفسها مع «الساحر» فيرون الذي كان مرشد ميسي في أثناء بطولة كوبا أمريكا عام 2007م. وقد أظهر كلا اللاعبيْنِ انسجامًا وتناغمًا فيما بينهما.

وقـد أشـار مارادونا إلـى ذلك فـي مقابلـة أجراها مع صحيفـة كلارين الأرجنتينيـة، قائلًا: «أنـا أعتني به جيدًا. الساحر لاعـب مخضرم وأكثر خبرة من ليو. لكنّهما ينسجمان في الحديث، وهو أمر يسرّني كثيرًا».

بدت ملامح الهدوء والرضا على ليو حينما كان يتحدث، والظاهر أنّه أصبح جاهزًا للعب، وإحداث الفارق.

اقترب موعد المباراة الأولى في مرحلة المجموعات، حيث ستواجه الأرجنتين منتخب نيجيريا. صرَّح مارادونا للصحافة، في أثناء المؤتمر الصحفي الذي سبق المباراة، بالآتي: «ما زال المنتخب الأرجنتيني قويًّا كسيارة رولز رويز، لكنّ الاختلاف يكمن في أنّ ميسي هو مَنْ يقودها الآن». كما ذكَّره - ببساطة- أن يكون قائدًا فذًّا، واللاعب الأبرز على مرّ العصور.

أُحيط ميسي بهالة من الاهتمام والحفاوة والمديح يوم السبت الموافق للثاني عشر من شهر حزيران، على ملعب أليس بارك في جوهانسبيرغ. إنّه أفضل لاعبي المنتخب الأرجنتيني، وهو القادر على بثّ الحماسة بين صفوف الألبيسيليستي، ناهيك عن تفهُّمه لحاجات فريقه، والنظر إليه بوصفه اللاعب الأكثر نشاطًا في خطّ هجوم الفريق. أينما تُولّي وجهك تشاهده يلعب بعزيمة لا تعرف الكلل؛ فتراه خلف المهاجمينَ، وعلى الجناح، وعلى خطّ الهجوم. إنّه يجيد تمرير الكرات العرضية، ويصنع كثيرًا من الفرص أمام المرمى (يضيِّعها تيفيز وهيغواين)، إنّه الأكثر حماسةً، وتسديدًا على المرمى (ثماني تسديدات، أربع منها بين الخشبات، تصدّى لها بمهارة حارس المنتخب النيجيري ونادي ليل الفرنسي فينسينت إنياما. لقد أبلى هذا الحارس بلاءً حسنًا مكَّنه من الفوز بجائزة أفضل لاعب في المباراة.

قال إنياما لاحقًا: «أشكر الله، ثمّ أشكر ميسي على الفوز بالجائزة، فما قمت به من تصدٍّ للكرة كان بفضل الله. أنا مؤمن بالله، وعلى الرغم من أنّني درست الأهداف التي سجّلها ميسي في الدوري الإسباني، إلّا أنّني لم أكن لأنجح لولا فضل الله. عليَّ الاعتراف أيضًا بأنّني لم أكن لأربح الجائزة لولا منازلتي لأفضل لاعب في العالَم».

تنتهي المباراة بفوز الألبيسيليستي بهدف بعد رأسية من غابرييل هاينزه، فيندفع مارادونا في اتجاه ميسي، حاملًا إيّاه بين ذراعيه. ثمّ يضمه بشدّة إلى بزّته وربطة عنقه الثمينتين، ويقبِّله بحرارة.

يُعَدّ الأزغب المدرِّب الوحيد، في تاريخ بطولة كأس العالَم، الذي يُقبِّل لاعبيه بعد كلّ مباراة، أو عند كلّ تبديل، لكنّ في قبلتيه لميسي اعترافًا بالمجهود الذي بذله هذا الأخير من أجل الفريق.

يشير مارادونا، وهو يقضم تفاحة في أثناء المؤتمر الصحفي الذي أعقب المباراة، إلى أنّ «ميسي استحوذ على الكرة طوال المباراة، وأنّه كان يستمتع كلّما كانت الكرة بحوزته، ومن ثَمّ كان يمتعنا جميعًا». لم يكن الأزغب الشخص الوحيد الذي يكيل المديح للبرغوث؛ فالعناوين الواردة من الأرجنتين وإسبانيا تُجمِع على أنّ ليو كان أفضل لاعب في فريقه، وأنّه هو مَنْ قاد فريقه إلى النصر؛ نصر كان من المفروض أن يكون أفضل ممّا كان. وقد أجمعت الآراء على أنّ منطقة اللعب التي خصّصها مارادونا لفتى روزاريو خلف المهاجمينَ آتت أكلها، وأنّها تشبه الموقع المثالي الذي احتلّه مارادونا أيام عزّه. في المقابل، لم ينسَ المنتقدون الخلل الواضح الذي عاناه الفريق في خطّي الدفاع والوسط، ولم ينسوا التبديلات التي أجراها المدرِّب في الدقائق الأخيرة، وتسبَّبت في معاناة الفريق. لكنّ الفريق نجح في التأهّل للدور الثاني على الأقل، بفضل الانتصار الذي حقّقه الجميع، بمَنْ فيهم ميسي بطبيعة الحال.

تستفيق الأرجنتين فرحة في اليوم اللاحق. وفي الثالث عشر من شهر حزيران، يدخل ميسي بصحبة غونزالو هيغواين إلى قاعة الصحفيين في معسكر الفريق في بريتوريا، ويقول بأسلوبه الهادئ نفسه: «لقد كانت مباراة جيدة. حظيت فيها بالكثير من حرية الحركة، وتلقّيت دعمًا كبيرًا من زملائي

فــي الفريق. كما تمكّنت من لمس الكرة بصورة أكبر. قمت بالتسديد من أمكنة أبعـد من تلك التي اعتدتهـا، وقد فضّلت ذلك مع أنّني ملكـت خيار التقدّم إلى الأمام».

وحين سأله الصحفيون عن مدى اتكال الفريق عليه، ردّ قائلًا: «الفريق لا يعتمـد عليَّ وحدي. بل على العكس؛ فأنا مَنْ يعتمد على لاعبي الوسط للحصول علـى الكـرة». لا يتصرّف ميسـي كعادته كالنجـم المطلق، ويُـردِّد دائمًا: «أنا مجـرّد لاعب فـي الفريق». من الواضح أنّـه يشعر بالسعادة مـع الفريق، ويؤكّد ذلك بقوله: «أشعر بالسعادة نفسها التي تراودني حين ألعب مع البارسا. أعرف أنّنا سنلعب بصورة أفضل من دون الضغوط التي واجهتنا في أثناء التصفيات. لقد استمتعت جدًّا في مباراتنا أمام نيجيريا».

مـن الواضح أنّ الحال قد تغيّر، وأنّ الماضي قد أصبح نسيًا منسيًّا، تمامًا كمـا نوَّه بذلـك في مقابلة مع قناة تـاي سي سبورت: «لم أكـن على طبيعتي مع المنتخـب الوطني. لم أكـن ألعب بالطريقة نفسها التي ألعـب بها مع برشلونة، لقـد كان الأمر واضحًا. لكنّني دائمًا ما حظيت بالدعم من دييغو، وبفضل الثقة التـي منحنـي إيّاها زملائي في الفريـق، فقد تغيّر كلّ شـيء الآن. لقد تناسيت مـا حصل فـي أثناء التصفيات، وكنت علـى ثقة بأنّنا سنبـدأ بداية جديدة في النهائيـات. كان عليّ استغـلال ذلك. والآن، سأُظهِر للجميـع معدني الحقيقي، ويتعيّن عليَّ مواصلة ذلك. أودّ لو يشعر الأرجنتينيون حيالي بالشعور نفسه الذي أحظـى به من جمهور برشلونة. يتعيّن عليَّ مواصلـة إثبات جدارتي، وشكرًا للّه على عودتي إلى الطريق الصحيح».

أَعَـدّ الأزغب مفاجأة كبيرة لليو، أخبره بها فـي غرفته قبل الموعد بيوم. شعر ميسي بسعـادة غامرة؛ فسوف يرتدي شارة القيادة أول مرّة. وبعد مباراة

شاقـة أُقيمت في أجواء باردة على ملعب بيتر موكابا في مدينة بولوكواني، تغلَّب فيها منتخب الأرجنتين على منتخب اليونان بنتيجة (0-2)؛ نجح الفريق بتحقيق انتصـاره الثالث الذي ضمن له التأهّل لدور الستة عشر في صدارة المجموعة. تحمَّل القائد وطأة المراقبة اللصيقة من باباستاثوبولس؛ إذ كان صاحب الرقم (19) يتحـرّك مع ميسي طوال المبـاراة كظلّه. وكلّما تمكّن ميسي من التخلّص منـه، وجد نفسه محاطًا بثلاثة لاعبين آخرين من المنتخب اليوناني. وفي هذه الأثنـاء، كان مارادونـا - مـن على الدكّة- يتألَّـم، وهو يشاهد تلميـذه يتعرّض للإعاقة تلو الأُخرى، وكره أن يشاهده محاصرًا بهذه الصورة.

تمكَّـن ليـو من التحـرُّر فقط بعـد الهدف الـذي سجّلـه ديميكيليس؛ فقد اتسعـت لـه مناطق اللعـب جميعها، وتمكَّن مـن إظهار معدنـه الحقيقي. فتراه يتجاوز اللاعبيـنَ، ويُسدِّد بقوة بقدمه اليسرى، لكـنّ كرته ترتطم بالقائم. ثمّ ينطلق من الجانب الأيمن عند الدقيقة الثامنة والثمانين، ويلعب الكرة بطريقة (واحـد- اثنيـن) مع دي ماريـا، مُسدِّدًا علـى القائم البعيد. ومـع أنّ الحارس تزورفاسـ تمكَّن من التصدي لتسديدة ميسي، لكـن المخضرم مارتن باليرمو استطـاع استغلال الكرة المرتـدة، مُسجِّلًا هدف الاطمئنـان لفريقه، وجاعلًا مارادونا في قمّة السعادة.

حَلّ يوم الرابـع والعشرين من شهر حزيران؛ إنّه عيد ميلاد ميسي الثالث والعشرون. وفيه صرَّح بالآتي: «لقد وصلت إلى ما أنا عليه اليوم بفضل ما علَّمني إيّاه مارادونا». فيعقب مارادونا قائلًا: «أشعر بالإطراء، لكنّ ليو على ما هو عليه اليـوم؛ لأنّه يريد أن يكـون كذلك. يمكنكم ملاحظة السعادة التي يشعر بها. إنّه يستمتع بوقته، ويودّ اللعب بشدّة وحماسة. لذا، أقول لكلّ مَنِ اعتقد أنّ ميسي لا يمكنه التفاعل مع المجموعة، وأنّه يبدو حزينًا دائمًا؛ : ومَنْ يحبّ الخسارة؟ لقد خسرنـا في أثناء التصفيات. لكنّ الوضع قد تغيّر الآن، والجميع يشعر بالفخر؛

لأنّهـم جعلوا ميسي سعيدًا، خاصة زملاءه في الفريق». استمر مارادونا في كيل المديح، قائلًا: «لا أحد يساوي 30٪ من قيمة ميسي في بطولة كأس العالَم هذه. لا أحد يستطيع مجاراته».

يواجِـه الأرجنتيـن المنتخب المكسيكـي في دور الستة عشـر، يوم السابع والعشرين مـن شهر حزيران، على ملعب سوكر سيتي فـي جوهانسبيرغ. خسر ميســي الرهــان مع مارادونــا؛ نظرًا إلى فشلــه في تسجيل أيّ هــدف. لذا، قال صاحــب الرقــم (10) ممازحًا بعــد نهاية المبــاراة: «يتعيّن علــيَّ التسجيل في مرمى ألمانيا، وإلّا فسينتهي أمري».

تمكّنــت الأرجنتين من التغلّب على المكسيك التي يقودها المدرِّب خافيير أغيــري بنتيجة (1–3) بأقل مجهود. فقد افتتح تيفيز التسجيل بهدف يبدو فيه التسلُّل واضحًا. يقول ميسي الذي هيّأ كرة الهدف الذي سجّله «الأباتشي» تيفيز بالرأس: «اعتقدت لوهلة أنّهم سيلغون الهدف؛ لأنّهم كانوا ينظرون إلى الإعادة. ولكن، لحسن الطالع فقد أقرّوا بصحة الهدف».

لا تبــدو المباراة سهلة بالنسبــة إلى ميسي الذي يبدو عليــه الانزعاج؛ إذ تحتــم عليه مرارًا العــودة إلى منتصف الملعب للدخول فــي أجواء اللعبة. يلعب خطّ وسط الألبيسيليستي على نحوٍ سيّئ، وذلك دفع البرغوث إلى الاعتماد على نفســه، واللعــب بعيدًا عن المنطقة التــي يشكّل فيها الخطــر الأكبر. أشعل هذا الأمر النقاش مجدَّدًا بشأن الموقعِ الذي حُدِّد لصاحب الرقم (10)، وخطِّ وسط الفريــق، والتشكيلةِ التــي اختارها مارادونا. وفي ذلك، كتبــت صحيفة كلارين متسائلة: «لقد وصل الفريق إلى ربع النهائي، لكنّ أبرز نجومه (ميسي) مُختفٍ عــن الأنظار، كما كان عليه الحال في المباراة الأولى من دور المجموعات. فهل هو في موقع يساعده على الأداء بأفضل ما لديه؟ هل يحظى بالدعم اللازم؟».

تدعـو الصحيفة الأرجنتينية هذه إلى إحداث تغيير في خطّ الوسط؛ لمنح ميسـي الحريـة، كي لا يضطر إلـى الجري بعيـدًا عن المرمى، فهـم في نهاية المطاف لن يقوموا بوضع أفضل لاعبي العالَم على الدكّة.

جمعـت المواجهة اللاحقة منتخـب الأرجنتين بالمنتخـب الألماني الذي أقصى نظيره الإنجليزي ومدرِّبه فابيو كابيللو. ضم الفريقُ الذي يدرِّبه خواكيم لوف مجموعةً خاصة من «الماكينات» التي تتميَّز بكرة قدم متطوّرة واستعراضية، يديرهـا نخبة مـن اللاعبين المتميِّزين، مـن أمثال: مولر، وأوزيـل، وخضيرا، وكروس. إنّه فريق يجلب ذكريات سعيدة وأُخرى حزينة للأرجنتينيين: الانتصار بنتيجـة (2-3) في نهائي بطولة كأس العالَم عام 1986م في المكسيك، ودموع مارادونـا التـي انهمرت بعد الخسارة في نهائي البطولـة نفسها عام 1990م في إيطاليـا، والخسارة بركلات الترجيح في ربع نهائي هـذه البطولة عام 2006م. ستكـون الذكريات حزينة هذه المرّة أيضًا. فقد حطمت ألمانيا آمال الأرجنتين بفـوز صريح تحقَّق من لعب جماعي متميِّز فـي الأداء والمهارة. إنّه نصر مؤزَّر حقَّقـه فريق شفانشتايغـر على الأرجنتيـن التي اكتفت بالأحـلام، والحماسة، والكثير من الفوضى التكتيكية.

وبذا، فقـد فشلت خطة مارادونا التي نالت الإعجاب بإنصاف ميسي مرّة تلـو الأُخرى، وفي أكثر المباريـات أهمية. لقد حاول تنظيم اللعب وتوجيه دفّته. ولكن، باستثناء بعض الاقتحامات العقيمة، والاعتراضات الغريبة، وتسديدتين بعيدتيـن، فـلا شيء يُذكَر، سـوى القـول: إنّ شفانشتايغر وزمـلاءه نجحوا في إيقافه من دون أن يضطروا إلى ارتكاب ولو خطأ واحدًا.

خسـر ليو الكرة (12) مرّة، ولم ينجح في استعادتها، كلّ ذلك بسبب لعبه بعيـدًا عن المرمى. لقـد آلمته حقيقة أنّ زملاءه لم يمرِّروا له الكرة في المرّات

القليلـة التـي نجح فيها بالتملّص من الرقابة. لقد تُـرِك وحيدًا، معزولًا، يواجِه خطر الغرق من دون أدنى مساعدة.

سجلّـه التهديفـي يبعث على الأسى؛ فقد لعب خمسـ مباريات، وسدَّد أكثر مـن أيّ لاعب آخر (ثلاثون مرّة، اثنتا عشرة منها بين الخشبات، واثنتان ردّهما القائـم)، لكنّه لم يكن محظوظًا قطّ في التسجيل. ذلك ليس أسوأ ما في الأمر؛ فمنذ مباراته الأولى أمام نيجيريا، أصبحت مكانته تتقلّص شيئًا فشيئًا. لقد عَدَّه الجميع لاعبًا خارقًا قادرًا على فعل أيّ شيء، لكنّه ظهر أمام ألمانيا لاعبًا عاديًّا. إلامَ تُعـزى هذه الكارثة؟ مَنِ المُتسبِّب فيها؟ أهـو اللاعب الذي يرقّ للمناسبة؟ أم الموقع الذي حدّده له مارادونا، تاركًا إيّاه بعيدًا عن المرمى؟ أم ربّما تشكيلة (5-1-4) التـي جازف بها مارادونا، وأثبتت فشلًا ذريعًـا أمام الألمان؟ استقر الأمر في نهاية المطاف، على عزو ذلك إلى نقص عدد لاعبي الوسط؛ فالجميع مقتنع أنّه لو كان عددهم أكبر لأتاح ذلك ظروف لعب أفضل لليو.

روت العناوينُ الصادرة في الصحف الأرجنتينية في اليوم المقبل، القصةَ على لسان كثير من الخبراء والنقّاد والمحلِّلينَ:

كلاريـن: «المنتخب الوطني يتعرّض للإذلال في بطولة كأس العالَم. أسوأ نتيجة منذ عام 1974م».

لا ناسيون: «ألمانيا تسحق الأرجنتين».

أوليه: «لا أهداف أو مجد لميسي».

بيرفل: «ميسي والأرجنتين يذرفون الدموع».

وصـف مارادونا الوضع بعد المباراة بقولـه: «إنّها أصعب لحظات حياتي، يـا لها من صدمة مؤلمـة!». أمّا ميسي فقـد لاذ بالصمت، ولـم يتمالك نفسه؛ فأجهش بالبكاء.

وبعد أيام عدّة، نشرت مدوّنة صينية تُدعى تينسينت – على صفحتها- قولًا لميسي، جاء فيه: «ينتابني شعور سيّئ جدًّا. أريد العودة إلى البيت. لقد لعبنا بصورة مبتذلة، وخيّبنا أمل الجميع، يتعيّن علينا البدء من جديد الآن».

عندما سجّل زميله في البارسا أندرياس انيستا هدفَ الفوز الذي منح إسبانيا لقبها الأول في بطولة كأس العالَم، كان ميسي في مكان بعيدًا جدًّا عن جنوب إفريقيا. وقد حرصت عدسات مصوري المشاهير على التقاط صور له في أثناء وجوده بريو دي جانيرو برفقة صديقته، وهو مكان ليس ببعيد عن ذلك الذي سيحتضن بطولة كأس العالَم عام 2014م. سيكون ميسي في سنّ السادسة والعشرين آنذاك، وهي السنّ نفسها التي تمكّن فيها مارادونا من الفوز بكأس العالَم عام 1986م، ونصّب نفسه ملكًا على العالَم... مَنْ يدري؟ فربّما ينجح في التتويج حينها.

الفصل الثامن والثلاثون

مفاجأة

العاشر من كانون الثاني عام 2011م

وجه غوارديولا كتاب مفتوح. ارتسمت على مُحَيّاه تعابير تساوي ألف كلمة؛ أهـي عواطف، أم مفاجأة؟ مَنْ يدري؟ فقـد تكون خيبة أمل رجل أو بلد بأكمله. تولّـى مدرِّب البارسا مهمة فتـح المغلّف الذي يحوي اسـم الفائز، مع أنّ مجلة فرانـس فوتبـول ودَّت لو قام يوهان كرويـف بهذه المهمة، في حيـن كان ديفيد بيـكام خيار الفيفـا الأول. صمـت هُنيهة، ثمّ افتتـح الحديث قائـلًا: «سيداتي سادتـي» (بالإنجليزيـة وَفقًا للأعراف)، ثمّ تحوَّل للحديـث بالكاتالونية قائلًا: «الفائز هو....»، ثمّ كرَّر الجملة نفسها بالإسبانية والإنجليزية.

سُلِّطـت آلات التصوير على المرشّحين الثلاثة من أبناء النادي: أندرياس انيستا، وليونيل ميســي، وتشافي هيرنانديز. إنّها ثلاثية غير مسبوقة في تاريخ البلاوغرانا، واعتراف صريح بأسلوب النادي وإرثه التعليمي. لم تشهد الجائزة مثل هذا الاكتساح منذ ثمانينيات القرن الماضي حين فعلها نادي آي سي ميلان الـذي كان قاده آنذاك المدرِّب أريغو ساكي مرّتين متتاليتين؛ ففي عام 1988م، رُشِّـح للجائـزة الثلاثي ماركـو فان باستـن، وزميلاه في الفريـق: رود خوليت، وفرانـك ريكارد. أمّا عـام 1989م فشهد فوز فان باستن للمـرّة الثانية، متبوعًا بفرانكو باريزي، ففرانك ريكارد.

فتــح غوارديولا المغلّف والدموع تترقرق في عينيه، ثمّ أظهر البطاقة التي كُتِـب عليها اسم الفائز. إنّها موجَّهة - سهـوًا - نحو الحضور الذين تمكّنوا من مشاهـدة اسم الفائز. سـادت حالة من الارتباك أنحاء القاعـة هُنيهة، قبل أن يقلب المقدِّمُ البطاقةَ ويُعلِن اسم «ليونيل ميسي». بعدها بأيام، سأل الصحفيون غوارديـولا عن الإشاعات التي راجت بخصوص فوز انيستا، فأجاب: «أعتقد أنّ ميسي هو الأفضل».

فوجِئ جميع الحاضريـن في قصر زيوريخ للمؤتمرات. لم يكن أحد يتوقّع ذلـك، ولا حتـى ميسي نفسه؛ إذ نهض فتى روزاريو مـن مقعده منبهرًا مرتبكًا، وهو يُغلِق أزرار سترته ماركة دولتشي وغابانا، ويُعدِّل ربطة عنقه، ويخرج لسانه على طريقة مايكل جوردان بعد تسجيله سلّة رائعة، ثمّ اعتلى خشبة المسرح.

صافحــه بيب، ثـمّ ناوله الجائزة، وأخـذ يربت على ظهره، ثـمّ أحاله إلى رئيـس الفيفـا جوزيف بلاتر. وفي هــذه الأثناء، كانـت آلات التصوير تتفحّص الحضور؛ بحثًا عن سيليا وخورخي اللذيْنِ ظهرا ممسكيْنِ بيدي بعضهما بعضًا، وظهـر رئيس نـادي برشلونـة سانـدرو روسيل مبتسمًـا. لقد حـان الآن الوقت المخصّص لكلمة الفائز.

اتكأ ليو على المنصة قائلًا: «عمتم مساء. أشكركم جميعًا على التصفيق. فـي واقع الأمـر... لم أكن أتوقّع الفـوز في هذه الأمسيـة. كان يكفيني أن أكون هنـا بصحبة زملائي فـي الفريق، لكنّ الأمـر أصبح أكثر بهاء وإثـارة بالفوز. إنّـه يوم مميَّز جدًّا بالنسبة إلـيَّ. أودّ مشاركة زملائي في الفريق هذه الجائزة، فلولاهـم ما كنـت هنا. وأودّ مشاركتها مع الناس الذيـن أُحِبّ، الذين وقفوا إلى جانبي دائمًا، ولم يبخلوا عليَّ بالدعم. وكذا مع برشلونة والأرجنتين». مزيد من التصفيـق، تبعه عرض لأبـرز اللحظات التي مرّ بها هـذا الأرجنتيني، تعليقات مهنِّئة، وصورة عائلية مع صاحبي المركزين: الثاني، والثالث.

فـاز ميسـي بجائزة الفيفـا لأفضل لاعب فـي العالَم عـام 2010م، مع أنّ الترشيحـات جميعها صبَّت في خانة أندرياس انيستـا وتشافي هيرنانديز. لقد جـاءت الجائزة تتويجًـا للإنجازات الفردية عـن الموسم المنصـرم، مراعية السجـلّ السابق، ومدى التأثير في الفريق، إلى جانب اللعب النظيف. وقد تقرَّر هذا العام – أول مرّة- دمج جائزة الكرة الذهبية التي استحدثتها مجلة فرانس فوتبول عـام 1956م، في جائزة أفضل لاعب في العالَم التي تمنحها الفيفا منذ عـام 1991م. وبعبارة أُخرى، فقـد اختير ميسي هذا العام بوصفه أفضل لاعب، بنـاءً على ترشيح صحافيين من جميع أنحـاء العالَم، إلى جانب مدرِّبي (208) منتخبات وطنية وقادتها.

حصـل الأرجنتينـي علـى (853) نقطة؛ أي مـا نسبتـه 65, 22٪ من عدد المرشّحين، في حين حصل انيستا على (677) نقطة؛ أي بنسبة 36, 17٪، وحلّ تشافي ثالثًا بعد حصوله على (637) نقطة؛ أي بنسبة 48, 16٪.

أصبـح ليو بذلـك أصغر لاعب يحصل على الكـرة الذهبية مرّتين في سنّ الثالثة والعشرين. علمًا بـأنّ ألفريدو دي ستيفانو كان في سنّ الثالثة والثلاثين حيـن فاز بالجائـزة للمرّة الثانيـة عـام 1959م. أمّا ميشيل بلاتينـي فكان في التاسعة والعشرين، ويوهان كرويف في السادسة والعشرين تقريبًا، وكذا رونالدو حين فاز بجائزته الثانية بعد بطولة كأس العالَم عام 2002م في كوريا الجنوبية واليابـان، في حين يُعَـدّ ماركو فان باستن الأقرب؛ إذ فـاز بجائزته الثانية قبل سنّ الخامسة والعشرين بقليل.

صـرَّح انيستا عقـب الحفل قائلًا: «علـى الرغم من علامـات خيبة الأمل البادية على مُحَيّاه بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من الفوز، فإنّ ميسي يستحق الفـوز. إنّـه الأفضـل من دون شـكّ. أشعر بسعـادة غامرة في هـذه اللحظات. استضافتي هنا هي جائزة بحدّ ذاتها».

أمّـا تشافي صاحب المركز الثالث فقال: «كلّ شيء ممكن. في الواقع، فإنّ أيًّـا منّا – نحـن الثلاثة- لم يكن يعلـم مَنِ الذي سيفوز. لكـن، عندما فاز بها ميسـي، شعرت أنّ عدالـة كرة القدم قد تحقّقت؛ لأنّه أفضـل لاعب في العالَم، والقادر على إحداث الفارق في كلّ مباراة. لا يضيرني أنّني لم أتمكّن من الفوز. فالجوائـز الفردية لا تُراعى فيها العدالة على الـدوام، وإنّ كرة القدم هي لعبة جماعية في المقام الأول. يوجد لاعبون يستحقون الفوز بالجائزة، مثل: راؤول، وكاسياس، وبويول، لكنّهم لم يفوزوا بها. لقد استقرت الجائزة في عائلتنا مرّة أُخرى في نهاية المطاف؛ مع البارسا، وأكاديمية الشباب في النادي؛ لا ماسيا».

مـن الصعب تصديق أنّ أيًّا منهم لم يكن يعـرف هوية الفائز. لكن، يبدو ذلك صحيحًا بالنظر إلى رَدّة فعل ميسي؛ فقد كان فتى روزاريو هادئًا تمامًا في أثنـاء وجوده في القاعـة قبل الإعلان عن الفائز، كان أكثر هدوءًا ممّا كان عليه حين فاز بجائزة الفيفا لأفضل لاعب في العالَم عام 2009م.

شـارك الجميـع في الاحتفـالات المقامة في فنـدق هايـات. لا يبدو عليه أنّـه يعلم نتيجـة التصويت سلفًا، بل كان مقتنعًا أنّ الفائـز سيكون إسبانيًّا؛ لأنّ المنتخب الإسباني نال بطولة كأس العالَم.

قـال ليو: «لـن أمانع فـوز أيٍّ مـن تشافـي أو انيستا بالجائـزة، فكلاهما يستحقهـا». لم يكـن ليو يعلم أنّه سيفـوز بالكرة الذهبية للمـرّة الثانية، خلافًا لجوزيـه مورينيـو الذي علم بفوزه بجائـزة أفضل مدرِّب، متقدِّمًـا على المدير الفنـي للمنتخب الإسباني فيثينتي ديل بوسكي، ومدرِّب البارسا بيب غوارديولا. لـم يكن يتوقّع الفوز بعد الأداء الذي قدَّمه فـي بطولة كأس العالَم. لذلك نجده مسترخيًا عندما صعد إلى منصة قاعة المؤتمرات بوصفه أحد «أعضاء الفريق المثالي لعام 2010م» (كاسياس، بويول، بيكيه، لوسيو، مايكون، انيستا، تشافي،

شنايـدر، كريستيانو رونالدو، فيا، ميسي)، ولم تظهر على مُحَيّاه أمارات القلق التي اعترته قبل تقديم الجائزة في السنة السابقة.

أشارت عقارب الساعة إلى الثامنة وخمس دقائق مساءً، الوقت الذي أعلن فيـه غوارديولا اسم الفائز، فقط حينها أدرك ليو أنّ ما كان مستبعَدًا قد أصبح حقيقـة؛ إذ سـاق له القـدر الهديةَ التـي كان يتمناها، لكنّه لم يكـن يجرؤ على طلبهـا. بدا محرَجًا لدى حمله الجائـزة، واعترته ملامح الاعتذار تجاه زملائه في الفريق أمام آلات التصوير والميكروفونات.

فـي طريق العـودة إلى برشلونة علـى متن طائرة خاصة، وبعـد نزع البزّة وربطة العنق، وارتداء ملابس أكثر راحة بالنسبة إلى ميسي، رفع كأسه مقترحًا نخبـًا، ثمّ قال: «لتشافي وانيستا. مع أنّنـي فزت بالجائزة، إلّا أنّهما يستحقانها أيضًا».

لنـدع المفاجـأة جانبًا، ولنتابع مـا قاله المرشّحون والفائـزون الآخرون، الذيـن تُنبِئ أقوالهـم وتعليقاتهم بعدم وجـود اعتراض على فـوز ميسي. يقول جوزيـه مورينيو علـى سبيل المثال: «ميسـي وانيستا وتشافـي لاعبون متميِّزون بالنسبـة إلـيّ. وعندما يفـوز لاعب أكثر تميُّـزًا (مثل ميسـي) بالجائزة، فعلى الجميـع احترام ذلك. من الواضح أنّني كنت أتمنى فوز شنايدر بعد كلّ ما فعله في العام المنصـرم، أو كريستيانو رونالدو؛ لأنّني أُدرِّبه حاليًّا، أو دييغو ميليتو، لكنّني أحترم القرار الذي اتخذه راعي الجائزة».

أدلـى فيثينتي ديل بوسكي مـن جانبه، - الذي تسرّب إليـه خبر مفاده أنّه سيكون هو الفائز بجائزة أفضل مدرِّب- بتصريح للصحافيين، قائلًا: «لا يوجد خاسرون هنا. كان من الصعب جدًّا اختيار الأفضل، وأعتقد أنّ كلًّا من مورينيو وميسي يستحقان الفوز».

أمّا قائد ريال مدريد والمنتخب الإسباني إيكر كاسياس، فله رأي مخالف؛ إذ يقـول: «أنا أُفضِّـل التركيز على المعايير المتَّبعة فيمـا يخصّ اختيار الفائز بالكـرة الذهبيـة.... لطالما كان كأس العالَم عاملًا حاسمًـا في مثل هذا النوع مـن الجوائز، لكنّهم تجاهلوا الأمر عندما فـازت إسبانيا باللقب. أقلّ ما يمكن قولـه هو أنّ الحـظ خاننا. يشعر الإسبان كافة بقليل من عدم التقدير. كنت أودّ لو يفوز انيستا أو تشافي، لكنّنـا سنواصل الكفاح للفوز بها يومًا ما».

يُذكَـر أنّ لاعبًا واحدًا فقط إسباني المولـد تمكَّن من الفوز بجائزة الكرة الذهبية؛ يُدعى لويس سواريز، وذلك عام 1960م.

استمـر النقاش فـي اليوم اللاحق، واحتلّ هذا الموضـوع غالبية العناوين الرئيسـة للصحف الإسبانية الصادرة. فقد عنونت صحيفة أس صدر صفحتها بالآتـي: «إسبانيا غاضبة. الذهب لميسي وخيبة الأمل لإسبانيا». ثمّ ذكرت هذه الصحيفة المدريدية في تفاصيل الخبر ما يأتي: «جرت العادة أن يُختار الفائز بالجائـزة من الفريـق الذي حظي بكأسـ العالَم في السنة السابقـة، لكنّه أمر غُضَّ الطرف عنه، والظاهر أنّه قرار مبني علـى إنجازات سابقة». ثمّ أضافت لاحقًا: «لم يكن ميسي ليصل إلى ما هو عليه الآن لولا تشافي وانيستا».

تشكـو صحيفـة مـاركا من جانبهـا، على صـدر صفحتها هـذه النتيجة، قائلة: «عملاقان (ميسي ومورينيو) ومقاطعة الإسبان. يصفع بلاتر كرة القدم الإسبانيـة للمرّة الثانية خلال شهر. لقد حرمنـا حقَّ تنظيم بطولة كأس العالَم عـام 2018م فـي كانـون الأول، والآن، يحرم تشافـي وانيستا وديـل بوسكي من الجوائز».

أطلقت ماركا استفتاءً أيضًا على موقعها الإلكتروني: «هل كان قرارًا عادلًا فـوز ميسي بالكـرة الذهبية؟». وصل عدد المصوّتين إلـى (800 ,000) في أقل

من (12) ساعة، وقد أسفرت نتائج الاستفتاء عن معارضة ما نسبته 2, 68٪ من المصوّتين لقرار الفيفا ومجلة فرانس فوتبول.

لـم تنحصـر خيبة الأمل فيما يخصّ قرارات الفيفا فـي المصوّتين عبر شبكة الإنترنت ووسائل الإعلام الرياضية في مدريد فحسب؛ إذ حملت صحيفة إل باييس الوطنية بين طيّاتها مقالًا لخوزيـه سيامانو، يعلّق فيه على عدم منح إسبانيـا أيّ جوائـز: «كان يجـب أن يكـون كأسـ العالَم عـام2010م في جنوب إفريقيـا المقياس الرئيس لاختيار الفائز بالكرة الذهبية. ليس لأنّ كأس العالَم هـو أهم مناسبة كروية فحسب، بل لأنّها انعكست على المرشّحين الثلاثة. فقد نجح ميسي في تحقيق الانتصارات عندما لعب إلى جانب تشافي وانيستا، لكنّه فشـل من دونهما في كأس العالَم. أمّا هـذان الإسبانيان فقد نجحا في الوصول إلـى القمّة مـن دون مساعدة الأرجنتينـي. لا يرمز تشافي وانيستـا إلى أسلوب جـذّاب في كرة القدم مثل ميسي فحسب، بـلّ يمثّلان أيضًا منتخبًا وطنيًّا حقّق نجاحًا منقطع النظير في آخر بطولتين خاضهما كلّ منهما. يُذكَر أنّه منذ سُمِح لغيـر الأوروبيين بالتنافس على الجائزة، بدءًا بعام 1995م، فإنّ جميع مَنْ فازوا بهـا كانوا قد أحرزوا لقب كأس العالَم في العـام الذي سبقها، مثل: زيدان عام 1998م، ورونالـدو عام 2002م، وكانافارو عـام 2006م. ربّما يجب أن ننظر إلى الصـورة العامة هنا، ونسأل عن سبب خسارة إسبانيـا عندما يشمل التصويت مختلف دول العالَم، وأقصد هنا أولمبياد عام 2016م، وكأس العالَم عام 2018م، والكـرة الذهبية عام 2010م.... ميسي يستحق الفوز، لكنّ كرة القدم الإسبانية لا تستحق اللامبالاة التي أصابتها، إنّه يوم لن تنساه برشلونة».

إذا كانـت الانتقـادات وخيبـة الأمل «المدوَّلـة» قد اجتاحـت مدريد، فإنّ النقاشـ حيـال المعايير التـي اتُّبِعت في منح الجائـزة كان مشتعـلًا أيضًا في إيطاليا وفرنسا. ويبدو أن لا أحد يتفق مع خيار منح الجائزة لميسي.

عنونـت صحيفة غازيتـا ديللو سبورت صدر صفحتها بعبـارة: «ميسي! لا، وألـف لا»، ملخِّصة الشعور العام الـذي انتاب الصحافة الإيطالية. فقد بدا فوز البرغوث للمرّة الثانية على التوالي أمرًا «لا يصدَّق» بالنسبة إلى صحف الإثارة التـي كانـت قد توَّجت انيستـا باللقب سلفًا، فضـلًا عن كونه «ظالمًـا»؛ لأنّه «لا يعكس بأيّ حال» أفضل لاعب عام 2010م.

أمّـا صحيفة لا ستامبا الصادرة في تورينو، فكتبـت أنّ «كرة القدم ضلّت الطريـق» لأنّ «ميسـي لم يفـز بأيّ لقب منذ مـدّة». يبدو أنّ الأهـداف الثمانية والخمسيـن التـي سجّلها ميسي في الموسم المنصـرم، وساعدت البارسا على الفـوز بالـدوري للمـرّة الثانية علـى التوالي، وخطف لقـب كأس السوبر أمام إشبيليـة؛ ليست ذات أهمية، ناهيك عن البداية النارية التي حقّقها الأرجنتيني فـي الموسـم الحالي (28 هدفًا فـي 26 مباراة). كلّ ما يهـم بالنسبة إليهم هو كأس العالَم، ودوري الأبطال.

لـم تكتفِ وسائل الإعـلام الفرنسية والإيطالية بالتشكيـك في قدرات ليو فحسـب، بل ألقت الضوء علـى الطريقة الجديدة التي تتبعهـا الفيفا في انتقاء المرشّحيـن. كان أول انتقاد قد صدر في السادس والعشرين من شهر تشرين الأول المنصرم، حين صدرت قائمة المرشّحين التي ضمّت (23) لاعبًا، وخَلَتْ مـن دييغو ميليتـو الذي كان العامل الرئيس لفوز إنتـر ميلان بالدوري الإيطالي ودوري أبطـال أوروبـا، فما تفسير ذلك؟ ومـن ناحية أُخرى، لمـاذا رُشِّح اسم أسامـواه جيان (لعب لنادي ريـن الفرنسي، وينشط حاليًّا فـي نادي سندرلاند الإنجليـزي) الذي لـم يفعل شيئًا سـوى تسجيل ثلاثة أهداف فـي بطولة كأس العالَم برفقة منتخب غانا؟

تستعـر المناقشة حيـن تُعلَن القائمـة المختصرة فـي الخامس من شهر كانـون الأول؛ فالإيطاليـون لا يفهمـون سبب تجاهُل القائمـة للهولندي شنايدر

الذي فـاز بالثلاثية (الدوري الإيطالي، ودوري الأبطـال، وكأس إيطاليا) رفقة نادي الإنتر، ووصل إلى نهائي بطولة كأس العالَم التي سجّل فيها خمسة أهداف. (تَبيَّـن لاحقًا أنّ شنايـدر كان ليفوز بالجائزة، ويحلّ ميســي رابعًا لولا تصويت الصحفييـن). لم يتخيّل أحد - فـي أيّ حال من الأحوال- أن يفوز الأرجنتيني؛ فالـكلّ يعتقـد أنّ انيستا الذي سجّـل هدف الفوز في نهائي بطولـة كأس العالَم سيُتوَّج بالجائزة. لكنّ ذلك لم يحدث... ويستمر اللغط.

يؤكِّـد رئيـس الاتحـاد الأوروبي لكرة القـدم ميشيل بلاتينـي ذلك الأمر، قائـلًا: «مـا حدث لم يكن فضيحة. ولكن، أعتقد أنّـه كان عليهم منحها للاعب نجح في كأس العالَم، تمامًا كما حدث مع باولو روسي عام 1982م». (العام الذي تغلَّبت فيه إيطاليا على إسبانيا).

تجـري الأمـور فـي برشلونة علـى نحـوٍ مغايـر؛ إذ تصر صحيفـة موندو ديبورتيفـو على أنّ «اللاعب الأفضل بلا منازع ليـس في حاجة إلى الفوز بكأس العالَم لكي يفوز بالكرة الذهبية». أمّا صحيفة سبورت فتعنون: «الذهب لميسي، والمجـد للبارسا»، مؤكِّدة أنّـه بصرف النظر عن الجوائـز الفردية فإنّ الفائز الأكبـر هو نـادي برشلونة. وفي المقابـل، تُعَدّ دون بالـون الرياضية الأسبوعية المجلـة الوحيـدة التي تأخذ منحًى مغايـرًا، فتكتب فـي افتتاحيتها: «لا يختلف أحد على أنّ ميسي هو الأفضل. ولكن، إذا نظرنا إلى عام 2010م على حدة، فإنّ تشافي – مع احترامي الشديد لانيستا – هو الذي يستحق الجائزة».

أمّا في الأرجنتيـن، فنجد اتفاقًا نادرًا؛ إذ كالت الصحف جميعها المديح لميســي، فكتبت كلارين: «ميسي هو الأفضل مرّة أُخرى». أمّا لا ناسيون فكتبت: «العالَم عند قدمي ميسي». في حين كتبت باغينا 12: «ميسي ذهب صافٍ».

بينما نجد صحيفة أوليه الرياضية تعنون على صدر صفحاتها عبارة «سرّ ذهبه»، مقتبسة ذلك من اسم الفيلم الأرجنتيني المشهور «سرّ عينيهم» للمخرج خوان خوزيه كامبانيلا، وبطولة الممثل الأرجنتيني المشهور ريكاردو دارين.

علَّق رئيس الاتحاد الأرجنتيني خوليو غروندونا على هذا الموضوع، قائلًا: «لم أذهب إلى زيوريخ؛ لأنّني خفت من الظلم. ولكن، في النهاية، تبيَّن أنّ الفجوة التي تفصل بين صاحبي المركزيْنِ: الأول والثاني كبيرة. لم أكن لأتحمّل لو لم يفز ميسي».

تحدّث مارادونا من جانبه، بعقلانية من مكان وجوده في مدينة مار ديل بلاتا، قائلًا: «لو كان هناك ثلاث جوائز لمنحوا واحدة لكلّ لاعب. ولكن، توجد واحدة فقط، وقد أعطوها للأفضل. لن يتوقف الناس عن الشكوى، فليقولوا ما يشاؤون. لعب تشافي على نحوٍ بدا فيه أنّه المسيطر، إنّه يملك السلطة داخل الملعب، لكنّ ميسي هو مَنْ يسجّل الأهداف. صحيح أنّ انيستا سجّل في نهائي بطولة كأس العالَم، إنّه لاعب عظيم ورائع وموهوب. أودّ لو يلعب مع فريقي. ولكن، من بين هؤلاء الثلاثة، أختار ميسي كلّ مرّة». وحين سُئِل عن انزعاج الإسبان بسبب فوز ميسي، رَدّ الأزغب: «قد يكونون هم أبطال العالَم. ولكن، نحن مَنْ لدينا أفضل لاعب في العالَم».

في اليوم اللاحق من الحفل، وردًّا على الانتقادات التي طالت الفيفا بأنّ فتى روزاريو سرق اللقب من الكرة الإسبانية، كرَّر غوارديولا كلمات مارادونا، مقتنِعًا أنّ ليو هو الأفضل. فقد أعلن مدرِّب البلاوغرانا، قائلًا: «كيف يمكن لأحد الادّعاء بأنّ ميسي سرقه؟ ميسي لاعب يقدِّم الكثير. إنّه يتيح للجميع الجلوس للاستمتاع بعرض باهر نهاية كلّ أسبوع. إنّه يجعل الدوري الإسباني أفضل وأكثر احترامًا. هل كان من الممكن أن يفوز بها تشافي أو انيستا؟ دون

شـك، لكنّ ليو هو مَنْ فاز فـي النهاية؛ لأنّه حصل على صـوت أكثر من (400) شخص. إذا ظنّ الناس أنّ ظلمًا قد وقع، فذلك لأنّ لديهم رأيًا مختلفًا.

«انظـر إلى الفـن؛ يجلس النـاس لمشاهدة مباراة في كرة القـدم، ثمّ تراهم يقولـون: «لقد كانت مباراة رائعـة، وتلك أيضًا، وتلك». وفي نهايـة العام، يغمضون أعينهم، ويتذكّرون ذلك اللاعب الذي قدَّم عرضًا باهرًا. ثمّ يصوّتون. لا جدوى من إعـادة فتح الموضوع مـرّة أُخرى. إسبانيا هي بطل العالَم، وقد حظيت بستة مقاعد في التشكيلة المثالية. ماذا تريد كرة القدم الإسبانية اعترافًا أكثر من ذلك؟».

مع أنّه يملك مدافعينَ من الوزن الثقيل، تعيّن على ميسي التحدث، موضِّحًا للجميـع أنّه غير مضطر إلـى التبرير والتعليل؛ لأنّه لم «يسـرق» شيئًا من أحد، وإنّه فعل ما يكفي ليحظى بالجائزة.

تحـدث في مؤتمر صحفـي مباشرة عقـب مقابلة مطوّلة مـع مجلة فرانس فوتبول، جرت في البيت بعد حفل سويسرا. لا يبدو أنّه يحفل بمَنْ يعارضون فوزه.

قـال: «الأمـر لا يزعجنـي؛ فأنا أحظى باحتـرام أبناء بلـدي وزملائي في الفريـق. زملائـي جميعًا فرحون من أجلي، وهذا ما يهمّنـي. يجدر بإسبانيا أن تشعـر بالسعادة من فوزها ببطولة كأس العالَـم وأوروبا، وتذكُّر أنّ لديها أفضل دوري في العالَم».

أمّا بخصوص زملائه في الفريق فقال: «لا مكان للغيرة بيننا. إنّنا متحدون تمامًـا في غـرف تغيير الملابـس. إنّنا أكثر من مجـرّد زملاء، إنّنـا أصدقاء. نعـي جيدًا نوع العلاقة التي تربـط بعضنا ببعض، ونتفق فيمـا بيننا، نحن غير مضطريـن إلـى التبرير والتعليل أمام أيٍّ كان. ستجـري الأمور تمامًا كما كانت عليه من قبل، وهذا ما يهم». ثمّ ذكر أنّ تشافي وانيستا هما أفضل اللاعبينَ في

العالَـم، وأنّه نادم على عدم معانقتهما بعد إعلان النتيجة، لكنّه أوضح أنّه كان مصدومًا، وأنّ قدميه كانتا ترتجفان.

وفـي معرض ردّه على بعض وسائل الإعـلام والصحافة بخصوص شعوره بعـد فـوزه بالجائزة الجديدة، قـال: «أنا في غايـة السعادة والفخـر. إنّ الفوز بجائزة الكرة الذهبية مرّتين في مثل سنّي هو أمر رائع، أو يجدر بي القول: إنّه أمر غير متوقَّع».

إنّـه يوم الثلاثاء الموافق للثاني عشر من شهـر كانون الثاني عام 2011م. يستعد ملعب كامب نو لاستضافة ربع نهائي بطولة كأس الملك بين البارسا وريال بيتيس. إنّها فرصة للاحتفال مع الأنصـار، ولمشاركة الجائزة مع المخلِصين للنادي. تحتل كرة ذهبيـة عملاقة مصنوعة من بالونات ذهبية دائرة منتصف الملعـب. ليو وتشافي وانيستا على أرض الملعب، إنّهم يستمعون إلى رسائل من عائلاتهـم بوساطـة مكبّرات الصوت. يتقـدّم القائد بويول مـن صاحب الرقم (10)، مقدِّمًـا له الكرة الذهبية. يرفع ميسي الجائزة، ويلوّح للجمهور، ويلتقط الصور فيما يصفِّق له المدرِّبون والطاقم. يصفِّق الملعب بأكمله ويهتف.

بعدها بخمس وثمانين دقيقة، تعلو الأصوات بصورة أكبر مردِّدة: «ميسي! ميسي! ميسي!». لقد احتفل البرغوث على طريقته المفضّلة بتسجيل هاتريك.

الفصل التاسع والثلاثون

إنّه الأفضل

الثامن والعشرون من أيار عام 2011م

ما الذي يمكن قوله؟ ماذا يمكن أن نقول أكثر عن ميسي بعد نهائي ويمبلي؟ كلّ ما تبقّى علينا قوله عن ميسي، هو أنّه الأفضل ببساطة. حكم حظي بإجماع الكلّ، لدرجة أنّ وسائل الإعلام الإنجليزية والأرجنتينية اتفقت أول مرّة، واستخدمت كلمة «الملك» لوصفه. فقد عنونت صحيفة أوليه صدر صفحتها الأولى بعبارة «فليحمِ الله الملكَ»، راكبةً موجة الإعجاب التي تحظى بها العائلة البريطانية الحاكمة، في حين كتبت صحيفة ذا سنداي تايمز: «حكم الملك ميسي». ولا ننسى لحظة تتويجه «ملكًا لأوروبا» عام 2009م، حين تجرّأ أحد الأنصار على منحه لقب ملك إسبانيا في نهائي فالنسيا (بطولة كأس الملك)، على الرغم من وجود الملك خوان كارلوس نفسه على مقاعد المدرّجات.

قدّم البرغوث أداءً راقيًا في معقل الكرة الإنجليزية، كان أداءً فنيًّا راقيًا حقًّا، فيما غادر البريطانيون الملعب مقتنعين أنّهم شهدوا توًّا ما يمكن أن يُسمّى كرة قدم جميلة بحقّ. إنّها مباراة ستحكي عنها الأجيال. أداء منحه لقب أفضل لاعب في المباراة وطئت قدماه أرض الملعب، أداء اضطر وسائل الإعلام إلى البوح بكلّ ما في جعبتها من مفردات؛ لتتمكّن من وصفه. أداء جعل صحيفة ذا

غارديـان تشبِّهه بالأداء الذي قدَّمه نيانـدور هيديغويتي على الملعب نفسه، حين سجّل هاتريك ليقود منتخب المجر إلى الفوز على إنجلترا في خريف عام 1953م.

إنّ الأهـم من ذلك كلّه هو الأداء الجماعي الـذي قدَّمه ميسي. فقد أوجد المساحات، وخلخل خطوط الدفاع؛ بغية تدعيم جبهة البارسا، وإحباط الخطة التـي انتهجهـا مانشستـر يونايتد. لقـد استخدم مختلـف أنـواع الذخيرة التي بحوزتـه: الجري السريع، والإمرار من الأطراف تفاديًـا للمنافس، والتمريرات الحاسمـة، والمحـاولات المتكـرّرة لدكّ شبـاك المرمى. ونجح فـي جعل دفاع «الحُمْـر» يستنزف طاقته في الجري، وزاد مـن وتيرة مناوراته ومراوغاته حتى عَـدَّه كلٌّ مـن فيديتش وإيفـرا كابوسًا مزعِجًـا يقض مضجعهمـا. وقد اعترف مدرِّب الشياطين الحُمْر السير أليكس فيرغسون بذلك، في المؤتمر الذي أعقب المبـاراة، قائلًا: «بصراحة، لم نتمكّن من فرض الرقابة على ميسي، كان ذلك بمنزلـة إنـذار واضح بالنسبة إلينـا. لم نستطع إغلاق منطقـة الوسط بصورة كافية تسمح لنا بصدّ هجماتهم».

بـدا البرغوث في بداية المباراة محاصَرًا في ملعبـه، شأنه في ذلك شأن بقية أفراد الفريق. وقد حاول ثلاث مرّات على التوالي خطف الكرة من بارك... لكنّـه تمكّن في الرابعة من المراوغـة ليبدأ البارسا أخيرًا بفرض سيطرته على الملعـب، واختـراق خطّ دفـاع مانشستر يونايتـد وتدميره، مـع المحافظة على أسلوبـه المميَّز، وطريقة لعبه الاستثنائية. نادرًا ما يجري ذلك في نهائي دوري الأبطال. وقد اعترف فيرغسون بذلك قائلًا: «لم يتمكّن أحد من اكتساحنا على هذا النحو من قبل».

عمل ليو إلى جانب تشافي وانيستا، وبدأ ثلاثي الأحلام بإحداث الأضرار، والسيطـرة على الكـرة، حارمينَ مانشستـر يونايتد من أيّ فرصـة. لقد تمكّن الثلاثة من إمتاع الجمهور بإبداعاتهم ودقتهم وسرعتهم.

استطــاع وايــن روني تعديـل النتيجة (كان بيــدرو قد مَنَــحَ البارسا هدف السبــق) بمراوغــة رائعة علــى يمين فيكتور فالديــز، مانحًا أنصــار ناديه أملًا مؤقّتــا. لكنّ ذلك لم يَعْدُ كونه وهمًــا لا يقارَن بما أنجزه البلاوغرانا في الشوط الأول، وبمــا سينجزونه لاحقًا. كلّ ما يحتاجون إليه هو إيجاد التألق من جديد، بإمرار الكرة إلــى الأمام والخلف، والضغط على الخصم بكلّ ما أوتوا من قوة. إنّهم في حاجة إلى وضع حدّ للأمر برمّته، ومَنْ أقدر على فعل ذلك مِن ميسي؟!

نعــود إلى الساحريْنِ الموجوديْــنِ في منطقة خطّ الوسط؛ إذ يمرِّر تشافي الكــرة إلــى انيستا الذي يمرِّرهــا بدوره إلى ميســي. يبدو أنّهــا تمريرة لا تفوح منهــا رائحة الخطورة؛ إنّها واحدة من (812) تمريرة للبارسا في هذه المباراة (726 منها صحيحة، والـ 86 المتبقية خطأ). يبعد ليو (35) ياردة عن المرمى. يلمس الكرة ثلاث مرّات، ويتحرّك في العمق لتصبح المسافة (20) ياردة قبل أن يستشعــر دفــاع اليونايتد الخطــر. يحاول إيفرا الاقتراب، لكــنّ ليو يتخطّاه، ثــمّ يُسدِّد بمهــارة وقوة. لقد كانــت تسديدة بالقدم اليسرى مــن خارج منطقة الجــزاء. يلمح صاحــب الأربعين عامًا فان دير سار الكــرة متأخرًا في آخر يوم من مسيرته الطويلة والمجيدة. لا يملك وقتًا للردّ. يقفز ويمدّ جسمه إلى أقصى مــا يستطيع، لكنّ الكــرة ترتد عن الأرضــ، وتميل لتدخل المرمــى. قال ميسي فيمــا بعــد: «كان لديَّ بعض المساحــة للمناورة، ثمّ تقــدَّم الحارس عن مرماه، ومــن حسن حظــي أنّ الكرة هزّت الشباك». لم يكن ذلــك أجمل أهداف ليو مع البارســا، لكنّــه احتفل به كما لــم يحتفل من قبل؛ فهو هدف وضــع البارسا في المقدّمة في الوقت المناسب. بدأت آمال مشجعي اليونايتد بالتلاشي، حتى قبل أن يؤكّد ديفيد فيا الانتصار لاحقًا بهدف من تسديدة مقوّسة بدقة.

صــرخ ليو كالمجنون بعد تسجيلــه الهدف، ثمّ ركل ميكروفونًا منصوبًا في أثناء توجُّهه إلى الراية الركنية، وركل لوحة إعلانية، ولولا أنّ زملاءه في الفريق أمسكوه وعانقوه، لواصل طريقه للاحتفال مع أنصار البارسا على المدرّجات.

لقد سجّل (53) هدفًا في (54) مباراةً خاضها هذا الموسم (31 في الدوري، و 12 في دوري الأبطال، و7 في بطولة كأس الملك، و3 في كأس السوبر الإسباني). وبذا، تساوى بالرصيد مع كريستيانو رونالدو الذي تُوِّج هدّافًا للدوري الإسباني برصيد (40) هدفًا، وهو أمر ليس ذا أهمية للبرغوث الذي يفضّل إحراز البطولات على الألقاب الفردية.

لقد احتل صدارة هدّافي دوري الأبطال برصيد (12) هدفًا، معادِلًا الرقم القياسي الذي بحوزة رود فان نيستلروي. وكان الهولندي قد أحرز عدد الأهداف نفسه رفقة مانشستر يونايتد، في موسم 2002م–2003م. يُذكَر أنّ ميسي تمكّن من التربُّع على عرش هدّافي دوري الأبطال للسنة الثالثة على التوالي. وكان قد أحرز اللقب في موسم 2008م–2009م برصيد تسعة أهداف، وتُوِّج به أيضًا في موسم 2009م–2010م برصيد ثمانية أهداف على الرغم من خروج البارسا من نصف النهائي. يُشار إلى أنّ «القاذفة الألمانية» غيرد مولر، والفرنسي جان بيير بابان، هما اللاعبان الوحيدان اللذان حقّقا هذا الإنجاز من قبلُ.

لقد سجّل (39) هدفًا في (59) مباراة في دوري الأبطال، وذلك يُعَدّ إنجازًا عظيمًا. ليس ذلك وحسب؛ فقد نجح في التسجيل، وكسر النحس الذي لازمه في ثماني مباريات سابقة على الأراضي الإنجليزية. وتعقيبًا على ذلك، قال البرغوث لاحقًا: «قال غابي ميليتو: إنّني سأُنهي صيامي عن التسجيل في الملاعب الإنجليزية في تلك المباراة تحديدًا، ومن حسن حظي أنّني نجحت. إنّ تسجيل هدف في النهائي مرّة أُخرى، ومساعدة الفريق على الظفر بلقب مهم، هو أمر غاية في الروعة، وآمل أنّ الجماهير استمتعت به».

ليو ذو الثلاثة والعشرين ربيعًا، هو هدّاف دوري الأبطال للمرّة الثالثة، ناهيك عن فوزه بأربعة عشر لقبًا أُخرى. ولكن، بعيدًا عن الألقاب والإحصائيات،

فكلّ ذلك لا يعني شيئًا ساعة الجدّ؛ فميسي يَظهر عند الحاجة، ودائمًا ما يقلب المباريات رأسًا على عقب، ويلعب بأقصى جهده.

قال بيب غوارديولا بعد النهائي: «إنّه أفضل لاعب رأيته على الإطلاق، وأعتقد أنّني لن أُشاهد له مثيلًا في المستقبل. باستطاعتنا التنافس على أعلى المستويات، لكنّنا لم نكن لنلعب بهذا المستوى الرفيع لولاه. لقد أثبتنا للجميع أنّه يمكننا بذل قصارى جهدنا، فلدينا الموهبة، لدينا ميسي. إنّه لاعب فريد من الصعب الإتيان بمثله. أتمنى ألّا يتسلّل الملل إلى نفسه، وأن نتمكّن من الاستمرار في توفير سبل الراحة له، وأن يواصل النادي إحاطته باللاعبين المميّزين. أتمنى أيضًا أن يظل سعيدًا في حياته العملية؛ ليواصل تحقيق مزيد من النجاح».

لم يفشل ميسي يومًا، ولم يشعر بالملل، ولا حتى لدقيقة واحدة؛ سواء في مباراة ويمبلي، أو في موسم 2010م-2011م، وهو موسم تميَّز بالصراع الثنائي الأبدي مع ريال مدريد وكريستيانو رونالدو، موسم شهد خمس مباريات كلاسيكو، أُقيمت أربع منها في شهر واحد حافل بالأحداث.

كانت المواجهة الأولى يوم الإثنين الموافق التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني عام 2010م؛ وهو توقيت غير معتاد بسبب الانتخابات العامة لإقليم كاتالونيا المزمع إقامتها يوم الأحد. لذا، كان من الأفضل الابتعاد عن السياسة وإرهاصاتها في تلك الحالة. أشارت الإعلانات الخاصة بالمباراة إلى أنّها ستكون أول كلاسيكو متقارب المستوى منذ أعوام، في إشارة إلى ميل ميزان القوى إلى ريال مدريد، بعد أن كان يصب في مصلحة برشلونة سنوات. لماذا؟ لأنّهم يدَّعون أنّ كريستيانو هو أفضل من ميسي، وأنّ أوزيل عبقري، ولأنّ دي ماريا وبنزيمة من أفضل المهاجمين، ولأنّ مورينيو ليس مانويل بيليغريني ولا بيرند شوستر، ليس خواندي راموس ولا فابيو كابيللو.

كان المـدرِّب البرتغالـي هو مَنْ حطم جهود البلاوغرانـا في أثناء قيادته نـادي الإنتر قبل ستة أشهر، حارمًا غوارديولا وفريقه تذكرةَ الوصول إلى نهائي دوري الأبطال في مدريد. إنّه الرجل الذي اختاره رئيس نادي ريال مدريد لإبطال سحر الكاتالان. مدرِّب يشكِّك مِن على قمّة هرم ترتيب الفرق في الدوري (من دون هزيمة، برصيد (32) نقطة، متقدّمًا على البارسا بنقطة واحدة) بالنجاح الذي حقَّقه البارسا، متهِمًا الحكام والفرق الأُخرى بالتساهل معه.

دعاية معتادة من الرجل الخاص، وتبجّح يكلِّفه غاليًا. ومع نهاية ليلة باردة ماطـرة على كامب نـو، كان يمكن لأهـداف البارسا الخمسة أن تكـون ستة، أو سبعـة، أو حتـى ثمانية بمنتهى السهولة، ومـن دون أن يتمكّن أحد من التشكيك فـي الانتصار. لقد تلاعـب البارسا بالريال في الاتجاهـات جميعها. لقد طوى النسيـان الكـرة التـي سدَّدها كريستيانـو رونالدو مـن على بُعْـد (45) ياردة، وحفّـت عارضة فكتور فالديز مـن الجهة الخارجية، وكذا دفعـه غوارديولا بعد حالـة تسلّل؛ وهي حالة أفضت إلى بعض اللغـط والنقاش بين المدرِّبين. يترك (كريستيانـو) برشلونة مـن دون تسجيل ولو هدفًا واحدًا فـي المباريات الست التي خاضها ضدهم.

لـم يتمكّـن ميسي أيضًا من التسجيـل، منهِيًا بذلك سلسلـة من الأهداف امتـدت إلـى عشر مباريـات، لكنّه كان كريمًـا بصنع الهدفيْـنِ: الثالث والرابع لديفيـد فيـا بدقة متناهيـة. وتلاعب البرغـوث بكارفاليو ولاسانـا ديارا وبيبي وسيرخيـو راموس الذي تلقّـى بطاقة حمراء في الدقيقـة الثانية والتسعين بعد سجـال عنيف مـع الأرجنتينـي، وتوجيه لكمات لكلّ مـن: تشافي وبويـول. فَقَدَ راموس السيطرة على أعصابه، وهو أمر متوقَّع في ظلّ مباراة غلب عليها التوتر والانفعـال، خاصة لدى اقتناع الريال بأنّ الخطـة التي انتهجها مورينو ما زالت فـي طور التطـوّر، وأن أفكاره في حاجـة إلى التعديل، وأنّه مـا زال يجهل كيفية

التغلُّب على الغريم الأزلي. أمّا الأمر المثير للاهتمام فكان خسارة فريق يدرِّبه مورينيو بنتيجة (0-5)، وهو أمر لم يحدث من قبلُ.

اتَّسم المدرِّب بالهدوء - أول مرّة- في أثناء انعقاد المؤتمر الصحفي، قائلًا: «إنّها هزيمة من السهل تخطيها. إنّها لا تماثِل تلك المباريات التي خسرناها (مع أنّنا كنّا نستحق النصر)، أو نجحنا فيها بالوصول إلى المرمى كثيرًا. كان هناك فريقان، أحدهما لعب جيدًا، والآخر لم يكن موفَّقًا في اللعب. يتعيّن علينا التحلّي ببعض المنطق؛ يمكنك أن تبكي سعادة عندما تفوز بألقاب مهمة. ولكن، عندما تخسر بالطريقة التي خسرنا بها اليوم، فلا يحقّ لك البكاء، ويتعيّن عليك تكملة المشوار. سنعود أقوى ممّا كنّا». ولكن، يتعيّن على هذا الرجل الخاص الانتظار حتى السادس عشر من شهر نيسان عام 2011م؛ موعد المواجهة الثانية مع البارسا، والمواجهة الأولى في ماراثون من مباريات الكلاسيكو.

استطاع أفراد فريق بيب الحفاظ على صدارة الترتيب من التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني حتى نهاية الدوري. لقد تمكّنوا من كسر الرقم الذي كان قد حقَّقه ريال مدريد في موسم 1960م-1961م (فريق ضم بوشكاش، ودي ستيفانو، وجينتو، وسانتا ماريا) بتسجيل (16) انتصارًا على التوالي، مبتعِدًا عن الغريم الأزلي بفارق (8) نقاط. وفي الثاني عشر من شهر نيسان؛ أي قبل أربعة أيام من الكلاسيكو الثاني، تمكّن البارسا من هزيمة شاختار دونيتسك ذهابًا بنتيجة (0-1)، وإيابًا بنتيجة (0-5)، ليصل بذلك إلى نصف النهائي، حيث شاءت الأقدار أن يصطدم بريال مدريد الذي نجح بتخطي نادي ليون في ثُمن النهائي، وتوتنهام هوتسبيرز في ربع النهائي بسهولة (0-4) في البرنابيو، و (0-1) على ملعب وايت هارت لين). إذن، لدينا الآن مباراتان أُخريان، إضافة إلى مباراتي الدوري الإسباني، حيث من المقرّر أن

يلتقي الفريقان في ذهاب نصف نهائي دوري الأبطال في السابع والعشرين من شهر نيسان، في حين تُلعب مباراة الإياب في الثالث من شهر أيار. يضاف إليها مباراة خامسة في نهائي بطولة كأس الملك تُقام في العشرين من شهر نيسان.

لنبدأ في مباراة الجولة الثانية والثلاثين من الليغا، التي تُعَدّ الأمل الأخير لفريـق مورينيو للمنافسة على اللقب. ثماني نقاط فرق كبير. ولكن، مَنْ يدري؟ فـإذا تمكّـن الريال من الفوز فقد ينجح في تحطيـم معنويات غريمه، وقد يؤثّر فيمـا تبقّـى مـن الموسم. يُذكَـر أنّ الريال عانى خسارة مريـرة أمام سبورتينغ (خيخـون) في الثالث من شهر نيسان أبعدته عن المنافسة، خسارة هي الأولى لمورينيـو علـى أرضه خلال تسعـة أعوام. لكـنّ للكلاسيكو حسابـات مختلفة؛ فمورينيو حضَّر للمباراة بعرض مسرحي من إنتاجه.

لقـد ظهر في الليلة التـي سبقت المباراة، في القاعـة الصحفية بضاحية فالديبيباسـ بمدريد، لكنّه لا ينبس ببنت شفة، تـاركًا مهمة الحديث لمساعده إيتور كارانكا. إنّه لا يقوم حتى بتحية الصحفيين الذين يغادر بعضهم احتجاجًا. رَدّ غوارديولا على صمت منافسه بإغداق المديح على الريال: «لم أعرف فريقًا لريـال مدريد أكثر روعـة وتميُّزًا من الفريق الحالي. يمكـن للاعبيه نقل الكرة مـن مرمى كاسياس إلـى مرمى المنافس في غضون أربـع أو خمس ثوانٍ. إنّهم أفضـل وأقـوى ممّا كانوا عليه حيـن تقابلنا آخر مرّة. يسـدِّدون أكثر، ويمرِّرون أكثـر، ويلعبـون ضمن الفريـق بصورة أكبر منـذ النصف الثاني مـن الموسم. ويستخدمـون تكتيـكات متنوعة تجعل السيطـرة عليهم أمرًا أكثـر صعوبة». ثمّ يضيف واصفًا مدرِّبهم: «مورينيـو قوي جدًّا. إنّه يجيد اللعب بأساليب مختلفة. يتعيّن علينا أن نكون يقظين؛ لأنّهم يعرفون طريقتنا في الدفاع والهجوم».

زاد حضور البرتغالي من السخونة والتوتر اللذيْنِ يميِّزان الأجواء. سيكون

– من دون شكّ– البطل الحاسم في مباراة الكلاسيكو خارج الملعب. أمّا على أرض الملعب، فذلك دور ميسي. نجح صاحب الرقم (10) في تسجيل (48) هدفًا في (45) مباراة لعبها هذا الموسم. إنّه أكثر لاعبي البارسا تسجيلًا في موسم واحد، بعدما نجح في تحطيم الرقم الذي حقَّقه البرازيلي رونالدو مع الفريق في موسم 1996م–1997م بقيادة بوبي روبسون. وأنّه متقدِّم على كريستيانو رونالدو بثلاثة عشر هدفًا. قام البرغوث أيضًا بصنع (18) هدفًا مقارنة بِـ (7) أهداف صنعها كريستيانو، و(43) اختراقًا ناجحًا مقابل (34) اختراقًا للبرتغالي، لكنّ مشاركته في الفريق تتعدّى مجرّد الأرقام. يؤكِّد فكتور فالديز هذا الأمر بقوله: «يمنحنى ميسي أكثر من مجرّد الأهداف؛ إنّه يدعم الفريق دفاعيًّا وهجوميًّا. عمله الدؤوب يوجِد جوًّا إيجابيًّا للجميع».

إنّه يُظهِر مهارةً وعملًا جماعيًّا أكبر كلّما لعب. يندمج في الأجواء بصورة أكبر، ويعرف متى يسرِّع وتيرة اللعب، ومتى يبطِّئها. يشرح غوارديولا ذلك قائلًا: «إنّه يحوِّل ما هو عادي إلى شيء استثنائي». لكنّه لم ينجح في التسجيل في مرمى فريق يدرِّبه مورينيو، حيث ستكون هذه المباراة هي التاسعة في المواجهات بين الرجلين.

يقرِّر الحكم ركلة جزاء في الدقيقة الثانية والخمسين. فقد عرقل إلبيول ديفيد فيا أمام المرمى، فتلقّى بطاقة حمراء، وميسي – كما هو معروف– لا يضيِّع ركلات الجزاء. وكذا فعل غريمه كريستيانو رونالدو في الدقيقة الثانية والثمانين؛ ركلة جزاء أُخرى تعدِّل النتيجة. إنّه هدفه الأول في مرمى البارسا في المباراة السابعة التي يخوضها أمامهم.

انتهت المباراة الهزيلة بالتعادل (1–1). فقد تقوقع الريال فيما تبقّى من دقائق في منطقته الخلفية؛ خشية استقبال هدف ثانٍ، وقد نجح في ذلك

مـن جرّاء تطبيقه أسلـوب الكاتيناتشو (مصطلح إيطالـي يعني مزلاج الباب) الدفاعـي المشهـور لـدى الطليان. الطريقـة الوحيـدة للفوز عنـد اللعب بهذا الأسلـوب، هي الاعتمـاد على الهجمـات المرتدة. وعلى الرغم مـن التقدُّم في البداية، والوقت المضاف في النهاية، إلّا أنّ البارسا فشل في تحقيق الفوز. لقد كان تعادلًا وضع البارسا قاب قوسين أو أدنى من الفوز بالدوري الإسباني للمرّة الحاديـة والعشرين، وزاد من ثقة الريال فـي الاستحقاقات القادمة؛ ثقة كبيرة جعلت جماهير البرنابيو تحتفي بالتعادل كما لو أنّ فريقها قد حقَّق انتصارًا.

كانت مباراة شاقة أثارت الكثير من الجدل؛ جدل بدأه مورينيو الذي انتقد الحكـم فـي المؤتمر الصحفي، وأشـار إلى وجود مؤامرة تُحـاك ضد أيّ فريق يدرِّبـه؛ سواء تشيلسـي، أو الإنتر، أو الريال: «سئمت مـن إنهاء المباريات أمام البارسا بعشرة لاعبين. كانت مباراة متوازنة عندما كنّا نلعب بأحد عشر لاعبًا. وكمـا جرى عليه الحال، أصبحت المهمـة مستحيلة عندما تلعب بعشرة لاعبين أمام فريق يمتلك أفضل استحواذ على الكرة في العالَم. لقد شهدت مرّة أُخرى على تحيُّز الحكام».

بعيـدًا عـن مورينيو، هنـاك أمر آخـر يثير الجـدل، ويخصّ ميسي هذه المرّة، بعدما ركل الكرة في اتجاه المدرّجات. فبعد أن فلتت منه الكرة، وتعدّت خـطّ الجانب، وبدلًا مـن تركها، أخذ يسدِّدها صـوب المدرّجات لتصيب بعض الجماهيـر. لم يوجِّـه إليه الحكـم أيّ تحذير، لكنّ الجماهيـر تصرخ غاضبة. فيسرع بيبي نحـوه، ويسأله: «أمجنون أنت؟». الجمهور في حيرة لا يكاد يصدّق مـا رآه توًّا. ما الذي أصاب فتى روزاريو الذي نادرًا ما يفقد أعصابه على أرض الملعب؟ لماذا قام بحركة مشينة مثل تلك؟

لا يوضِّح ليو هذا الأمر، ولا يبدو عليه الندم حيال ما فعل. وفي هذه الأثناء، اندفع زمـلاؤه لحمايته. وقد عزوا الأمر إلى التوتر الشديد الذي يسود الملعب،

إلـى جانـب الرقابـة اللصيقة التـي يفرضها عليه بيبـي، فضلًا عـن الأخطاء الخمسة التي ارتكبها ضده لاعبو خطّ وسط الريال من دون الحصول على إنذار واحد. يستمر هذا المسلسل الطويل، وتستمر معه الأحداث نفسها.

إنّـه العشـرون من شهر نيسان، موعـد مباراة نهائي بطولـة كأس الملك. يمكننا تقسيم المباراة إلى ثلاثة أجزاء: شوط أول رائع للريال، وسيطرة مطلقة للبارسـا في الشـوط الثاني، وشوطـان إضافيـان يمنحان كريستيانـو رونالدو ومدرِّبه النصرَ.

التفّ صاحـب الرقم (7) حول أدريانو، محـوِّلًا عرضية دي ماريا الملتفة إلـى المرمى بقوة. إنّه هدف الفوز الذي منـح الريال لقب كأس الملك أول مرّة منذ (18) عامًا.

أيـن كان ميسي؟ توضِّـح صحيفة إل بابيس أداء البرغـوث بالآتي: «كان يائسًـا. لقـد حاول صنع الحدث أينمـا تحرّك في خطّ الهجـوم، لكنّ الحظ لم يحالفـه قطّ؛ إذ نجـح دفاع الريـال في التصـدي لمراوغاته كلّهـا. لقد تحكّم البرغـوث في المباراة على نحوٍ مبالَغ فيه. ومـع أنّ الفريق لم يتمكّن من تدوير الكـرة في أثناء الشوط الأول، لكن الحال تغيّر في الشوط الثاني، وتمكّن لاعبوه من إمرار كـرات رائعة إلى بيدرو في العمق. ولكن، يا للأسف! فالهدف الوحيد الـذي تمكّن هذا الأخير من تسجيله أُلغِـي بداعي التسلّل. في نهاية الأمر، عمد علـى استغلال موقعـه قائدًا للفريق، فـي محاولة للسيطرة علـى اللعب بصورة مبالَـغ فيها، وذلك أتاح للريال حسم المباراة». إنّه تقييم عادل، وإنّه أول نهائي يخسره البارسا بقيادة غوارديولا.

ستقـام مبـاراة ذهاب نصف نهائـي دوري الأبطـال بعد المبـاراة الآنفة الذكـر بأسبـوع. استشاط بيـب غوارديولا غضبًا فـي أثناء المؤتمـر الصحفي

الـذي سبق مباراة البرنابيـو. وكان مورينيو قد وجَّه إليه رسائـل بشأن مستوى التحكيم في مباراة ملعب ميستايا (نهائي بطولة كأس الملك)، والحكم المختار لقيـادة نصف النهائي. انفجر غوارديـولا، وتحدث بحنق أكثر من دقيقتين؛ إنّه أسلـوب لم نألفه من المدرِّب الشـاب الذي استهلّ حديثه قائـلًا: «لأنّ مورينيو رفع التكليف، وناداني «بيب»، فسأدعوه «جوزيه». لدينا مباراة نلعبها مساء الغد عند الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة. لقد أحرز انتصارات خارج الملعب منـذ بداية الموسم. فليفز بدوري الأبطـال. بإمكانه أخذ الكأس معه إلى البيت إن أراد. سنلعـب؛ سواء فزنـا، أو خسرنا. إنّه يفوز عـادة؛ لأنّ مستقبله المهني مضمـون في النهاية. أمّا نحـن فسعداء بالانتصارات الصغيـرة التي نحقِّقها، وتدخِل السعادة في قلوب الجميع، إنّنا سعداء وراضون. إنّه الرئيس الملعون في هـذه الغرفة؛ الأستاذ اللعين. إنّه يفقه أكثر مـن الآخرين ولو اجتمعوا. لا يوجد لديّ أدنى رغبة لمنافسته في مجاله».

كان ليونيـل ميسـي هو الأستاذ علـى أرض الملعب في اليـوم اللاحق. أمّا مورينيو فأستاذ في المؤتمر الصحفي بطبيعة الحال. لعبتان ناجحتان، وهدفان مـن الأرجنتيني الـذي نجح في تدمير ريال مدريد، الـذي يلعب بتحفّظ دفاعي واضـح. حـاول البلانكوس وقـف ميسي منـذ البدايـة، لكنّه لم يحـاول فرض أسلوبه، لدرجة جعلت كريستيانو رونالدو يشير بيأس إلى زملائه بعد ربع ساعة من اللعب كي يتركوا مواقعهم ويساندوه في صنع الفرص. كان كريستيانو نفسه هو مَنْ صنع أخطر فرصة للريال قبل نهاية الشوط الأول بقليل. فقد سدَّد الكرة بقـوة من مسافـة بعيدة جدًّا، مُزعِجًا فكتـور فالديز، وهو إزعـاج لم يتكرّر في المبـاراة إلّا لاحقًـا بتسديدة من أوزيل. ولكن، حتى تلـك اللحظة، كانت فرصة رونالدو هي الوحيدة الجديرة بالذكر.

على الطرف الآخر، نجد ميسي يلعب في العمق كأنّه لاعب خطّ وسط بسبب الرقابة المفروضة عليه؛ بغية إبعاده عن منطقة الجزاء، حيث يمكنه إحداث الأضرار. أمضى الوقت بالجري والمراوغة اللذيْنِ لم يسفرا عن شيء. لكنّ الوضع تغيّر في الدقيقة الستين حين أعاق بيبي داني ألفيش بعنف، فنال بطاقة حمراء. لم تُثنِ مناقشاته الحكم الألماني فولف غانغ ستارك عن العدول عن رأيه. لم يتردّد الحكم أيضًا في طرد مورينيو إلى المدرّجات بعدها بدقيقتين نتيجة رَدّة فعل مبالَغ فيها من طرف هذا الأخير.

يلعب فريق البارسا الآن بصفوف كاملة أمام فريق الريال المنقوص، وقد تمكّن ليو من الوصول إلى منطقة جزاء المنافس، ثمّ حام بين لاعبي الريال في الدقيقة السابعة والسبعين كنحلة لا مبالية ليصل إلى حافة منطقة الجزاء، ويسدِّد. ارتدّت الكرة، لتصل إلى تشافي الذي يمرِّرها نحو أفيلاي على الجناح، فيجري لاعب الوسط الهولندي، ويلعبها عرضية من عند الراية الركنية في اتجاه نقطة الجزاء. وفي هذه اللحظة، يسبق ميسي سيرخيو راموس في الوصول إلى الكرة، فيغمزها بطرف قدمه في المرمى، لتصبح النتيجة (1-0). ثمّ يعاود البرغوث الكَرّة بعد عشر دقائق. الأمر أكثر روعة هذه المرّة؛ إذ انطلق من دائرة الوسط، ثمّ مرَّر الكرة إلى بوسكيتس الذي أعادها إليه، ليتسلمها ويبدأ مشوارًا متعرِّجًا، متجاوزًا راموس، ومتخلِّصًا من إلبيول، ثمّ غيَّر الاتجاه، ودخل منطقة الجزاء، وأخذ يراوغ مارسيلو، ثمّ وضع الكرة في المرمى على نحوٍ رائع قبل أن يتمكّن راموس من اللحاق به.

انتهت المباراة، وكان ميسي أستاذًا بحقّ في هذه المباراة تحديدًا. وفي المقابل، فقد تفوَّق مورينيو على نفسه مرّة أُخرى في فنون الاستفزاز، وأصر على تزعُّم المؤتمر الصحفي، قائلًا: «لقد أُقصي ريال مدريد من دوري الأبطال. سوف نذهب إلى كامب نو برؤوس مرتفعة، وباحترام كامل لعالَم كرة القدم

الـذي نعيش فيه، مع أنّـه عالَم يشعرني بالاشمئزاز في كثير من الأحيان. سوف نذهـب من دون بيبي الذي لم يقترف أيّ خطأ طوال المباراة، ومن دون راموس الـذي لم يرتكب خطـأً هو الآخر، ومن دون المدرِّب الذي لن يُسمح له بالجلوس على الدكّة... وبنتيجة لا يمكن تعديلها. وفي حال تمكّنا هناك من تسجيل هدف، وأنعشنـا فرصتنا بأيّ شكل من الأشكال، فأنا متأكّـد أنّهم سيسحقون أحلامنا مـرّة أُخرى. سؤالي هو: لماذا؟ لماذا لا يُسمَح للفرق الأُخرى بمنافستهم؟ أنا لا أفهم الأمر! لو قلت للحكم والاتحاد الأوروبي رأيي فيما حصل اليوم هنا لانتهت مسيرتـي المهنية في الحـال. لا أعرف إذا كان الأمر يتعلّـق برعايتهم لمنظمة اليونيسيـف، أو بابتسامتهم الأكثـر عذوبة، أو بفيار (رئيـس الاتحاد الإسباني لكـرة القدم) الذي يحظى بسطوة كبيرة على الاتحاد الأوروبي. في واقع الأمر، إنّهم يمتلكون شيئًا يصعب التغلّب عليه؛ ألا وهو النفوذ.

لمـاذا طُرِد بيبي؟ لمـاذا لم يُمنَح تشيلسي أربـع ركلات جزاء يستحقها؟ لمـاذا طُرِد فان بيرسـي؟ لماذا طُرِد موتـا؟ من أين يأتون بذلـك النفوذ كلّه؟ يجـب أن يكون نفوذهـم نابعًا من مهارتهـم في كرة القدم؛ فهـم يمتلكون تلك المهـارة، ويجب أن يفـوزوا بسببها. على المرء أن يكون حقيـرًا ليستمتع بذلك النـوع مـن الانتصـارات. غوارديولا مدرِّب عظيـم، لكنّه فـاز ببطولة في دوري الأبطـال بطريقة أخجـل أن أفوز بها. فاز بها بفضـل فضيحة جرت على ملعب ستامفـورد بريدج. وسوف يفوز هذا العام ببطولة ثانية بفضل فضيحة ستجري علـى ملعب البرنابيو. لذا، أتمنى أن يحظى غوارديولا يومًا بفرصة الفوز بدوري الأبطال على نحوٍ مشرِّف ونظيف؛ فهو يستحق ذلك».

قـدَّم مورينيـو عرضًـا مميَّزًا. لقـد ألقى خطبـة شديدة اللهجـة ستكلِّفه غاليًـا مرّة أُخرى. فقـد غرَّمته لجنة الانضباط التابعة للاتحـاد الأوروبي مبلغ (50,000) يـورو في السادس من شهر أيار، وأوقفته خمس مباريات، بما في ذلك تلك المباراة.

فــي يــوم الثالث من شهــر أيار – موعد إياب نصــف النهائي في كامب نو – اختفــى مورينيو عــن المدرّجات، لكنّه كان يشاهد المبــاراة عن طريق التلفاز من غرفته في الفندق. لقد أخذ يتابع فريقه، وهو يلعب بطريقة أكثر جرأةً وطموحًا من بقية مباريات الكلاسيكو. تمكّن لاعبوه من إرغام البارسا على التقوقع في مناطقه الخلفية، وتمكّنوا من محاصرتهم في نصف ملعبهم في ربع الساعة الأولى.

لكنّ البارسا تمكّن من فرض أسلوبه شيئًا فشيئًا. وتمكّن ميسي أخيرًا من الانفــراد بكاسياس الــذي صَدّ ثلاث محاولات بمهارة فائقــة في خمس دقائق، مُبقِيًــا على آمال فريقه. لم يتمكّن ميسي من التسجيل هذه المرّة، لكنّه يواصل الجــري والضغط. ثمّ يتسبّب في تحذير لكارفاليو، وفي بطاقتين صفراوين لكلّ من: ألونسو، وأديبايور. لقد تعرّض للعرقلة (12) مرّة، وبدا محطمًا تمامًا. لقد كان عامــلًا حاسمًا في تأمين بطاقة العبور إلى ويمبلي، في المباراة التي انتهت بنتيجة (1-1) على الرغم من أنّه لم يسجّل.

وفــي الوقت الــذي يحتفل فيه البلاوغرانا بعد شهــر مُضنٍ، انشغل الريال بالشكــوى مــن تحيُّــز الحكم، ومــن وجــود شبكة خفيــة رجَّحت كفّــة غريمهم التقليــدي مرّة أُخرى. واحتــج الريال على الهدف المُلغى الــذي سجّله غونزالو هيغوايــن بحُجَّة وجود خطأ مزعوم على كريستيانو. يبــدو أنّ الجميع قد تعلّموا أسلــوب مورينيو في الخطابات النارية، بــدءًا بكارانكا، وانتهاءً بإيكر كاسياس. وقــد أكّد كريستيانــو رونالدو هذا الأمر بقوله: «هذا هــو الجزء الرابع من فيلم «مهمة مستحيلة». يمتلك البارسا فريقًا عظيمًا، لكنّ أمورًا أُخرى تجري هنا. لا أقصد التلميح إلى وجود فساد ما، لكنّ الأمر يزعجني».

فــي خضــم هذا الصخــب كلّه، ركــب ميسي موجــة السعادة التــي تجتاح ملعــب كامب نو. وعندما بــدا أنّ الإثارة ستطغى على السطــح، اقترب منه بيب غوارديولا، ثمّ عانقه بحرارة.

حـان وقت الاحتفال مرّة أُخرى في الحادي عشر مـن شهر أيار؛ إذ تمكّن البارسـا من الفوز بالـدوري الإسباني للمرّة الثالثة علـى التوالي بعد تعادله مع ليفانتي بنتيجة (1-1) على ملعب سيوداد دي فالنسيا. وقد علّق ميسي على هذه المناسبة، قائلًا: «لقد كان موسمًا صعبًا جدًّا، عملنا فيه بأقصى طاقتنا للتغلّب علـى غريمنا الأزلي ريال مدريد. لقـد واجهتنا ظروف صعبة جدًّا، لكنّنا عرفنا كيف ننتفض، ونصل القمّة».

ولكن، حين تسلّـم ميسي الميكروفون في الاحتفال الذي أُقيم يوم الجمعة علـى كامب نو، صـرخ قائلًا: «مـن الرائع الاحتفـال بالفوز بلقب الـدوري مرّة أُخـرى، لكنّني سأحتفظ بتعليقاتي حتـى التاسع والعشرين حين نعود من لندن. عندها فقط سأخبركم عن شعوري».

وفـى ليـو بوعده قبـل الموعد بيـوم. إنّه فـي ويمبلي والكرة عنـد قدميه. فـرح كثيرًا عندما عرف بشأن الحركة النبيلة التـي ينوي كارلوس بويول القيام بها،؛ إذ قرَّر هـذا الأخير مَنْحَ المدافِع إيريك أبيدال شارةَ القيادة؛ لكي يتمكّن الفرنسي من رفع الكأس. يا له من موقف نبيل حيال الرجل الذي تعافى توًّا من سرطـان الكبد، الذي كان قـد شُخِّص لديه في شهـر آذار الفائت، لكنّه خضع لعملية جراحية، وها هو ذا يعود إلى اللعب في معقل كرة القدم (ملعب ويمبلي)! يحضـن ميسي الكأس ضاحكًا، رافعًـا ثلاث أصابع دلالة على الكؤوس الأوروبية الثـلاث التي فاز بها. ثمّ يخبـر الجميع بأنّها كانت مباراة لن ينساها أبدًا: «كنّا الأفضـل اليـوم، وفزنا بجدارة. إنّ مـا حقّقه هذا الفريق هو أمـر خارق. لست متأكّـدًا إذا كنّـا قـد استوعبنا الأمر حتى هـذه اللحظة. نريد فقـط أن نواصِل الفـوز. والآن، لقـد حـان وقت الإجـازة، أو بالأصـح المشاركة فـي بطولة كوبا أمريكا. ولكن، حالما نعود، سنواصل من حيث انتهينا».

الفصل الأربعون

مع ميسي

حوار مع ليونيل ميسي

أربعــة وعشــرون عامًا عمر قصير. لقـد انتهى الماضي بـكلّ ما حمل من أحـداث. أمّا المستقبل فيبدو أنّه مـا زال بعيدًا. من المبكِّر جدًّا تحديد ملامح المسيرة، ومن الصعب استشراف المستقبل لمعرفة ما ستحمله الأيام القادمة. ولكن، يمكننا دائمًا محاولة فعل ذلك. يوافقنا ليو ميسي الرأي.

يجلس إلـى مكتب فـي صالة تقع في قلـب ملعب كامب نـو، ويبدو كطالب مدرســة على وشك حلّ واجبه البيتـي في الصف. وسيلة مساعدته الوحيدة هي هاتف نقّال موضوع على الطاولة.

لنبدأ.

ما أصعب اللحظات التي واجهْتَها في حياتك؟

«الانتقال من الأرجنتين إلى إسبانيا. فقد تركت مسقط رأسي وأصدقائي وأهلـي. كانت السنوات القليلة الأولى قاسية. كنـت أحيانًا أُقيم في برشلونة مع والـدي، في حين تقيم بقية الأسـرة في روزاريو. كنّا نعاني كثيـرًا. كنت أشتاق إلى ماتياس ورودريغو وأختي الصغيرة وأمي. كنت أبكي وحدي في بيتي؛ لكي لا يراني والدي».

ماذا عن أسعد اللحظات؟

«الألقاب التي فزت بها مع البارسا والمنتخب الأرجنتيني».

وماذا بشأن جائزتي الكرة الذهبية؟

«الجوائز الفردية تدخِل السعادة في قلوب مَن أُحِبّ، إنّها تعويض عن التضحيات التي قامت بها عائلتي. لكنّ الألقاب التي تفرِح مدينة أو بلدًا بأكمله هي أكثر أهمية. إنّها شيء خارق لا يقارَن».

لكنّك ملك العالَم الآن.

«أنا لم أتغيّر، وأشعر أنّني محظوظ كوني جزءًا من فريق عظيم».

هل تخيّلت يومًا أنّك ستحقّق إنجازات رائعة كما فعلت في السنوات القليلة الماضية؟

«لم أتخيّل أن يحدث ذلك كلّه. لم أحلم قطّ بأن تسير الأمور بتلك الطريقة الرائعة».

لنعد إلى الوراء قليلًا: ما أول ذكرياتك الجيدة مع كرة القدم؟

«كانت البداية على ملعب غراندولي، حيث كنّا نلعب في دوري آفي أمام فريق أمانيسير. كانوا يدّعون أنّهم الأفضل، وأنّهم الأبطال. كانت عائلتي بأكملها تشاهدني من المدرّجات. وقد تمكّنتُ من تسجيل أربعة أهداف، أحدها كان جميلًا جدًّا».

لماذا تحبّ كرة القدم على هذا النحو؟

«لا أعرف. بدأت أُحبّها حينما كنت طفلًا، تمامًا كما يفعل الأطفال عادة، وما زلت أستمتع بها كثيرًا حتى الآن».

كيف اكتسبت هذه الثقة في التعامل مع الكرة؟ وكيف تعلَّمت الحركات التي تستخدمها؟

«بقضاء كلّ لحظة من حياتي في لعب كرة القدم. فعندما كنت صغيرًا، كنت أتخذ ركنًا من الملعب وحدي، وأبدأ بركل الكرة باستمرار. لكنّني لا أدرس حركات معيّنة، ولا أخترع الخدع أو ما شابه. فأنا ألعب كما اتفق، ولا أُفكِّر في الأمر».

مَنْ زرع حُبَّ كرة القدم فيك؟

«كانت جدتي سيليا هي أول مَن اصطحبني للعب. كانت تعني الكثير بالنسبة إليَّ، وقد حظيت بمكانة خاصة في قلوبنا جميعًا. كانت امرأة طيبة. أذكر أنّ أيام الأحد كانت احتفالية في بيتها. وقد شكّل أخي رودريغو وابن خالتي مثالين جيدين أيضًا، وقدَّم لي والدي دعمًا منقطع النظير».

هل واجهت صعوبة في بلوغ المكانة التي تحظى بها الآن؟

«يريد الأولاد كافة أن يصبحوا لاعبي كرة قدم، لكنّ النجاح يتطلّب بذل جهد كبير، وتقديم الكثير من التضحيات. تمرّ بالمرء أوقات عصيبة، كتلك التي مرَّت بي حين قرَّرت البقاء في برشلونة... لقد كان خياري. لم يجبرني أحد على اتخاذه. وقد سألني والدي أكثر من مرّة عمّا أودّ فعله. أردت البقاء في أكاديمية الشباب؛ لأنّني كنت أعرف أنّها فرصتي لكي أصبح لاعب كرة قدم. لقد تحمّلت الأمر مُذْ كنت في سنّ صغيرة».

كيف أثَّرت مشكلات النمو وقصر القامة في تطوَّر قدراتك ومهاراتك؟

«كنت طفلًا حينها، ولم أكن أعي ما يجري حولي، باستثناء الحقن التي كنت أتلقّاها في ساقيّ كلّ ليلة. لكنّ صغر حجمي علّمني كيف أتحكّم في الكرة على الأرض، وكيف أكون أكثر نشاطًا وسرعةً من اللاعبين كبار الحجم؛ كي أتمكّن من الحفاظ على الكرة».

أيَ المباريات في مسيرتك تحمل أفضل الذكريات؟

«مباراتـي أمام تشيلسي في دوري الأبطـال، والكلاسيكو ضد ريال مدريد حيـن سجّلت ثلاثة أهداف، وبطبيعة الحال نهائـي بطولة كأس العالَم للشباب، ونصف نهائي أولمبياد بكين أمام البرازيل».

وماذا عن أجمل أهدافك؟

«إذا تحتـم علـيَّ الاختيار الآن فسأختـار الهدف الـذي سجّلته في مرمى رومـا (نهائـي دوري الأبطـال عـام 2009م)، والهدف الذي سجّلتـه في مرمى إستوديانتس (بطولة كأس العالَم للأندية عام 2010م)».

ماذا عن هدفك في مرمى خيتافي؟

«صحيح، لقد كان هدفًا عظيمًا أيضًا».

هل هدفك في مرمى خيتافي هو أجمل ما سجَلت في حياتك؟

«ربّمـا، لكنّني سجّلت بعض الأهداف المشابهـة حين كنت صغيرًا. فحين كنـت في سنّ العاشرة أو الحادية عشرة، لعبت في صفوف نادي نيولز، وسجّلت تلك الأهداف حينها. إنّها مسجّلة على أشرطة فيديو نحتفظ بها في المنزل».

حيـن كنـت في تلك السـنّ، وسـألك الناس عن لاعبـك المفضَـل، كنت ترد قائلًا: «أخي رودريغو وابن خالتي ماكسي». فهل لديك مثل أعلى في كرة القدم؟

«لا، لـم يكن لـديَّ لاعب مفضّل بعينـه، أو مثل أعلى طـوال حياتي. وحين كبـرت بعض الشيء، بـدأت أُحبّ أيمار، كنت معجبًـا بأسلوبه في اللعب. وحين واجهته في فالنسيا، تمكّنت من الحصول على قميصه بعد طول انتظار».

ماذا عن مارادونا؟

«إنّه الأفضل على الإطلاق».

هل شاهدته يلعب في أثناء المدّة القصيرة التي قضاها في روزاريو برفقة نادي نيولز؟

«كنت صغيرًا جدًّا حينها؛ في سنّ السادسة. وقد حضرت أول مباراة له مع الفريق. لكنّني لا أتذكّر الأمر».

هل صحيح أنّ والدك اشترى لك شريط فيديو يحوي أبرز لحظات مارادونا إثارة في عالَم الكرة؟

«لقد شاهدت أهداف دييغو مرّات عدّة، لكنّني لا أذكر الشخص الذي أعطاني الشريط».

بِمَ تشعر حين يقارنك الجميع بمارادونا، وينصّبونك خليفة له؟

«أشعر بسعادة غامرة حينها؛ فأنا بدأت مسيرتي الكروية توًّا، وما زلت في حاجة إلى مزيد من النمو والتعلّم. أُحاول أن أطوِّر من نفسي كلّ يوم، حتى أصبح لاعب كرة قدم أفضل. مارادونا فريد من نوعه، إنّه لاعب لن يتكرَّر مرّة أُخرى».

إجابة متوقعة. فلننتقل إلى موضوع آخر.

ما النصائح التي أسداها إليك مارادونا؟

«لقد نصحني بأن أستمر على المنوال نفسه، وأن أستمتع باللعب، وأعتني بنفسي؛ فمسيرة اللاعب في كرة القدم قصيرة، ما يحتم عليه تطوير نفسه باستمرار وجعلها (المسيرة) تمتد إلى أطول وقت ممكن، يتعيّن عليك دائمًا أن تحافظ على لياقتك».

لندع مارادونا جانبًا، ولنعد قليلًا إلى هدف خيتافي. يقول بعضهم: إنّ ذلك الهدف غيَّرك، فهل هذا صحيح؟

«قـد يظنّ بعضهم ذلك؛ لأنّنـي كنت ألعب فيما مضـى بأسلوب يحمل في طيّاتـه الكثير مـن الاحترام؛ فقد كنت مكبوتًا أمام زملائـي في الفريق، لكنّني بدأت ألعب بأسلوبي الخاص شيئًا فشيئًا».

يتحـدث الجميـع عن طريقتك في اللعب... كيف تصـف لنا هذا الأمر؟ أعرف أنّك تكره هذا السؤال، لكنّني آمل أن تجيب.

«الحديـث عن النفس أمر معقّد؛ فالأفضـل ترك الآخرين يتحدثون عنك. مـاذا يسعنـي أن أقـول؟ إنّني أُحبّ اللعـب خلف المهاجميـن، وإيجاد الفرص، والتسديد كلّما أُتيحت لي الفرصة».

ما أفضل مهاراتك؟

«ربّما تكون تنوّع الإيقاع».

سـؤال آخر مُحيِّر، يتعلّق بالتوتر: بِمَ تُفسِّـر قدرتك على ضبط النفس والنأي بها عن الانفعال والتوتر؟

«عندمـا أدخل أرض الملعـب، لا أصب اهتمامـي على هويـة الخصم أو اللاعب الذي يتولّى مراقبتي. وأكتفي ببذل ما بوسعي، مُحاوِلًا الاستمتاع بوقتي، والإسهام بفاعلية في دعم الفريق».

وماذا عن نادي برشلونة؟

«أنـا هنا منذ أحد عشر عامًـا، وما زلت أشعر بالسعـادة مع الفريق. لقد راهنوا علـيّ عندما كنت في سنّ الثالثة عشرة فقط. أردت الوصول إلى الفريق

الأول، ونجحت في ذلك. أردت الفوز بالكثير من الألقاب بصحبة الفريق، ونجحت في ذلك. ولكن، لا أنسى أنّني شخص واحد فحسب، وأنّني لم أكن لأُحقّق ما حقَّقته لولا المساعدة التي تلقّيتها من زملائي في الفريق».

ماذا بشأن المنتخب الأرجنتيني؟

«إن ارتداء قميص المنتخب أمر عظيم جدًّا بالنسبة إليَّ. صحيح أنّني أعيش على بُعْد آلاف الأميال، إلّا أنّني وددت لو أشارك في المباريات جميعها، وأجلب السعادة لشعبي. من المؤسف أنّني لم أتمكّن من ذلك في جنوب إفريقيا».

حلم لم تُحقّقه بعد: هل تودَ اللعب في الأرجنتين يومًا من الأيام؟

«أعتقد أنّ اللعب لنادٍ في الأرجنتين سيكون أمرًا ممتعًا. لكنّ الوقت ما زال مبكّرًا جدًّا...».

يرنّ جرس الهاتف.

نتوقّف هُنيهة.

إنّه يوم جميل جدًّا، فالسماء صافية، ودرجة الحرارة مرتفعة مع أنّنا في فصل الشتاء. أرضية الملعب خضراء لامعة. وعند طرفه، نجد السيّاح في استراحة في أثناء جولتهم فيه (الملعب)، يستغلونها في التقاط الصور مع مجسّمات من الكرتون تماثِل الحجم الطبيعي للاعبيهم المفضّلين. وفي هذه الأثناء، يصل زوجان يابانيان، يرغبان في التقاط صورة بجوار ميسي، المرأة سعيدة؛ لأنّ طولها يماثِل طوله، وقد تمكّنت من وضع يدها حول عنقه.

تنتهي المكالمة الهاتفية في الداخل. يمكننا الآن مواصلة حوارنا.

كيف تتعامل مع الشهرة؟

«لا أُفكِّر في ذلك. كلّ ما أُفكِّر فيه هو أن أكون قادرًا على مواصلة اللعب، ذلك أكثر شيء يهمني. ما زلت أعيش حياتي بالأسلوب نفسه الذي اعتدته. كلّ ما يزعجني هو أنّني لا أتمكّن من الخروج مع عائلتي في روزاريو».

هل تنزعج حين يستوقفك الناس في الشارع طالبين إليك توقيعًا، أو صورة، أو حتى قُبلة؟

«لا، فهناك أشخاص ينتظرونني ساعات عدّة لالتقاط صورة معي؛ فمن العدل أن أمنحهم بعض الوقت».

أصحيح أنّ الشهرة لم تُغيِّرك كما يُصرِّح بذلك مَنْ يعرفك حقّ المعرفة؟

«هذا صحيح. موقفي ثابت، ولم أنسَ يومًا المكان الذي جئت منه».

ولماذا غيَّر المال حياتك؟

«حياتي لم تتغيّر. نحن لسنا من هؤلاء الأشخاص الذين يبذّرون المال على الكماليات».

هل تحبّ الظهور في الإعلانات؟

«نعم، فأنا أستمتع بذلك».

لنغيِّر الموضوع، ولنتحدَّث عن أول مرشديك.

«تعلّمت كثيرًا من غويرمو أويوس (مدرِّب ميسي في فريق الشباب «ب»)؛ فقد ترك أثرًا مهمًّا في حياتي، وساعدني على التقدُّم في الفئات، التي بذلت كلّ ما في وسعي لبلوغ أفضلها».

ماذا عن مرشديك في الحياة؟

«والـداي وعائلتـي، وكذا شقيقـي رودريغو الـذي طالما قدَّم لـي النصح والمساعدة قدر الإمكان».

قدَّمْتَ إهداءً خاصًا (أُحبّك يا أبي) يوم سجّلت أول أهدافك في الأراضي الأرجنتينية، مع المنتخب الوطني على ملعب المونيمونتال.

«كنت قد وعدته، وكان يستحق ذلك ولا شكّ».

كيف هي علاقتك به؟

«جيـدة جدًّا. لقـد أمضينا الكثير من الوقت معًا هنـا. إنّنا صديقان، لكنّ علاقتنـا لا تخلو من بعض التقلّبات. فهـو يقلق أحيانًا حيال أمور صغيرة، ويبدأ بمضايقتي، وذلك أمر يزعجني...».

هل تختلفان بشأن العقود والاستثمارات؟

«إنّه يحرص دائمًا على استشارتي، لكنّه يتولّى كلّ شيء. دوري أنا هو لعب كرة القدم».

وما رأي والدك في كرة القدم التي تلعبها؟

«مُـذْ كنت صغيرًا، وهـو يخبرني بعد كلّ مباراة بأنّني لعبت جيدًا، أو لعبت على نحوٍ غير موفَّق، لكنّه لا يتدخّل أبعد من ذلك...».

تودّ والدتك سيليا لو تُكوِّن عائلة عاجلًا أم آجلًا.

«إنّهـا تُلِحُّ عليَّ بذلك. ما يهمّها هـو أن أكون سعيدًا، لكنّني ما زلت صغيرًا على تكوين عائلة».

ولكن، لديك صديقة حميمة الآن!

«نعم».

يحمرّ وجهه خجلًا.

وماذا عن الخجل الذي يميِّزك؟

«الأمور في تحسُّن، لقد تغيَّرت...».

مِمَّن ورثْتَ الخجل؟

«ماتياس مثلي، وكذا والدي. أمّا رودريغو ووالدتي فمختلفان».

إذا استثنينا كرة القدم، فما الذي تستمتع به في الحياة؟

«أن أكون مع عائلتي وأصدقائي».

كيف ترى نفسك بعد (15) عامًا أو (20) عامًا؟

«أتخيّل نفسي أعيش في روزاريو مع عائلتي... أحرص على أن أكون قربها دائمًا».

العائلة تعني كلَّ شيء بالنسبة إليك، أليس كذلك؟

«أدين بالكثير لوالديّ وأشقائي؛ فأنا أكون بخير إذا كانوا على ما يرام».

لنجرِ امتحانًا؛ إليك بعض الأسئلة التي طرحَتْها عليك صحيفة لا كابيتال، حين كنت في سنّ الثالثة عشرة. لنرَ كم تغيَّرت.

ما كتابك المفضّل؟

«كتاب «أنا الدييغو» الذي ألَّفه مارادونا، وكنت قد بدأت بقراءته. ولكن، لم يتسنَّ لي بعدُ قراءة صفحاته جميعها؛ فأنا لست من هواة القراءة...».

كانت إجابتك «الكتاب المقدّس» قبل ثمانية أعوام، فهل أنت شخص متدين؟

«لا أُمارِس العبادات، لكنّني مؤمن باللّه».

هل تؤمن بالخرافات؟

«لا».

ما ألبومك المفضّل؟

«موسيقا كومبيا على الطراز الأرجنتيني. ولكن، ليس لديَّ فرقة مفضّلة».

ما فيلمك المفضّل؟

«فيلم «ابن العروس»، و«تسع ملكات». أمّا ريكاردو دارين فهو ممثلي المفضّل. كانت جدتي تُشبِه بطلة فيلم «ابن العروس»، كما كانت تماثِلها في الطباع أيضًا، ناهيك عن إصابتها بمرض الزهايمر مثلها».

ما أهدافك في الحياة؟

«الفوز بعدد أكبر من الألقاب».

يبدو أنّك تحبّ الفوز كثيرًا.

«يسعد المرء حين يفوز، ويحزن عند الخسارة، ويبدأ التفكير في الخطأ الذي ارتكبه. لم أُحبّ الخسارة مُذْ كنت صغيرًا».

ما حلمك؟

«الفوز بكأس العالَم برفقة المنتخب الأرجنتيني».

رنّ جرس الهاتف مرّة أُخرى؛ إنّه والده خورخي.

أفـراد العائلـة ينتظرونـه على العشـاء. لقد قَدِمَـت العائلـة جميعها من روزاريو: سيليا، وماريا سول، والخال كلاوديو، والخالة مارسيلا.

يمشـي ليـو ميسي مرتديًا سـروالًا رياضيًّـا وبلوزة بيضـاء ذات قبّعة، في ممرّات (الإستاد) التي جازها إلى مصعد يؤدي إلى ساحة اصطفاف السيارات. لقد كان وداعًا أخيرًا قبل عودته إلى العائلة التي تنتظره في المنزل.

أسـأل نفسي: ما الأطبـاق الشهية التي أعدّتها له سيليـا وخالته مارسيلا اليوم؟

السيرة الذاتية

البيانات الشخصية

- الاسم الكامل: ليونيل أندرياس ميسي.
- مـكان الولادة وتاريخها: روزاريو، سانتا فيـه، الأرجنتين. الرابع والعشرون من شهر حزيران عام 1987م.
- الوالدان: خورخي، وسيليا.
- الشقيقة: ماريا سول.
- الشقيقان: ماتياس، ورودريغو.
- الطول: 169 سم.
- الوزن: 67 كغم.

بدايات المسيرة الكروية

- اللعـب مع فريـق غراندولي ونيولز فـي روزاريو قبل سنّ الثالثـة عشرة، ثمّ الانتقال إلى نادي برشلونة في هذه السنّ.

برشلونة

- أول ظهـور مـع الفريـق الأول: السادس عشـر من شهر تشريـن الثاني عام 2003م أمام فريق بورتو البرتغالي (خارج الديار).

- أول ظهــور في الدوري الإسباني: السادس عشر من شهر تشرين الأول أمام فريق إسبانيول (خارج الديار).
- أول هدف: الأول من شهر أيار أمام فريق الباسيتي (في الديار).
- الظهور: حتى التاسع والعشرين من شهر أيار عام 2011م:
- في الدوري: خاض (177) مباراة، سجّل فيها (119) هدفًا.
- في بطولة كأس الملك: خاض (26) مباراة، سجّل فيها (17) هدفًا.
- في البطولات الأوروبية: خاض (61) مباراة، سجّل فيها (41) هدفًا.

المنتخب الأرجنتيني

- أول ظهــور: السابـع عشر من شهر آب عام 2005م أمــام المنتخب المجري (خارج الديار).
- أول هــدف: الأول مــن شهــر آذار عام 2006م أمام منتخــب كرواتيا (خارج الديار).
- المشاركة: خاض (60) مباراة دولية، سجّل فيها (18) هدفًا (حتى التاسع والعشرين من شهر أيار عام 2011م).

الظهور:

- كأس العالَم للشباب، عام 2005م.
- كأس العالَم، عام 2006م.
- كأس العالَم، عام 2010م.
- بطولة كوبا أمريكا، عام 2007م.

- بطولة كوبا أمريكا، عام 2011م.
- الألعاب الأولمبية، عام 2008م.

الألقاب التي حصل عليها

- برشلونة:
- الـدوري الإسبانــي: خمس مرّات، موســم 2004م-2005م، 2005م-2006م، 2008م-2009م، 2009م-2010م، 2010م-2011م.
- بطولة كأس الملك: مرّة واحدة، موسم 2008م-2009م.
- بطولة كأس السوبر الإسباني: خمس مرّات، مواسم 2005م، 2006م، 2009م، 2010م، 2011م.
- دوري الأبطـال: ثـلاث مـرّات، مواســم 2005م-2006م، 2008م-2009م، 2010م-2011م.
- بطولة كأس السوبر الأوروبي: مرّتان، عام 2009م، 2011م.
- بطولة كأس العالَم للأندية: مرّة واحدة، عام 2009م.

المنتخب الأرجنتيني:

- بطولة كأس العالَم للشباب، عام 2005م.
- الميدالية الذهبية في الألعاب الأولمبية، بكين، عام 2008م.

الألقاب الفردية

- الكرة الذهبية (أفضل لاعب في أوروبا)، عام 2010م.
- الحذاء الذهبي، عام 2010م.

- الكرة الذهبية (أفضل لاعب في أوروبا)، عام 2009م.
- أفضل لاعب في العالَم، عام 2009م.
- الكرة الذهبية لمجلة أونزي، عام 2009م.
- بطولة كأس ألفريدو دي ستيفانو، موسم 2008م- 2009م.
- هدّاف دوري الأبطال، موسم 2008م- 2009م.
- أفضل مهاجم في الأندية الأوروبية، موسم 2008م- 2009م.
- أفضل لاعب في الأندية الأوروبية، موسم 2008م- 2009م.
- أفضل لاعب في إسبانيا، موسم 2008م- 2009م.
- أفضل لاعب في أوروبا (المركز الثاني)، عام 2008م.
- أفضل لاعب في العالم (المركز الثاني)، عام 2008م.
- أفضل لاعب في أوروبا دون سنّ الحادية والعشرين، عام 2007م.
- أفضل لاعب في أوروبا (المركز الثالث)، عام 2007م.
- أفضل لاعب في العالَم (المركز الثاني)، عام 2007م.
- هدّاف كأس العالَم للشباب، عام 2005م.
- أفضل لاعب في بطولة كأس العالَم للشباب، عام 2005م.
- أفضل لاعب صاعد في بطولة كوبا أمريكا، عام 2007م.
- أفضل لاعب أرجنتيني، عام 2005م، 2007م، 2008م، 2009م، 2010م.

- أميز لاعب شاب حسب اتحاد فيفبرو، موسم 2006م-2007م، 2007م-2008م.
- أفضل لاعب صاعد في العالَم حسب اتحاد فيفبرو، مواسم 2005م-2006م، 2006م-2007م، 2007م-2008م.
- أفضل لاعب صاعد في العالَم حسب مجلة وورلد سوكر، مواسم 2005م-2006م، 2006م-2007م، 2007م-2008م، 2009م، 2010م، 2011م.
- أفضل لاعب أجنبي في الدوري الإسباني، مواسم 2006م-2007م، 2008م-2009م، 2010م، 2011م.
- أفضل لاعب أيبيري- أمريكي جنوبي في الدوري الإسباني، مواسم 2006م-2007م، 2008م-2009م، 2010م، 2011م.
- عضو في التشكيلة المثالية لاتحاد فيفبرو، مواسم 2006م-2007م، 2007م-2008م، 2008م-2009م.
- كرة الفيفا الذهبية 2010م-2011م، 2012م.
- الويغا أفضل لاعب في أوروبا 2011م.
- الحذاء الذهبي الأوروبي 2010م-2012م.
- هداف العام 2013م.

قائمة المراجع

أولًا: الكتب

Apo، Alejandro، Y el fútbol contó un cuento (Buenos Aires: Alfaguara، 2007)

Beha، Oliviero and Di Caro، Andrea، Indagine sul calcio (Milan: Bur، 2006)

Brera، Gianni، Incontri e invettive (Milan: Longanesi، 1974)

Fontanarrosa، Roberto، Puro fútbol (Buenos Aires: Ediciones de la Flor، 2000)

Frieros، Toni، Leo Messi، el tesoro del Barça (Barcelona: Edecasa، 2006)

Galdeano، Arnau، Estimat Messi (Barcelona: Empuries، 2007)

Galeano، Eduardo، El fútbol a sol y sombra (Madrid: Siglo XXI de Espana Editores، 1995)

Grosso، Cristian، Futbolistas con historia(s) (Buenos Aires: Ediciones Al Arco، 2007)

Hugo، Victor and Perfumo، Roberto، Hablemos de fútbol (Buenos Aires: Planeta، 2006)

Luque، Xavier and Finestres، Jordi، El caso Di Stéfano (Barcelona: Peninsula، 2006)

Maradona، Diego Armando، Yo soy el Diego (Barcelona: Planeta، 2001)

Sebreli، Juan Jose، La era del fútbol (Buenos Aires: Debolsillo، 2005)

Toro، Carlos، Anécdotas del fútbol (Madrid: La Esfera de los Libros، 2004)

Valdano، Jorge، El miedo escénico y otras hierbas (Madrid: Aguilar، 2002)

Vargas، Walter، Fútbol Delivery (Buenos Aires: Ediciones Al Arco، 2007)

ثانيًا: المجلات

إل غرافيكو، بوينوس آيرس.

دون بالون، برشلونة.

ثالثًا: الصحف

إسبانيا:

إل باييس.

إل موندو.

لا فانغارديا.

إل بيريوديكو دي كاتالونيا.

ماركا.

أس.

سبورت.

موندو ديبورتيفو.

الأرجنتين:

لا ناسيون.

كلارين.

إيبوكا.

أوليه.

لا كابيتال.

المملكة المتحدة:

ذا تايمز.

غارديان.

إيطاليا:

كوريري ديلا سيرا.

غازيتا ديللو سبورت.

كوريري ديللو سبورت.

رابعًا: الكتب السنوية

دليل الدوري الإسباني، 2005م (مجلة ماركا).

دليل الدوري الإسباني، 2006م (مجلة ماركا).

دليل الدوري الإسباني، 2007م (مجلة ماركا).

دليل الدوري الإسباني، 2008م (مجلة ماركا).

دليل الدوري الإسباني، 2009م (مجلة ماركا).

دليل الدوري الإسباني، 2010م (مجلة ماركا).

خامسًا: القنوات التلفزيونية

كانال +.

تايك.

قناة فوكس.

تي في 3.

سادسًا: المواقع الإلكترونية

www.fifa.com

www.uefa.com

www.afa.com.ar

www.gloriosonewells.com.ar

www.nob.com.ar

www.rosariocentral.com

www.fcbarcelona.com

www.youtube.com

www.lionelmessi.org

www.liomessi.wordpress

www.messiadictos.com